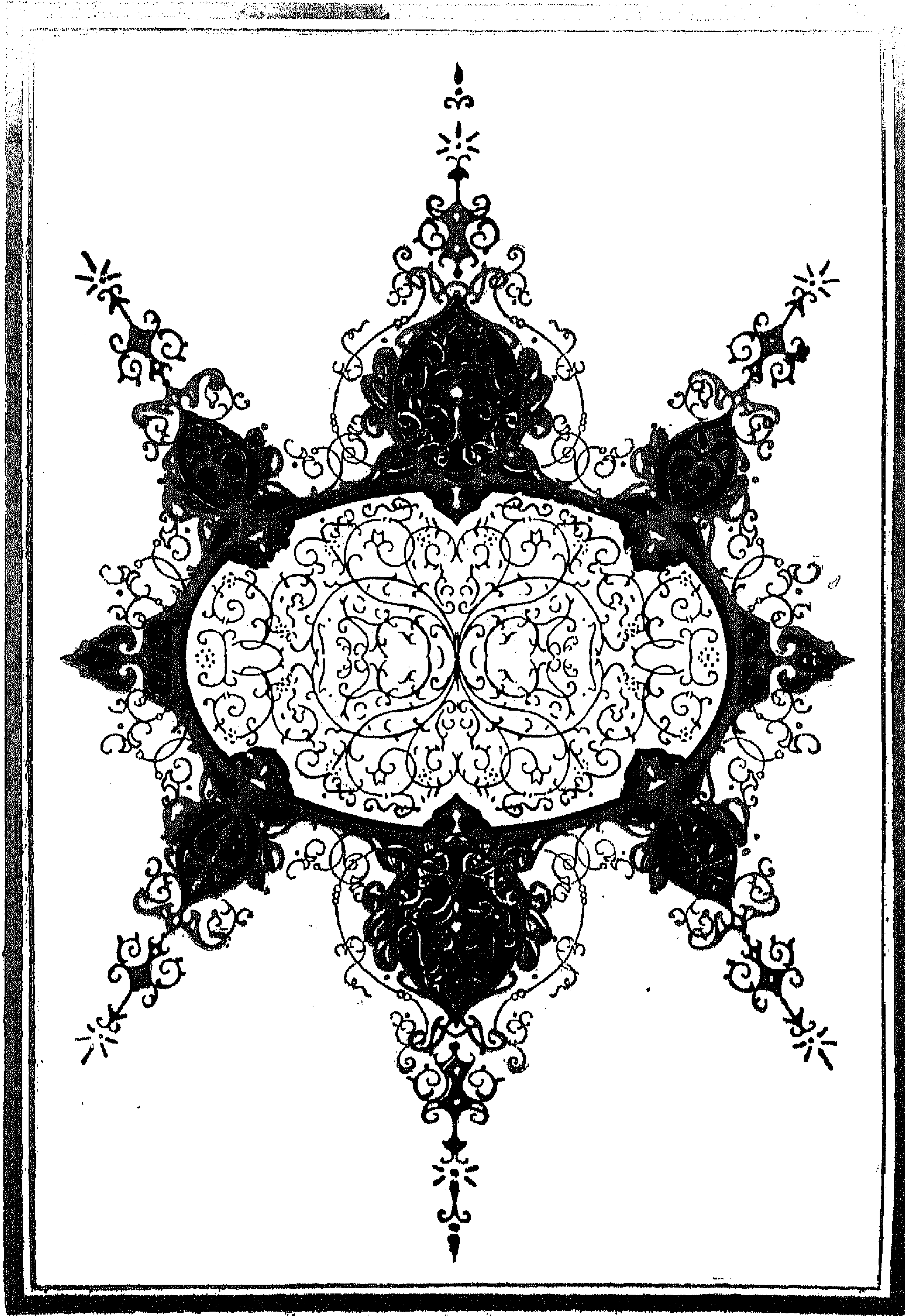


الجزء التاسع والثلاثون

جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ

مـايـو ١٩٧٧ م



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٢٦ شارع مراد ـ الجيزة

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء التاسع والثلاثون
جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ - مايو ١٩٧٧ م

الفهرس



بحوث ومقالات

إحياء التراث

للدكتور ابراهيم مدكور

(٢)

لاشك فى أن حصر المخطوطات العربية وجمعها هو أول خطوة فى سبيل إحيائها.

وقد أشرنا من قبل إلى أن الغرب قدر هذه المخطوطات قدرها منذ زمن بعيد ، وتابع البحث عنها إلى اليوم ، وبذل ما بذل فى سبيل اقتنائها . وتعاون العرب والمسلمون ، تحت نير الاستعمار التركى والأوربى ، فى حمايتها ومحاربة تهريبها والاتجار بها ، ولم يتنبهوا إلى قيمتها التاريخية والثقافية إلا فى أخريات القرن الماضى . وأخذوا يجمعونها ويودعونها أحرازاً أمينة ، ويبحثون عما فقد منها ، فبعثت بعوث للبحث عن المخطوطات النادرة ، وبذلت فى ذلك جهود متفاوتة فى بعض الأقطار العربية ، وكان لمصر منها نصيب واضح . وأخشى أن تكون هذه الجهود قد توقفت بعد أن اضطلعت جامعة الدول العربية بأمر هذا البحث ، وما أجدر الجامعات والمجامع اللغوية والعلمية والمكتبات العربية الكبرى أن تعنى به ، وأن تسهم فيه بنصيب .

وقد أنشأت الجامعة العربية فعلا قسما لجمع ما يمكن جمعه من المخطوطات القيمة ، وبدأ هذا القسم عمله عام ١٩٤٧ ، واستمر ينمو على الزمن ، وأصبح « معهداً للمخطوطات العربية » ، مكتبته ومطبوعاته وصحيفته . وكانت له مجلة توقفت زمناً ونأمل أن تستعيد نشاطها . واستطاع فى الثلاثين سنة الماضية أن يبعث عدة بعوث إلى سوريا ، وتركيا ، ولبنان ، والمملكة العربية السعودية ، وتونس والمغرب فى العالم العربى ، أو إلى إيران ، والهند ، واليابان ، وإيطاليا فى البلاد الأخرى. ولابد له أن يتابع هذه البعوث ، وعلى كل بعثة أن تعد لمهمتها قبل البدء فيها ، وأن ترسم خطوطها ومعالمها . وينبغى أن يضع المعهد فى حسابه مخطوطات المكتبات والمتاحف الأوربية الكبرى ، وفى وسعه أن يحصل على فهارسها ، وهى فى الجملة دقيقة ومستوعبة ، وعن طريق التبادل أو المراسلة يمكن الإفادة منها . وقد آن الأوان لأن نؤمن بأن العلم للجميع ، وأن طلبه حق ، وأن الاستجابة له . واجبة ، وعلينا أن نُرَوِّضَ على ذلك القائمين على أمر مراجعه ومصادره . وكم شكا الناس من بطئنا أو إعراضنا عن إجابة طلب باحث أو دارس لصورة نص أو مرجع من

المراجع . وقد أحرز معهد المخطوطات فى الثلاثين سنة الماضية قدراً كبيراً من صور المخطوطات العربية ، وزادت حصيلته زيادة ملحوظة ، وتكاد تبلغ الثلاثين ألف مخطوط ولا يتردد فى أن يمكن الباحثين من الاطلاع عليها ، أو الحصول على نسخ منها ، ويتوارد عليه الزائرون من الشرق والغرب بانتظام . وقد بدأ منذ زمن فى ترتيب مخطوطاته ، وفهرستها ، وأخرج بالفعل قدراً من فهارسه ، والباحثون والدارسون فى حاجة ماسة إليها . وإنا لنرجو لهذا المعهد أن تؤيد رسالته ، ويعزز نشاطه ، وأن يبقى منارة يهتدى بها فى ميدان جمع المخطوطات العربية وتحقيقها ونشرها .

والنشر الكامل الدقيق هو الإحياء الحقيقى للتراث العربى ، وقد يسرت المطبعة الحديثة أمره ، ويزداد فن الطبع دقة ووضوحاً عاماً بعد عام . وقد عرفت المطبعة فى أوربا منذ القرن السادس عشر ، ولم تعرف فى العالم العربى إلا فى القرن الماضى . فظهرت فى مصر لأول مرة عام ١٨٠١ ، وفى لبنان عام ١٨٢١ ، وفى تونس عام ١٨٦٠ . وليس بغريب أن تنشر فى أوربا مؤلفات عربية قبل أن تظهر فى العالم العربى بثلاثة قرون ، ولا نزال مدينين حتى اليوم لأوربا بالطبعة العربية لكتاب (القانون) لابن سينا مثلا ، وما أجدرنا أن نخرجه إخراجاً علمياً محققاً . ولم يكن للنشر فى الماضى منهج واضح ولا خطة مرسومة ، بل كان يكتفى فيه بالأخذ عن مخطوطات ما دون بحث أو تمحيص ، فيجيء المطبوع مجهول الأصل مليئاً بالأخطاء ، وقد يكون بين مخطوطاته ما هو أدق منه لفظاً وأوضح عبارة . وأصبح للنشر العلمى اليوم شرائط وقيود أخذ بها فى نشر التراث اليونانى والرومانى ، وطبقها المستشرقون ما وسعهم على ما نشروا من نصوص عربية .

ومما يؤسف له أن هذه الشروط والقيود لم تراع بدقة فيما نشر فى العالم العربى ، وبخاصة فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن ، واكتفى بطبع بعض المخطوطات دون بحث عن أصولها أو تحقيق لنصوصها . وأعيد طبع كتب كما هى دون تنقيح أو تهذيب ، وأخذ عن بعض ما نشر فى الخارج فى غير دقة ولا عناية . وربما قام بالنشر من ليس أهلاً له ولا متخصصاً فى موضوعه . وأضر شيء ذلك النشر التجارى الذى يهدف إلى المال وحده ، فلا يتقيد بمنهج علمى ، ولا يبالى بتحقيق . ومن حسن الحظ أن الدرس الجامعى أخذ منذ ثلث قرن أو يزيد فى تقدير النشر العلمى حق قدره ، وفتح بابه لرسائل الماجستير والدكتوراه ، وضرب فيه مثلا يحتذى ، وفرض منهجه على شباب الجامعيين من الدارسين والمحققين ، وفى بعض الرسائل الجامعية تحقيق لا يقل عن أمثاله فى الجامعات الغربيــة .

والمخطوط فى الواقع وثيقة تخضع لما تخضع له الوثائق التاريخية الأخرى من بحث وتمحيص ، ونقد وملاحظة . فيحصى الموجود من نسخه ، ويبين عصرها ، ويوازن بينها . ولا شك فى أن أولاها ما كتب بخط

المؤلف ، أو ما أملاه أو قرأه أو قرئ عليه . ثم يليه ما أخذ عن نسخة بخطه ، أو كتب فى عصره . ولا يصح التعويل على نسخة واحدة إن كان للنص أكثر منها ، وفى تعدد النسخ ما يسمح بالمقارنة واستكمال الناقص . وللمحقق أن يتخذ نسخة أساساً ، ثم يضيف إليها فى الهامش الروايات الأخرى . وله أن يكون من مجموع النسخ نصاً مختاراً ، إذا لم تتوفر له نسخة بخط المؤلف . وهذا مسلك صعب . يتطلب فقهها باللغة ، وتمكناً من موضوع المخطوط ، وإلفا لأسلوب المؤلف . وعلى المحقق أن يكمل الخروم إن استطاع ، وأن يرجع إلى المصادر التى يشير إليها النص للتثبت والموازنة . ورغبة فى الضبط والتوضيح يقسم النص ويرقم ، وينقط ويشكل ، وتستخدم فيه علامات الفصل والوصل . والتعجب والاستفهام ، وتميز زيادات المحقق وإضافاته بأقواس معقوفة .

ومن شرائط النشر العلمى التحقق من صحة المخطوط ونسبته إلى صاحبه ، وهناك كتب منحولة جمعت ولفقت من مصادر مختلفة ، وأخرى عزيت إلى غير أصحابها . وسبيل الكشف عنها ضرب من النقد الداخلى والخارجى فيتحرى الموضوع ليتعرف مدى التقائه بآراء من يعزى إليه ، ويرجع إلى المصادر التى تتصل به ، وقد كشف بهذا عن أخطاء كثيرة توالت عليها أجيال متعاقبة . ولا بأس بأن يقدم المحقق لما ينشره ، فيعرف به ، ويلخص ما جاء فيه وله أن يعلق عليه ، ويشرح غامضه ، على ألا تطغى الحواشى والتعليقات على النص نفسه . ويحسن أن يختم تحقيقه بفهرس لأعلام الأشخاص والأماكن ، وآخر للكتب التى ورد ذكرها فيه ، ومعجم للمصطلحات إن دعا الأمـــر .

ابراهيم مدكور
رئيس المجمع



جغرافية الأندلس
والمصطلحات الجغرافية الأندلسية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كان للعرب مصطلحاتهم الجغرافية الخاصة فى سائر البلاد التى فتحوها، وذلك عن طريق الاشتقاق والتعريب والتنسيق، فسموا الأقطار والمدن والأماكن والأنهار والجبال وغيرها بأسمائها العربية، وتركت لنا الجغرافية العربية فى ذلك تراثاً عظيماً لا يقل فى ضبطه ودقته عن تراث أية لغة أو حضارة أخرى.

وقد حظيت جغرافية الأندلس من هذا التراث بأوفر قسط من الدقة، وحسن التعريب، فجاءت فى مجموعها صورة صادقة لجغرافية شبه الجزيرة الإسبانية، لم ينسخها ما توالى عليها من التغييرات التاريخية والسياسية، بل لبثت بالعكس إلى يومنا أساساً للاشتقاق والمصطلحات الجغرافية الحديثة.

وأول ما يجب التنويه به فى هذا الصدد، هو أن الجغرافية العربية تطلق كلمة الأندلس على شبه الجزيرة الإسبانية كلها، وقد كان الفتح الإسلامى، يشمل فى بدايته سائر أرجاء شبه الجزيرة، ما عدا ركنها الشمالى الغربى الذى اعتصم به القوط، وهى المنطقة التى تشمل اليوم ولاية جليقية والجزء الغربى من ولاية كنتبريه، ثم أطلقت الكلمة بعد ذلك على اسبانيا المسلمة، أو الجزء الذى تحتله الدولة الإسلامية من شبه الجزيرة، متدرجة فى ذلك وفق العصور. ولم يك ثمة يومئذ فارق بين اسبانيا والبرتغال، ولم يكن البرتغال وجود أو كيان مستقل، بل كانت ولاية الغرب الأندلسية وهى الذى يشمله اليوم القسم الجنوبى من البرتغال، ولاية من ولايات اسبانيا المسلمة. ولما تضاءلت رقعة الوطن الأندلسى على كر الزمن، وتوالى سقوط القواعد الأندلسية القديمة فى يد اسبانيا النصرانية، أضحت كلمة الأندلس تطلق على ولايات الأندلس الواقعة جنوبى شبه الجزيرة، بين نهر الوادى الكبير والبحر، وهو نفس مدلول الكلمة فى الجغرافية الحديثة. وما زالت الأندلس Andalucia تحتل فى تقسيم اسبانيا الإدارى نفس هذه المنطقة. وأما أصل الكلمة فقد ذكر لنا البكرى أن الأندلس قد اشتقت من أسماء «الأندليش» الذين سكنوها فى قديم الزمان:

والأندليش هم (« الوندال » : Vandals : ويوافقه ابن خلدون على ذلك حيث يقول إن الأندلس ، اشتقت من كلمة « فندلس » أى الوندال . والتعليل الحديث للكلمة لا يخرج عن ذلك ، حيث يرجعها إلى كلمة Vandalucia أو بلد الوندال . كذلك يقدم لنا البكرى تفسيراً لكلمة « إيبريا » Iberia التى تطلق على شبه الجزيرة الإسبانية ، فيقول لنا أن اسمها القديم «إبارية» من وادى إبره ، ثم سميت بعد ذلك باطقة Baetica من وادى بيطى وهو نهر قرطبة ، وسميت كذلك إشبانية بالاشتقاق من Hespéris أو إشبرش ، وهو الكوكب المعروف بالأحمر إلى غير ذلك من التعليلات .

ويجب أن نذكر إلى جانب ذلك أن الأندلس الكبرى ، كانت منذ أوائل القرن الثالث الهجرى ، تضم الجزائر الشرقية ، أو جزائر البليار ، وكانت هذه الجزائر التى فطن المسلمون إلى أهميتها البحرية ، وافتتحوها فى سنة ٨٤٨م . أيام عبد الرحمن بن الحكم ، تعتبر ولاية قائمة بنفسها ، واستمرت على هذا الوضع أيام انهيار الأندلس الكبرى فى عهد الطوائف ، وبسط مجاهد العامرى صاحب دانية سلطانه عليها ، واتخذها قاعدة لغاراته البحرية المشهورة على قورسقة وسردانية ، واستمرت كذلك أيام ولده على إقبال الدولة ، ثم استقلت بنفسها أيام المرابطين والموحدين ، وإن كانت تستظل فى بعض بعض الأحيان باسم السلطة المركزية فى شبه الجزيرة ، إلى أن افتتحها خايمى الثانى ملك أراجون سنة ١٢٢٩ م .

وقد حظيت الأندلس، أو اسبانيا المسلمة، من الفاتحين المسلمين بتنظيم جغرافى شامل ، وكان هذا التنظيم يقوم فى جوهره على التنظيم الرومانى القديم ، ثم التنظيم القوطى الذى قام على أسسه ، وهو يقوم على تقسيم شبه الجزيرة إلى أربع ولايات كبيرة ، تشمل الأولى إقليم الأندلس وهو الذى يمتد كما تقدم بين البحر الأبيض ونهر الوادى الكبير ، ومما يلى هذا النهر حتى نهر وادى يانه ، وأشهر مدنها قرطبة ، وإشبيلية ، ومالقة ، وإستجة ، وغرناطة ، وجيان . وتشمل الولاية الثانية جميع اسبانيا الوسطى من البحر شرقاً إلى حدود البرتغال ، أو لوزينانيا غرباً ، ثم إلى النهر دويره شمالا ، وأشهر قواعدها طليطلة ، وشقوبية وبلنسية ودانية ، ومرسية ، ولقنت وقرطاجنة ، ولورقة وبسطة . وتشمل الولاية الثالثة ، جليقية ولوزيتانيا أو البرتغال القديمة ، وأشهر قواعدها ماردة وبطليوس ويابرة وأشبونة وقلمرية وباجة واسترقة ، وشلمنقة ولك وغيرها . وتمتد الولاية الرابعة من نهر دويره شمالا إلى جبال البرنيه على ضفتى نهر إبره ، وغرباً إلى جليقية ، وأشهر قواعدها سرقسطة وطرطوشة وطركونة وبرشلونة وأرقلة وبلد الوليد وبربشتر ووشقة وغيرها. ولما اتسع نطاق الفتوحات الإسلامية شمالا ، أنشئت ولاية خامسة فيما وراء جبال البرنية ، شاملة لولاية سبتمانيا القديمة ، وأشهر مدنها أربونة ونيمة وقرشونة وبزييه وأجده ومجلونة (أو مقلون) ولوديف ،

ثم قسمت الأندلس بعد ذلك ، حينما استقرت رقعتها جنوبى نهر دويره ، إلى ولايات أوكور أقل حجماً ، بلغت فى بعض الأحيان خمس عشرة كورة أو أكثر .

ويجب أن ننتهز هذه المناسبة ، لنصحح خطأ شائعاً فيما يتعلق بتسمية جبال « البرنيه » فكثير من الكتاب والمؤرخين المحدثين ، يسمونها بجبال البرانس ، وهى تسمية خاطئة مؤسفة . ذلك أن جبال البرنيه تسمى فى الجغرافية الأندلسية بجبال البرت أو البرتات مشتقة من كلمة بورتا Porta اللاتينية أو Puerta الإسبانية ، وقد سميت كذلك نسبة إلى الأبواب أو الممرات الرومانية القديمة التى تخترقها ، والتى كانت منذ العصر القديم ممرات للغزاة ، سواء من الشمال إلى الجنوب أو من الجنوب إلى الشمال .

وهذه الأبواب ، من الشرق الى الغرب ، أربعة ، الأول برت جاقة ، والثانى برت أشبره ، والثالث برت شيزروا ، والرابع برت بيونة :

وباب شيزروا هذا الذى يذكره الإدريسى غير مرة ، هو أشهر هذه الأبواب ، وقد سماه الإدريسى كذلك ، تعريباً لاسمه الرومانى القديم Portus ciserae ، وهو المعروف أيضاً بالإسبانية Roncesvalles وقد اشتهر فى التاريخ الأندلسى بنوع خاص إذ قد وقعت فى الوادى المطل عليه ، والذى يحمل نفس الاسم ، على مقربة من مدينة بنبلونة عاصمة نبرّه ، موقعة باب شيزروا الشهيرة ، التى هزم فيها شارلمان عاهل الفرنج على يد القوات العربية والنابارية المتحالفة ، وذلك فى شهر ذى القعدة سنة ١٦١ هـ ، الموافق لشهر أغسطس سنة ٧٧٨ م ، أيام عبد الرحمن الداخل . وكان شارلمان قد حاول أن يغزو الأندلس ، ووصل فى زحفه إلى مدينة سرقسطة ، ولكنه ارتد حينما امتنعت عليه : فهاجمت القوات العربية والنابارية مؤخرة جيشه ، ومزقتها بشدة ، ونظمت فيما بعد عن تلك الموقعة أنشودة رولان الشهيرة : Chanson de Roland

وإذاً فجبال البرنيه ، فى الجغرافية الأندلسية هى جبال البرت أو البرتات . على أن الجغرافية الأندلسية ، وكذلك التاريخ الأندلسى يحدثنا أيضاً عن جبال « البرانس » ولكن هذه التسمية تطلق على سلسلة أخرى من الجبال تقع فى منطقة أخرى من شبه الجزيرة الإسبانية ، ولا تمت إلى جبال البرنيه الشمالية بأية صلة . وتقع « جبال البرانس » جنوبى نهر وادى يانه ، وشرقى مدينة ماردة ، جنوبى جبال طليطلة وهى سلسلة الجبال التى تعرف فى الجغرافية الحديثة بجبال المعدن Sierra de Almaden لوقوعها على مقربة من مدينة المعدن : Almaden . وأما تسميتها فى الجغرافية الأندلسية بجبال البرانس ، فليس تحريفاً لأية تسمية إفرنجية ، وإنما هى نسبة فقط لقبيلة البرانس البربرية ، التى كانت هذه المنطقة منزل كثير من بطونها . ويحدثنا

ابن خلدون عن قبيلة البرانس هذه ، ويقول لنا إنهم سموا كذلك لانتمائهم إلى « أوريغ ابن برنس » وقد ظهروا فى بداية أمرهم فى نواحى برقة وطرابلس ، ثم نزحوا إلى المغرب الأوسط فى أوائل القرن الثانى من الهجرة . وقد اشترك كثير من زعماء البرانس مع طارق بن زياد فى الفتح ، وكان منهم بنو ذو النون أمراء طليطلة أيام الطوائف ، وهم ينتمون إلى هوارة إحدى بطون البرانس. وكان منهم أيضاً بنو رزين أصحاب السهلة ، وأمراء شنتمرية الشرق . واشترك البرانس أيضاً فى غزو صقلية أيام الأغالبة فى أوائل القرن التاسع الميلادى ، وتشغل أخبارهم حيزاً كبيراً فى تاريخ المغرب .

وكانت الأندلس فى بداية أمرها ، وحينما كانت تمتد رقعتها حتى جنوبى فرنسا ، تمتاز باحتوائها على مناطق الثغور . والثغر فى الجغرافية العربية ، وفقاً لياقوت ، هو كل موضع قريب من أرض العدو ، كأنه مأخوذ من الثغرة ، وهى الفرجة فى الحائط ، وكان رباط الثغر أيام افتتاح الأندلس يشمل أربونة وما حولها ، باعتبارها أقصى ولاية فى اسبانيا المسلمة تجاور أراضى الفرنج ، فلما سقطت أربونة وباقى مدن سبتمانيا فى أيدى الفرنج ، ارتد ثغر الأندلس إلى ما وراء جبال البرنيه ، وأصبح هذا الثغر يطلق على سرقسطة ، وما جاورها حتى برشلونة شرقاً ، وهذا فى الجغرافية الأندلسية هو « الثغر الأعلى » وقد كان يشمل عدا سرقسطة : لاردة ، وتطيلة ، ووشقة ، وطرطوشة ، وطركونة ، وغيرها ، وهو ما يقابل فى الجغرافية الحديثة ولاية أراجون الإسبانية . وأما « الثغر الأدنى » فكان يشمل طليطلة وأعمالها وذلك لمجاورتها لمملكة ليون وجليقية النصرانية .

هذا وقد كان للأندلس عدة عواصم متعاقبة وفقاً لمختلف العصور والدول . ولما افتتح العرب الأندلس ، كانت طليطلة عاصمة مملكة القوط . ولكن العرب لم يتخذوها عند الفتح عاصمة للقطر الجديد ، وذلك بالرغم مما كانت عليه من الضخامة والحضارة . ولما ولى عبد العزيز بن موسى حكم الأندلس عقب انصراف أبيه موسى بن نصير إلى المشرق ، اتخذ مدينة إشبيلية عاصمة للأندلس وقتل بها سنة ٩٧ هـ . ولما ولى مكانه أيوب ابن حبيب اللخمى ، نقل مركز الحكم من إشبيلية إلى قرطبة ، وذلك باتفاق الجماعة ، وروعى فى هذا النقل موقع قرطبة المتوسط ، واستمرت قرطبة من بعد ذلك مركز الولاة حتى جاء عبد الرحمن الداخل ، واستولى على الأندلس ، فلم يحدث تغييراً فى وضع العاصمة الأندلسية ، بل بالعكس تأثلت فى عهده رياسة قرطبة ، وبنى بها القصر والجامع ، وغدت حاضرة الدولة الأموية الجديدة .

وهكذا غدت قرطبة منذ عصر الولاة عاصمة للأندلس ، وتوطدت صفتها على كر الزمن حتى جاء عبدالرحمن الناصر ، فأعلن

اتشاحه بثوب الخلافة ، وغدت قرطبة دار الخلافة الأموية ، ولم تفقد هذه الصفة الجليلة بقيام مدينة الزهراء الملوكية على مقربة منها ، وإن كانت الزهراء قد أضحت منذ أواخر عهد الناصر مقر الحكم ومركز البلاط والحاشية : ثم جاء المنصور بن أبي عامر واستولى على مقاليد السلطان ، وأنشأ لنفسه مدينة الزاهرة فى سنة ٣٦٨ ﻫ على مقربة من جنوبى قرطبة ونقل إليها دواوين الحكم ، وغدت منذ أواخر عهده مركز الحكم والإدارة ، ولكن الخليفة الأموى لبث على عهده من الإقامة فى الزهراء وأحياناً فى قرطبة ولما سقطت الدولة العامرية فى سنة ٣٩٩ ﻫ . استمرت قرطبة عصر آخر عاصمة للخلافة الأموية أحياناً ، والحمودية أحياناً أخرى ، واقترنت هذه الفترة العصيبة بانهيار الخلافة وانهيار الحكومة المركزية ، وفقدت قرطبة صفتها التالدة كعاصمة للأندلس ، ورأس الدولة العظيمة الموحدة ، وانتشرت الأندلس الكبرى إلى وحدات صغيرة متنافسة ، وقامت دول الطوائف فى المدن والثغور المختلفة ، وغدت كل منها عاصمة لدولة مستقلة بذاتها ، ولم تكن قرطبة عندئذ سوى عاصمة لإحدى هذه الدويلات الصغيرة ، ثم فقدت هذه الصفة غير بعيد :

ولما غلب المرابطون على الأندلس عادت قرطبة قاعدة الحكم والإدارة ، وإن كانت هذه الصفة لم تكن يومئذ من الوضوح والتأثل ، كما كانت من قبل ، واتخذ المرابطون فى نفس الوقت بعض الثغور الجنوبية مثل غرناطة مراكز دفاعية وإدارية ، واستقلت الولايات الشرقية وبقيت خارجة عن حكم المرابطين ، وقامت بها حكومات محلية فى بلنسية ومرسية :

وفى عصر الموحدين كانت إشبيلية قاعدة الحكم فى الأندلس ، وتوطدت هذه الصفة بالأخص أيام الخليفة أبى يعقوب يوسف ، وولده الخليفة يعقوب المنصور : وذلك فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى ؛ وفى هذه الفترة أقيم بإشبيلية القصر والجامع الأعظم وهو الذى ما زالت منارته قائمة بها حتى اليوم وتعرف بالخيرالدا .

وقد كانت إشبيلية فى الواقع أصلح قاعدة لحكم الموحدين فى ذلك الوقت ، الذى اتجه فيه تيار الحوادث الأندلسية بالأخص نحو ولاية الغرب ،أو بعبارة أخرى نحو البرتغال ، حيث لبث الموحدون خلال أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر فى حروب مستمرة مع القوة الجديدة الناشئة فى اسبانيا النصرانية ، أعنى مملكة البرتغال ، حيث كانت القواعد الإسلامية تسقط الواحدة بعد الأخرى .

وكانت غرناطة آخر عاصمة للأندلس ، وهى الأندلس الصغيرة التى قامت على أنقاض الأندلس الكبرى ، باسم مملكة غرناطة ، وعاشت فى ظل بنى الأحمر مائتى عام .

وكان لشرق الأندلس فى الوقت نفسه عاصمة خاصة هى بلنسية ، التى اتخذ منها آل مردنيش قاعدة لحكمهم فى تلك المنطقة ، وقاعدة لخططهم الدفاعية ضد الموحدين .

وقد أبدى الجغرافيون المسلمون منتهى الدقة والبراعة ، فى اقتباس وتعريب المصطلحات الجغرافية الأندلسية ، من أصولها الرومانية والقوطية ، وربما كانوا فى ذلك أوفر دقة منهم ، فى معالجة الأعلام التاريخية . والواقع أن الأسماء الإسبانية التى أطلقت فيما بعد على القواعد والمدن الأندلسية الذاهبة ، لم تكن فى الغالب سوى تحريف لأسمائها العربية ، فمدينة إشبيلية كانت تسمى باسمها الروماني Hispalis أو Yspalis ، فجاء منطوقها العربى مطابقاً لمنطوقها اللاتيني ، ثم حرفها الإسبان إلى اسمها الحديث وهو Sevilla ، وكانت قرطبة تسمى باللاتينية Curduba فنقل بالعربية كما هو . وجاء اسمها الإسبانى مطابقاً لاسمها العربى ؛ وكانت طليطلة تسمى Toletolus فعرب الاسم تعريباً حسناً ، واختصره الإسبان إلى Toled . وكانت باجة تسمى باللاتينية Pexzella فعربت إلى باجة ، وأضحت اليوم Beja : وكانت لشبونة تسمى Olissip فعربت إلى أشبونة وهى اليوم « لشبونة » قس على ذلك معظم المدن الأندلسية ، فقد عربت أسماؤها جميعاً عن أصولها القديمة تعريباً حسناً ، ثم حرفت الأعلام العربية ، بعد ذلك إلى تسمياتها الإسبانية والبرتغالية الحديثة .

وفى أحيان كثيرة يغدو هذا التحريف نوعاً من المطابقة ، كما هو الشأن مثلا فى بلنسية التى ما زالت تنطق بالإسبانية Valencia كما هى بالعربية ، والقلعة التى تنطق بالإسبانية Alcalà وقلعة أيوب ، وهى بالإسبانية Calatayud وقلعة رباح ، وهى بالإسبانية Calatrava والقصر وهى بالإسبانية Alcazar والقصور وهى Caceres إلى غير ذلك :

ولم يكتف العرب فى تعريب الأعلام بالتكييف والاقتباس ، بل زادوا على ذلك أن قاموا بترجمة معانيها فى أحيان كثيرة ، فان ولاية قشتالة مثلا كانت تسمى باللاتينية Alava y Castelle Vetula ، وقد ترجم العرب اسمها إلى « ألبة والقلاع » ونحن نعرف أن Castella أو Castiela معناها القلعة والقلاع . وأطلق العرب اسم شلير أو جبل الثلج على جبال : « سيرا نفادا » والاسم الأول تحريف لاسمها اللاتينى Solair ، وأما الثانى فهو ترجمة مطابقة لاسمها القشتالى القديم Sierra Nevada : وسموا سهل غرناطة بالفحص او المرج ، ومقابله الإسبانى La Vega ويقال إنه تحريف للاسم العربى الفحص . وقس على ذلك أسماء ومصطلحات لا حصر لها .

والخلاصة أن الأعلام الجغرافية الأندلسية تحتل بين تراث الجغرافية العربية مكانة بارزة وتمتاز فى معظمها بالضبط والدقة والمطابقة : وقد لبثت هذه الأعلام والمصطلحات حية متداولة طوال عصور الدولة الإسلامية فى الأندلس ، أعنى حتى أواخر القرن التاسع الهجرى أو الخامس عشر الميلادى ، لا يعتورها

خطأ او تحريف ، ولكنها مذ سقطت غرناطة آخر حواضر الإسلام فى الأندلس فى سنة ١٤٩٢م، أخذت تفقد دقتها تدريجياً ، وتختفى بمضى الزمن شيئاً فشيئاً ، وتحل محلها الأعلام الإسبانية المحرفة عنها ، وقد تسرب هذا التحريف مع الأسف إلى كثير من الكتب العربية ، ولم ينج منه الكتاب المغاربة أنفسهم مع قربهم من الأندلس، وتفوقهم فى آدابها وتاريخها ، وانتهى هذا التحريف فى القرنين السابع عشر والثامن عشر إلى درك مؤلم ، فمثلا نرى الوزير محمد بن عبد الوهاب الغسانى ، سفير مولاى إسماعيل إلى ملك اسبانيا كرلوص الثانى فى سنة ١٦٩٠، وأحمد ابن المهدى الغزال سفير مولاى محمد بن عبد الله إلى كرلوص الثالث فى سنة ١٧٧٦ ، يذكر كل منهما فى رحلته أسماء البلادالأندلسية محرفة تحريفاً يرثى له . فمثلا يسمى الوزير الغسانى مدينة إستجه ، أيسكا ، ومدينة شلوقة باسمها الإسبانى سان لوكار ، ومدينة شذونة باسمها الإسبانى صيدونة . ويسمى الغزال مدينة الجزيرة بالخزيرات، Algeciras وجزيرة طريف بطريفة ، ومدينة شريش بخريز Jerez ، وإستجة ، باسيخا Ecija ، وحصن اللوز بازناليوص Izanalloz إلى غير ذلك ، مما يدل على أن المصطلحات الجغرافية الأندلسية كانت فى هذا العهد ، قد نسيت تماماً ، ونسختها أسماؤها الإسبانية نسخاً ؛

ومن الأسف أن هذا التحريف يمتد اليوم إلى دوائرنا الأدبية ، فنجد المؤرخين ، والكتاب فى الصحافة العربية على وجه العموم ، يمسخون الأعلام الأندلسية فى كتاباتهم ، ويوردونها محرفة عن المصطلحات الأوروبية الإنجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية ولو أنهم كلفوا أنفسهم مشقة البحث والتحقيق لألفوا أمامهم تراثاً عريقاً من الأعلام والمصطلحات الأندلسية الأصلية ، يغنيهم عن عجمة المصطلحات الأجنبية ، ويقيهم هذا المسخ والتحريف .

ولقد عنيت أخيراً بوضع فهرس جامع للأعلام الجغرافيــة والتاريخية الأندلسية ومقابلها باللغة الأسبانية Toponimia Arabigo Espanola ، صدر عن معهدنا المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، مسترشداً فى ذلك بما بذلته فى بحوثى الأندلسية من تحقيق مستفيض لهذه المصطلحات وما وضعته لسائر مناطق الأندلس من خرائط تفصيلية ، ولقد أودعت منه بمكتبة المجمع الموقر بضعة نسخ ليرجع إليها من يشاء .

هذا وقد حظيت جغرافية الأندلس من الجغرافيين والمؤرخين المسلمين بأوفر عناية وتناولها معظم الجغرافيين المتقدمين ، مثل لإصطخرى وابن خرداذبه والمسعودى وابن حوقل وغيرهم ، تناولوها فى إشارات ونبذ قصيرة عند أحاديثهم عن الأقاليم السبعة . ولكن تناولها آخرون لاسيما الجغرافيين الأندلسيين بإفاضة ، وكان من هؤلاء أحمد ابن موسى الرازى ، والحجارى ،وابن سعيد الأندلسى وغيرهم ، ثم جاء المقرى فنقل عن

هؤلاء وعن غيرهم أقوالا كثيرة فى وصف جزيرة الأندلس ، وما اشتملت عليه من الخواص والفضائل ، وفى وصف قواعدها الكبرى مثل قرطبة وإشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها ، وبالرغم من أن المقرى ينقل دون تحقيق أو تمحيص ، فإنه ينقل إلينا فى أحيان كثيرة نبذاً قيمة عن أصول ضاعت وأضحى له الفضل فى نقلها إلينا . على أن الذى شرح لنا جغرافية شبه الجزيرة الأندلسية واستوعبها استيعاباً حسناً ، يشمل سائر خواصها ، وجبالها وأنهارها وبحارها ومدنها ، هو الشريف الإدريسى السبتى المتوفى سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٦ م) فهو يخصص لنا فى مؤلفه الجغرافى الجامع « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » قسما كبيراً للتحدث عن صفة الأندلس وجغرافيتها ، وتشغل موسوعة الإدريسى الجغرافية عدة مجلدات كبيرة ، وتحتوى على عدد كبير من الخرائط الفريدة ، وقد نشر من « نزهة المشتاق » مختصر طبع فى رومة سنة ١٥٩٣ ، ونشرت منه الأقسام الخاصة باسبانيا وإفريقية وإيطاليا وصقلية مع تراجم إسبانية وفرنسية وإيطالية ، ويجرى منذ حين نشر الكتاب بأكمله على يد لجنة مـــن المستشرقين الإيطاليين ، وقد صدر منه إلى اليوم ثمان كراسات ، وما زال العمل سائراً فى نشر باقيه ، وتزويده بالخرائط والفهارس والمقدمة ، ويمتاز هذا القسم الخاص من « نزهة المشتاق » باسبانيا أو الأندلس بدقتـــه وتفاصيله الواضحة القيمة — التى لا تكاد تختلف فى شيء عما تقدمه إلينا الجغرافيـــة الحديثة فى ذلك الموطن . ويضع الإدريسى شبه الجزيرة الإسبانية ما عدا قسمها الشمالى ، فى الإقليم الرابع ، ويضع قسمها الشمالى مما يلى أراجون فى الإقليم الخامس ، ويقسمها إلى قسمين تفصلهاجبالالشارات Sierra Morena ويسمى القسم الشمالى لهذه الجبال ، بقشتالة ، وهو الذى يضم اليوم ولايتى قشتالة القديمة والحديثة . ويسمى القسم الجنوبى لاسبانيا ، وهو الذى يضم ولاية الأندلس وشرقى الأندلس بالأندلس ، ويسمى السهول المنبسطة داخل شبه الجزيرة بإقليم الكنبانية وهو مشتق من الكلمة الإسبانية Los Campos ومعناها الحقول والسهول ، ويسمى إقليم الهضاب بالشرف Alsarafe ويحدده لنا بأنه الممتد ما بين إشبيلية ولبلة ، والبحر المظلم أى المحيط الأطلنطى : وقد أضحت الكلمتان من المصطلحات الجغرافية الأندلسية . ويبدى الإدريسى عناية خاصة بتسجيل سائر المسافات بين مختلف المدن ، مقدرة بالمراحل أحياناً ، وأحياناً أخـــرى بالزمن . وترجع دقة الإدريسى ، وتمكنه فى هذا القسم الخاص بالأندلس من معجمه الجغرافى ، إلى أنه درس فى قرطبة ، وتجول فى شبه جزيرة الأندلس شرقاً وشمالا وجنوباً ، وتنقل بين معظم مدنها ودرس أنهارها وجبالها وسهولها وهضابها ، وتجول كذلك فى مياه شبه الجزيرة الغربية الشمالية مما يلى خليج بسكوينة أو مسكونية كما يسميه ، وقضى أعواماً فى هذه الجولات الدراسية واستطاع بعقليته الجغرافية الممتازة أن يقدم إلينا عنها ذلك الوصف البديع الممتع :

وقد لبث وصف الإدريسي للأندلس، وهو الذى أخرجه لنا أولا المستشرقان الهولنديان: دوزى ودى جوبيه، فى طبعة خاصة، ثم عاد فأخرجه لنا المستشرق الإسبانى سابيدرا، لبث مستقى لمعظم الدراسات — الأندلسية العربية اللاحقة. وتناول ياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦هـ. فى معجمه الكبير وصف الأندلس وأماكنها ومدنها وجبالها وأنهارها، فى مواضع متفرقة عديدة من معجمه، وتمتاز كتاباته فيما كذلك بالضبط والدقة. وممن كتبوا أيضاً عن جغرافية الأندلس أو وصفها عبد الواحد المراكشى تناولها فى تاريخه المسمى «بالمعجب»، والشقندى الأندلسى؛ فقد وصف لنا فى رسالته عن «فضل الأندلس» بعض القواعد الأندلسية الكبرى مثل قرطبة وإشبيلية، ومالقة. وذلك فى عبارات شعرية رقيقة. وكتب عنها العلامة ابن خلدون فى مقدمته عند حديثه عن الأقاليم السبعة، وهو يضعها فى الإقليم الخامس. وكتب عنها من العلماء المشارقة المتأخرين شهاب الدين العمرى المتوفى سنة ٧٤٩هـ. وتناولها فى موسوعته الجغرافية «مسالك الأبصار» ويبدو مما كتبه العمرى أنه قد زار شمال إفريقية والأندلس، وقد وصف لنا مملكة غرناطة وأقسامها ومدنها وصفاً دقيقاً مسهباً، ووصف لنا مدينة غرناطة بنوع خاص وصف العارف المتمكن، وذكر لنا أسماء أبوابها السبعة فى أوائل القرن الثامن الهجرى، وتناولها النويرى المتوفى سنة ٧٣٣هـ فى موسوعته «نهاية الأرب»، والقلقشندى المتوفى سنة ٨٢١ هـ فى موسوعته «صبح الأعشى». على أن أهم من كتب من المتأخرين عن جغرافية الأندلس هو أبو عبدالله بن عبدالمنعم الحميرى، تناولها فى مؤلفه «الروض المعطار فى خبر الأقطار»

وهو الذى جمعه فى سنة ٨٦٦هـ. وخصها منه بقسم كبير يشغل مجلداً برمته، يتحدث فيه عن أماكنها ومدنها وبحارها وجبالها بإفاضة ودقة، ويمزج الجغرافية بالتاريخ فى مواضع كثيرة، منتفعاً بذلك بجهود من تقدمه من المؤرخين والجغرافيين. وأخيراً يجب ألا ننسى ما كتبه فى ذلك كاتب الأندلس الكبير ومؤرخها لسان الدين ابن الخطيب عن وصف مملكة غرناطة وجغرافيتها فى عصره؛ أعنى أواخر القرن الثامن الهجرى فى مؤلفه «الإحاطة فى تاريخ غرناطة» وهو فصل يتسم بالرغم من إيجازه، بكثير من القوة والدقة والطرافة. وما كتبه فى بعض رسائله الأخرى فى وصف مالقة وغيرها من الثغور. وهى أوصاف تقدم إلينا أدق الصور عن مملكة غرناطة وأحوالها العمرانية فى أواسط القرن الثامن الهجرى.

وأما العلماء المستشرقون فإنهم لم يبذلوا فى هذا الميدان، أعنى جغرافية الأندلس جهوداً ذات شأن، ولم يأتوا بالأخص فيه بجديد، وقد اعتمد معظمهم فى بحوثه على مصادر قديمة وغير محققة مثل أقوال كوندى والغزيرى، التى نقلت بدورها دون تمحيص عن مصادر مخطوطة قديمة. وبذل المستشرقون الإسبان فى ذلك بعض الجهد أمثال سيمونيت

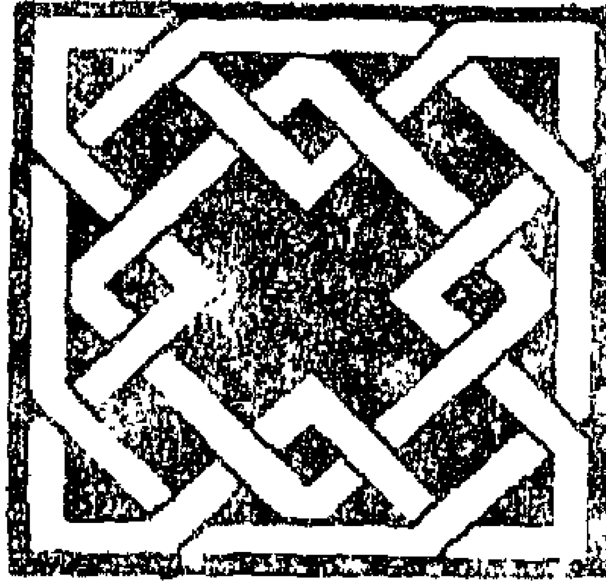
حيث جمع أقوال الجغرافيين الأندلسيين عن مملكة غرناطة وبلادها وأما كنها ، وقدم إلينا مقارنات عن أسمائها القديمة والحديثة ، وكذلك قام أكيلاث وريسرو وغيرهما ، ببعض بحوث مقارنة فى ذلك الميدان .

هذا وأنه لمما يلفت نظر المتجول اليوم فى شبه الجزيرة الإسبانية أنه فيما عدا بعض المناطق الساحلية ، يغلب الجدب والقفر على معظم الهضاب والسهول الداخلية ، وحتى ضفاف الأنهار العظيمة مثل الوادى الكبير ووادى يانه والتاجه ، وهى التى تغنى شعراء الأندلس بخصبها وروعة حدائقها ونضرتها ، قلما تعثر العين اليوم فيها على شيء من الخضر الممتعة . وترى وادى شنيل ومرج غرناطة ، وهو الذى كان أيام المسلمين يفيض بالجنات والرياض النضرة التى أطنب ابن الخطيب فى وصفها ، وقد غلب عليها القفر والعفاء .

وهكذا الشأن فى معظم البقاع التى وصفتها لنا الآداب الأندلسية ، وتغنى بها الشعر الأندلسى ، لا تجد إلا قفاراً دارسة . وليس معنى ذلك أن الطبيعة قد تغيرت ، ولكن معناه أن شبه الجزيرة الإسبانية ، قد فقدت باختفاء الأمة الأندلسية الذكية العاملة ، كثيراً من ضروب النشاط والجد والمثابرة ، والبراعة الفنية والزراعية ، وهى التى كانت أيام المسلمين تجعل من بسائطها المقفرة حدائق وجنات زاهرة .

محمد عبد الله عنان

عضو المجمع



شياطين الشعراء
للدكتور أحمد الحوفي

الشعر فيض ووحي وإلهام ، وهو إذا صدر عن عاطفة مشبوبة صادقة فن لا أثر للإرادة فيه ، أو أثرها فيه أضعف من أثر التلقي والطواعية والاستمداد من أغوار النفس وأعماق اللاشعور .

(١) عبقر وشياطين الشعر

نسب العرب كل أمر عجيب إلى الجن وتخيلوا أن عبقرًا واديهم ومقامهم ، وقالوا فى الأمر العظيم عبقرى ، فلاعجب أن وصلوا الشعر بالجن ، ولا عجب أن تخيلوا لكل شاعرٍ شيطاناً يلهمه القريض .

ولكن للشعر شيطانين ، أحدهما مجيد واسمه الهوْبر ، والآخر مفسد واسمه الهَوْجَل .

وكانت عقيدتهم هذه معلومة فى العصر الإسلامى ، فقد روى أن رجلا من تميم أتى الفرزدق وقال له : إنى قلت شعرًا فاسمعه ، قال الفرزدق : أنشدنى ، فقال الرجل :

ومنهم عُمَر المحمود نائلُهُ
كأنما رأسه طين الخواتيم

فضحك الفرزدق وقال : يا ابن أخى ، إن للشعر شيطانين أحدهما اسمه الهوبر والآخر اسمه الهوجل ، فمن انفرد به الهوبر جاد شعره ، ومن انفرد به الهوجل فسد شعره ، وقد اجتمعا لك فى هذا البيت فكان معك الهوبر فى أوله فأجدت ، وخالطك الهوجل فى آخره فأفسدت (١) .

وسموا الشعر رُقَى الشياطين ، قال جرير :

رأيت رُقَى الشيطان لاتستفزه
وقد كان شيطانى من الجن راقيا

(١) جمهرة أشعار العرب للقرشى ٣٠

وصرح كثير منهم فى العصر الجاهلى وفيما بعده أن شياطينهم تلهمهم أفانين القول ، قال الراجز :

إنى وإن كنت صغير السنِّ
وكان فى العين نبوٌّ عنِّى
فإن شيطانى أمير الجنِّ
يذهب بى فى الشعر كل فنِّ[1]

وقال حسان فى جاهليته :

ولى صاحب من بنى الشيصبان
فطورًا أقول وطورًا هُوَهْ

وقال جرير :

إنى ليلقى علىَّ الشعر
مكتهل من الشياطين

(٢) اسماء بعضهم

لم يكتفوا بنسبة شعرهم إلى شياطين بل سموها ، فكان لكل شاعر شيطانه المسمى ، فشيطان الأعشى مِسحل ،وشيطان فرو بن قَطَن جهَنَّام ، قال الأعشى :

دعوت خليلى مِسْحلا ودعوا له
جَهَنَّام بُعْدا للغوىِّ المذمَّم[2]

وشيطان المخبل السعدى اسمه عمرو ، قال الشاعر الإسلامى :

لقد كان جنىٌّ للفرزدق قدوةً
ولا كان فينا مثل فحل المخبَّل
ولا فى القوافى مثل عمرو وشيخه
ولا بعد عمرو شاعر مثل مسمل

وشيطان عبيد بن الأبرص اسمه هَبِيد ، وهو نفسه شيطان بشر بن أبى خازم ، وينسبون إليه قوله :

أنا ابن الصَّلادم أُدعى الهبيد
حبوتُ القوافى مَرمَىْ أَسَدْ
عبيدًا حبوتُ بمأْثُورة
وأنطقت بشرًا على غير كدّ
ولاقى بمدرك رهط الكميت
ملاذًا عزيزًا ومجدًا وجَدّ
منحناهم الشعر عن قدرة
فهل تشكر اليوم هذا معدّ[3] ؟

وسأله الراوى : أما عن نفسك فقد أخبرتنى ، فأخبرنى عن مدرك ، فقال : هو مدرك بن واغم صاحب الكميت ، وهو ابن عمى .

---

(١) رسائل أبى العلاء ١٠٥ .

(٢) رسائل أبى العلاء ١٠٥ .

(٣) جمهرة أشعار العرب ٢٣ .

وقالوا إن شيطان امرىء القيس لافظ ابن لاحظ، وشيطان النابغة الذبيانى هاذر[1]، ونسبوا إلى أبى نواس أنه كان يستعين بإبليس فى نظم الشعر، ورددوا له أبياتاً منها:

دعوتُ إبليس ثم قلت لـه
فى خلـوة والدمـوع تنحـدرُ
أما ترى كيف قد بليتُ وقـد
أقـرح جفنى البـكاءُ والسهر
إن أنت لم تلق لى المـودة فى
صـدر حبيبى وأنت مقتـدر
لا قلتُ شعرًا ولاسمعت غِنـاً
ولا جـرى فى مفاصلى السَّكَر
فما مضت بعـد زاك ثالثـة
حتى أتانى الحبيب يعتـذر[2]

على أنهم نسبوا إلى الشياطين الغناء أيضاً، ففى الإسلام قالوا إن الفريض كان يتلقى غناءه عن الجن، وإن سماره سمعوه وهو يغنيهم ذات ليلة عزيفاً عجيبـاً وأصواتاً مختلفة أفزعتهم، فقال لهم إن فيها صوتاً إذا نام سمعه، ويصبح فيبنى عليه غناءه، فأصغوا إليه، فإذا نغمة الغريض فصدقوه[3].

ولم يقنع أبو النجم أن يكون شيطانه كشياطين الشعراء، فادعى أن شيطانه ذكر وشياطينهم إناث، لأن الذكور أقوى من الإناث:

إنى وكل شاعـر من البشـر
شيطـانه أُنثى وشيطـانى ذكـر

وروى بعضهم بيت عمرو بن كلثوم فى مطولته هكذا:

وقد هـرَّت كلاب الجن منـا
وشذ بنا قتـادة من يلينـا[4]

وقال صاحب هذه الرواية إن الشعراء كانوا يسمون كلاب الجن، فالمعنى أننا لبسنا الأسلحة فذكرنا الشعراء ورهبونا.

(١) الجمهرة ٢٣
(٢) ديوان ابى نواس.
(٣) الأغانى ٢ – ٣٨٣
(٤) شرح القصائد العشر للتبريزى ٢٢٧ والمعلقات العشر للشنقيطى ١٠٠

(٣) أقاصيصهم مع الشياطين

للشعراء مع شياطينهم أقاصيص ، ومساجلات ومحاكمات منشورة . منها قول جرير بن عبد الله البجلي : سافرت في الجاهلية ، فأقبلت على بعيري ليلة أريد أن أسقيه ، فأبى أن يتقدم ، فدنوت من الماء وعقلته ، ثم أتيت الماء ، فإذا قوم مشوهون عنده ، فقعدت ، ثم أتاهم رجل أشد تشوهاً منهم ، فقالوا : هذا شاعرهم ، وطلبوا منه أن ينشدني ، فأنشد :

ودع هريرة إن الركب مرتحل
وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وأنشد القصيدة كلها ، لم يخرم منها بيتاً ، فلما انتهى إلى هذا البيت :

تسمع للحَلْي وسواسا إذا انصرفَتْ
كما استعان بريح عِشْرِقٌ زَجِلُ[1]

أعجبه ، فقلت له : من قائل هذه القصيدة ؟ قال : أنا ، قلت : لولا ماتقول لأخبرتك أن أعشى بني ثعلبة أنشد فيها عاماً أول بنجران ، فقال : إنك صادق ، أنا الذي ألقيتها على لسانه ، وأنا مسحل صاحبه ، ما ضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون بن قيس.

والعجيب أن الأعشى نفسه لقي شيطانه مسحلا وسمع منه[2] ، واعترف أن مسحلا يوحي إليه ، وهو مصدر وحيه ، ولولاه ما شعر :

وما كنت ذا قول ولكن حسبتني
إذا مسحل يسدى لي القول أَعْلَقُ
شريكان فيما بيننا من هوادة
صفيان إنسيٌّ وجنٌّ موفق
يقول فلا أعيا بقول أقوله
كفاني لاعيٌّ ولا هو أخرق

وذكر أبو العلاء المصري أن أبا بكر ابن دريد قص على أصحابه أنه رأى فيما يرى النائم أن قائلا يقول له : لماذا لاتقول في الخمر شيئاً ؟ فقال : وهل ترك أبونواس

---

(١) العشرق : شجرة في أكمامها حب صغير إذا جفت فرت بها الريح سمعت لحبها خشخشة .

(٢) خزانة الأدب ٣ — ٥٤٩ .

(٣) جمهرة اشعار العرب ٣٠ وسمط اللآلى ١ / ٦٠ .

مقالًا ؟ قال له : أنت أشعر منه حيث تقول :

وحمراءُ قبل المزج صفراءُ بعده
أتت بين ثوبَيْ نرجس وشقائق
حكت وَجْنَةَ المعشوق صرفاً فسلطوا
عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

فقال له ابن دريد : من أنت ؟ قال : أنا شيطانك ، وسأله عن اسمه فقال : أبو زاجية ،وأخبره أنه يسكن الموصل[1] .

(٤) بينهم وبين الافرنج

إذا كان العرب قد عزوا شعرهم إلى الجن ، وتخيلوا أنها تلهمهم ، ونسبوا كل أمر عظيم إلى عبقر ، فإن الفرنجة أشبهوهم فى كثير من تخيلهم .

عبر الإنجليز عن العبقرية بكلمة genius ومصدرها الذى اشتقت منه كلمة genii ومعناها جن ، فبين العبقرية والجن علاقة فى اللغة الإنجليزية ، كالعلاقة التى بين عبقر والعبقرية فى اللغة العربية . وقيل : إن أصل الكلمة لاتينى يدل على معنيين متقابلين : ملك رحيم وشيطان رجيم ، يولد الواحد منهما أو يولدان معاً بمولد الشاعر . ويقصون عن بعض شعرائهم قصصاً تشبه شبهاً قوياً ما روى عن شياطين شعراء العرب ، فمثلا بدأ الشاعر كولردج قصيدته (كوبلا خان) وأتمها له جنى والشاعر نائم ، واستيقظ الشاعر ماسفيلد من نومه لينقل عن جنى قصيدته (المرأة تتكلم) . وأغرب من هذين ما رواه وليم بلاك عن نفسه إذ زعم أنه مسكون ، وأن ساكنيه ملائكة وشياطين تطارده نهارًا ، وتوقظه ليلا ، لتوحى إليه بما نظم وَحْياً لايستطيع أن يصده ، ولا قدرة له على تنقيح ما توحى به .

وقال ريلكه إنه ظل أسير الأرواح ثلاثة أيام لم ينقطع فيها نظمه ، وأخرج ديواناً من دواوينه الروائع ، وأعجبه ، وألحت الجن عليه أن ينشره ، فرضى على شريطة أن يكون النشر بعد وفاته حتى لايتحمل تبعة شعر أملاه عليه جنى جالس أمامه[2] .

(١) رسائل أبى العلاء ١٠٦ .
(٢) الأدب المقارن لنجيب العقيقى ٤٠

(٥) رأى علم النفس

أما علم النفس فإنه يعزو هذا كله إلى العقل الباطن عند الفنان ، وقد كشفت الدراسات التى قام بها علماء التحليل النفسى عن كثير من عمل العقل الباطن عند الفنان ، وانتهى الدارسون إلى أن الإنتاج الفنى يصدر غالباً عن العقل الباطن كأنه حلم يقظة .

روى ستيفنسن كيف بدأ يكتب قصته الفنية البديعة (دكتور جيكل ومستر هيد) فقال : « إن العمل الحقيقى يقوم به مساعد غير منظور ، أبقيه أنا داخل حجرة عالية مغلقة . . . . . يقوم به أولئك الناس الصغار فى الدماغ فينجزون لى نصف عملى وأنا مستغرق فى نومى ، وربما أنجزوا النصف الباقى وأنا مستيقظ تمام اليقظة ، حيث أظن أنى أنا القائم بالعمل ، وكثيراً مايعن لى أن أعتبر نفسى غير فنان ، بل مخلوقاً شأنه شأن بائع الجبن أو الجبن نفسه » .

ولم تكن جورج إليوت تعتقد فى قوى نفسية غير طبيعية ، ولكنها قالت إنها قد خيل إليها وهى تكتب Adambebe أن عقلا آخر قد استحوذ على قلمها وسيره .

وقال جوته إنه كتب أصف رواية له وهو فى غيبوبة حالة يشبهها بحالة النائم الماشى .

وكثير من الأدباء صرحوا بمثل هذا[1] .

وإذا كان الشعر يحلق بجناحين من الخيال فقد حق للشعراء أن ينطلقوا مع خيالهم ، فينسبوا شعرهم إلى قوى وراء حسهم . وتصورهم هذه القوى شياطين ألصق بالخيال ، وأدنى إلى الشعر من التحليل النفسى الذى يرجع الإنتاج الأدبى إلى العقل الباطن للشاعر .

وبعد فلست بهذا أهيم مع الشعراء ، وأجحد حقائق العلم ، وإنما أقرر أن الشعراء كانوا موفقين فى تخيلهم وفى دعواهم أن لهم شياطين تلهمهم أو تملى عليهم .

أحمد الحوفى

عضو المجمع

---

(١) كيف يعمل العقل . سرل برت ٢١٨٢ — ٢٢٠

جهود المجمع العلمي الأول في خدمة العربية في الشام

للأستاذ سعيد الأفغاني

نحن اليوم — بل إلى عهد قريب على الأصح — ننعم في إذاعاتنا وحفلاتنا، ومحاضراتنا ونوادينا، وصحفنا ومجلاتنا، وبياناتنا ونشراتنا، وحتى في خطب بعض وزرائنا وارتجال بعض زعمائنا — نحن في كل ذلك ننعم ببيان مشرق ولغة سلسلة، وشعر جيد ونثر رفيع، وحياة أدبية وسبل ممهدة ومناهج مطروقة ...

فنغتبط بكل ذلك، وينسى أكثرنا عرق الكادحين الذين أنضوا أجسامهم وأعشوا أبصارهم ومهدوا السبل وتحملوا المشاق، وأوذوا في أموالهم وأبدانهم وسيرتهم لتكون اللغة العربية حية في بلادها فيحيا بحياتها العرب. ينسى ذلك أكثرنا إلا قليلًا من العارفين المعمَّرين الذين يقولون: «ليت الرعيل الأوَّل من

(*) في البدء لابد من تحديد المراد بالمجمع الأول لأن الغريب عن هذه المؤسسة يخلط بين مؤسسات ثلاث تعاقبت، وكل منها احتل المدرسة العادلية الكبرى تجاه دار الكتب الظاهرية بدمشق وحمل اسم المجمع.

فالأول هو المعروف في البيئات العلمية والمبادر إلى الذهن حين يطلق اسم (المجمع العلمي العربي) وقد عاش خمس عشرة سنة (١٩١٩ — ١٩٣٤) حياة حميدة كلها إنتاج وخير، ثم ألغى زمن الاحتلال لأسباب — زعموا — مالية.

والثاني يبدأ سنة ١٩٤١ حين اقتضت سياسة المحتلين الدعائية في الحرب الثانية إعادته.

والثالث يبدأ — في الحقيقة — بعد وفاة مؤسس المجمع الأول محمد كرد على رحمه الله سنة ١٩٥٣ ثم يصبح فرعاً لمجمع اللغة العربية في القاهرة ويحمل اسمه منذ سنة ١٩٦٠، وهو مغاير كل المغايرة للمجمع الأول.

وكلمتنا هذه خاصة بالمجمع الأول الذي ألغى سنة ١٩٣٤. وليس من شأننا الكلام عما حصل بعده.

مناضلينا امتدت حياتهم إلى هذة الأيام ليروا راية لغتهم مرفوعة ، وسيادة أمتهم حقيقة فينعموا بثمرات ماتعبوا فى غرسه» .

* * *

لما وضعت الحرب العامة الأولى أوزارها ونشأ فى الشام أول حكم عربى جديد ، واضطلع به أولئك الصابرون من بقايا السيوف ، كان ما أدوا إلى العربية فى الشام عجباً من العجب : شبان تعلم أكثرهم باللغة التركية فى غير بلادهم ، فظلوا بحكم بيئاتهم ومناصبهم لايتكلمون غيرها إلا فى إجازات إلى الشام ، ثم يتسلمون الأعباء ؛ فهل سمعتم بدولة ولدت فغيرت اللغة المفروضة على البلاد وأوضاعها بجرة قلم ؟ !

هذا ما جرى بالشام أيام الحكم الفيصلى : حرمت التركية بمصطلحاتها ومواصفاتها جميعاً ، ثم عبئت الكفايات فى لجانٍ لتعريب مصطلحات الجيش وإدارات الدولة وكتب المدارس . . . يتولى ذلك كله بدأب لايمل علماء بالعربية ، حتى الطلاب فى المدارس فرضوا على أنفسهم عقوبات إن هم تكلموا فى الفرص بين الدروس بغير الفصحى ، بل كان جو الشام كله حينئذ (سنة ١٩١٩) لايشغله إلا عروبة وحماسة لها وإيمان بها ، وهمم تتسارع فى البناء ، تسابق الزمن وتسد المنافذ على الأحداث ، تلمس هذا الوعى فى الشيخ والطفل والشباب ، والعالم والجاهل ، والرجال والنساء ، وكان يصور هذه الإرادة أصدق تمثيل ماكنا ننشده كل صباح فى صفوفنا الأولية والابتدائية ، ويردده تلاميذ الثانويات وطلاب الجامعات ، والجنود فى الثكنات ، والعامة فى المظاهرات ، النشيد الذى شرّق وغرّب :

بلاد العرب أوطانى
من الشام لبغدان

ومن نجد إلى يمن
إلى مصر فتطوان

وبعد سنتين رفرف فيهما هذا العهد العربى كالحلم الجميل ، زحفت جيوش الاحتلال من بيروت ، فخف المجاهدون من الجند والمتطوعة إلى (ميسلون) لصد الزحف مع عدم التكافؤ بين المجاهدين والمحتلين لا فى العدد ولا فى العُدد ،

فثبت المجاهدون ساعة استشهد فيها أكثرهم ، واستشهد قائدهم ، فتقوّض الاستقلال ونحن لا نزال فى الدراسة الأولية الابتدائية سنة ١٩٢٠ ، فحملنا قهر العدوان وهمّه صغاراً ثم اكتوينا بشراسته وجحيمه كبارا ، ولم يبق بأيدينا – على رغمه – إلا عقيدتنا ولغتنا . . مضينا فى إعزازهما وتمكينهما حتى اطمأننا عليهما ، وكانتاهما النار المقدسة التى أججت النضال خمساً وعشرين سنة ، حتى أزال الله الاحتلال . فماذا كان عمل المجمع العلمى الأول يومئذ ؟

أعلن الحكم العربى المستقل والتركية لغة إدارات الحكومة والجيش وسائر المصالح التى يغشاها الناس فى حاجاتهم كل يوم ولايستغنى عن معاملتها أحد ، وكان على المسؤولين تعريبها تعريباً شاملا لايقتصر أثره على موظفى الإدارات نفسها ، ولكن يتعداها إلى الناس كافة ، فبُدئ بسرعة بإصلاح لغة الدواوين بإمداد الحكومة بكل ما تحتاج إليه من مصطلحات تقوم مقام المصطلحات التركية ، وبمصطلحات مستجدة توضع وضعا . فتألفت لذلك لجنتان :

١ – لجنة عربية خاصة بالجيش برياسة المرحوم ياسين باشا الهاشمى (١) لوضع جميع مايحتاج إليه الجيش من إيعازات ومصطلحات فنية ، فقامت بعملها خير قيام ، وقدمت نتائج جهودها فوضعت موضع الاستعمال من غير إبطاء . ومالبث الناس أن ألفوا الأوضاع الجديدة واستعملوها .

٢ – واللجنة الثانية عامة ، ألفها الحاكم العسكرى على رضا باشا الركابى – وهو أحد الرجالات العظام – فى ٢٨ /١١ /١٩١٨ أى فى الشهر الثانى لجلاء الأتراك ، ألفها بين ما ألف من شعب إدارية وفنية لإنجاز أعمال الدولة الجديدة ، وسماها (الشعبة الأولى للترجمة والتأليف) ، مهمتها تعريب

---

(١) وعضوية رشيد بقدونس ومراد الاختيار وهما من كبار الضباط ، والشيخ عبد القادر المبارك من علماء العربية رحم الله الجميع . وتجب الإشارة هنا إلى أن العهد الفيصلى فى سورية قام على سواعد أعلام شاميين من سورية والأردن وفلسطين ولبنان وعراقيين وحجازيين ، ولم تكن يومئذ هذه الجنسيات التى ابتدعت فيما بعد .

الدواوين ونشر العربية بين الموظفين ، ثم سميت هذه الشعبة بعد أن ضم إليها شؤون المعارف بـ (ديوان المعارف) ، وأسندت رياسته إلى العلم المشهور محمد كرد علي في ١٢ /٢/ ١٩١٩ م .

وكانت لجنة المصطلحات فيها برياسة الأستاذ ساطع الحصري ، وعضوية الأستاذين : عز الدين التوخي وحبيب إصطفان . ثم فصلت الشعبة الأولى عن ديوان المعارف واستقلت باسم (المجمع العلمي العربي) في ٨ /٦/ ١٩١٩ ، ومارس المجمع أعماله مستقلا ثم شرح خطته في بيان بعنوان (إصلاح لغة الدواوين) جاء فيه :

« لما تأسست الحكومة العربية وتألفت دواوينها ومصالحها المختلفة أحس رؤساء الدواوين وكتابها بشديد الحاجة إلى كلمات وأساليب إدارية عربية جديدة تخلف تلك الأخرى القديمة الأعجمية في مادتها وأسلوبها ، وأحبوا أن ينزعوا عن لغتهم التي اشتهرت باسم (لغة الدواوين) عجمتها وركتها ، ثم يحلوها من الكلم والأساليب بما يكون في العروبة أعرق ، وبالفصاحة أعلق .

وقد صادف اهتمامهم هذا إنشاء المجمع العلمي العربي ، فأخذوا يرسلون إليه جرائد (قوائم) تتضمن ما يدور في معاملاتهم وعلى أسلات أقلامهم في الكلمات والأساليب ، ويرغبون إلى المجمع في النظر فيها واستبدال غيرها بها . فوافى المجمع رغبتهم في هذا الاقتراح النافع ، ونظر في كلمات وتعابير كثيرة وردت إليه من [إدارات] المعارف ، والأوقاف ، والشرطة ، والمجلس البلدي والصحة ، والمصرف الزراعي ؛ فأبقى بعضها على حاله لصحته وعروبته ، وبدل بعضها كل التبديل ، وعدل الآخر تعديلا قليلا أو كثيراً حتى اجتمع لديه من ذلك ما يحسن نشره وعرضه على رؤساء الدواوين ورجال الصحافة فيرون رأيهم فيه »[1] .

ومضى المجمع على خطته التي وصف ، ينجز في كل جلسة عدداً غير قليل مما تحتاج إليه مصالح الحكومة من أوضاع وتراكيب . وقد طبع من أجل

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ١ / ٤٣

ذلك على نفقة (ديوان المعارف) ، سنة ١٩١٩ م (رسالة لغوية فى الرتب والألقاب وما يقابلها من العربى الصحيح مبنية على الرتب والألقاب فى مصر) لأحمد تيمور باشا . وقد أشار المجمع إلى ما كان يكلفه وضع المصطلحات من مراجعات فى الكتب القديمة ثم مداولات فيها بقوله يصدد أعماله فى دوره الأول :

« ومنها البحث فى عشرات من الألفاظ المتداولة فى أكثر دوائر الحكومة ، وتقرير الفصيح منها اعتماداً على أمهات الكتب القديمة مما استغرق النظر فيه جلسات عديدة للمراجعة والمفاوضة والتحقيق . »[1] ، « وترجم ونقح بعض القوانين كقانون التعليم الابتدائى وقانون الصحة العامة وقانون الحجر الصحى وبعض القوانين المالية »[2]

ويشير الأستاذ ساطع الحصرى إلى هذه الفترة بقوله : «واستحدثت الحكومة دروساً خاصة بالموظفين تستهدف تعليم الإنشاء العربى ، وأخذ عدد غير قليل من الأدباء والموظفين يراجعون الكتب العربية القديمة ؛ بغية إيجاد المصطلحات وتقرير أفصح الأساليب التى تليق بحكومة عربية حديثة ، وتألفت لهذا الغرض لجان عديدة سعت وراء تنسيق هذه الجهود وتعجيل ثمراتها ؛ وأصبحت بذلك الدولة السورية تستحق اسم الدولة العربية بصورة فعلية [3] ». وأكثر الذين أشار إليهم الحصرى من أعضاء هذا المجمع القديم .

حدد المجمع العلمى أهدافه فى منشور عام وزعه رئيسه فى الشهر التاسع لسنة ١٩١٩ باللغتين العربية والفرنسية على مجلات ومجامع ودور نشر فى الشرق والغرب ، يعنينا منه قوله :

« . . وقد وكل إلى المجمع النظر فى اللغة العربية وأوضاعها العصرية ، ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها ، وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون من

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى ١ / ٢٩

(٢) تاريخ المجمع العلمى العربى لأحمد الفتيح ص ١٧

(٣) يوم ميسلون لساطع الحصرى ص ٢٣٠ – بيروت (مكتبة الكشاف)

اللغات الأوروبية ، وتأليف ماتحتاج إليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمط جديد . . . كما عني بجمع المخطوطات القديمة الشرقية والمطبوعات العربية والإفرنجية على اختلاف موضوعاتها . . . وعني بالمكتبة الظاهرية وكان فيها نحو أربعة آلاف مجلد معظمها مخطوط ، فأضاف إليها نوادر المخطوطات والمطبوعات من شرقية وغربية ، فابتاع لها أكثر من ألفى مجلد حتى بلغ عدد مخطوطاتها زهاء ثلاثة آلاف مجلد بينها أمهات الكتب المفيدة فى التاريخ والأدب والفنون المختلفة ، بخطوط قديمة كثير منها بيد مؤلفيها ، ونسخ مضبوطة بقراءتها على كبار العلماء . . . ذلك فضلاً عن عناية هذا المجمع بوضع بعض التواريخ وتعريب بعض الكتب المفيدة ، وطبع الرسائل العلمية اللغوية فى الأوضاع المدنية وغيرها »[1] .

والحق أن المجمع جال فى غير ميدان واحد ولا أعرض هنا لبيان جهوده فى ميادين مختلفة كالبحوث اللغوية الفنية التى حوتها مجلته مما لا يعنى إلا أهل الاختصاص ؛ إذ لى فى كثير منها رأى خاص ليس هذا مجال إيراده وإنما مجالنا ما قدم المجمع للجماهير من خير غير قليل وخدمات عامة أسداها العارفون من أعضائه القدامى إلى اللغة العربية .

وأستطيع تنسيق ذلك فى أمور خمسة : تعريب المصطلحات ، والنظر فى لغة الكتب المدرسية ، والمحاضرات العامة للجمهور ، وتصحيح الأخطاء الشائعة فى الصحف وغيرها ، والإعداد لمعجمات فنية خاصة .

١ ــ الأمر الأول : تعريب المصطلحات التى طلبتها مصالح الحكومة أو الأفراد :

رفع المجمع إلى الحاكم العسكرى فى هذا الشأن قراره الآتى المستخدم فى ١٩١٩/١٠/١٤ وفيه بيان خطته جاء فيه :

« لما كانت الحكومات المختلفة قد تعاقبت على هذه البلاد بعد الفتح العربى ، وغيرت كثيرا من الأوضاع التى اصطلح عليها كتاب الدواوين ، وشوهت محاسنها ولا سيما فى عهد دول التتر والترك ، مست الحاجة إلى تجديد الأوضاع الأولى وتعريب الأخرى منها ، ووضع ألفاظ جديدة لمعان لم تكن قبلا ، وإلغاء ألفاظ لا توجد مسمياتها اليوم ، فأجلنا النظر فى كثير من من كتب الخطط والأحكام السلطانية

(١) مجلة المجمع العلمى العربى ١ / ٦

والدواوين والترسل والوثائق وماشاكل ، أهمها :

كتاب الخراج لأبي يوسف ، والخراج لقدامة بن جعفر ، وكتب الفتوح وأشباهها مثل مقدمة ابن خلدو وبعض التواريخ المشهورة ، وكتاب الطر للصلاح الصفدى والأحكام السلطانية للماوردى ، والأحكام السلطانية لأبى يعلى الحنبلى ، وسلوك المسالك لابن أبى الربيع ، وقوانين الدواوين لابن مماتى ، وكنز الكتاب لشاجم الرم والتعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمرى ومفاتيح العلوم للخوارزمى ، ومعالم الكتاب لابن شيث القرشى وصبح الأعشى للقلقشندى . . . إلى كثير من من أشباه هذه الكتب من مطبوعة ومخطوطة وهى معتمدة عند أرباب اللغة والتاريخ ، وبعضها – إن لم نقل كلها – من النوادر المحفوظة فى بعض المكاتب . (١)

وبعد أن اخترنا من الألفاظ ما رأيناه من حاجات دوائرنا اليوم ، أخذنا مصطلحات الدوائر الملكية المدنية والعسكرية ، وبدأنا فى اختيار ما يناسبها ووضع ما لم نجده ، أو تغييره لتغيير مفاده اليوم ، فاخترنا لها هذه الأوضاع بعد تمحيصها والمذاكرة فيها ، راجين أن يعمم استعمال هذه المصطلحات الفصيحة ، إحياء للغة العربية ، ورجوعاً إلى نضرتها الأولى » .

وكأن المجمع تنبأ بأن بعض مصطلحاته سيخدش الأسماع أول الأمر لعدم إلفه ، وأنها ستصقل – بمرور الزمن – فنبه المواطنين بقوله : «لا يخفى أن مجرد وضع المجمع لهذه الكلمات لا يفيد الفائدة المرغوبة مالم يتناولها الأفاضل رؤساء الدواوين ورجال الصحافة ، فيستعملوها فى كتاباتهم ويزيلوا خشونتها وغرابتها بالتداول والتخاطب والتراسل بينهم » ، وأوصى «إذا استعمل أحدهم هذه الأوضاع الجديدة حسن أولاً أن يتبعه بأصله القديم فيزيد بذلك وضوحاً وشيوعاً بين الناس ، فإذا استعمل كلمة (حاشية) مثلا أتبعها بالمصطلح الشائع سابقا بكلمة (دركنار) واضعاً لها بين هلالين» . (٢)

(١) وثيقة صادرة إلى الحاكم العسكرى برقم ٢٥٨ وتاريخ ١٤ – ١ – ١٩١٩ وانظر تاريخ المجمع العلمى ص ١٧

(٢) تاريخ المجمع العلمى ص ٢٣ فما بعد .

ومع ما كلفهم ذلك من جهود لم يمنّوا ، ولم يتبجّحوا ، بل تحلّوا بالتواضع حلية العلماء شاعرين أنهم يؤدون بعض ما عليهم لأمتهم جاعلين فى الوقت نفسه لعامل الزمن والذوق العام حساباً حين قالوا :

«ونحن على يقين من أن ما اخترناه للكتاب الأفاضل من هذه الأوضاع والتعابير الجديدة لم يكن خير ما يقال ، وأفضل ما ما يعول عليه ، إذ قد يتفق لبعضهم أن يخطر له كلمة أو تعبير خير مما وضعنا واخترنا ، فله أن يستعمل ما ارتآه ، كما أن لغيره أن يستعمل ما ارتأينا نحن ، فتحيا الكلمتان معاً أو إحداهما التى تكون أفصح وأصلح . . . وبعض الكلمات التى جددناها مقتبس من أوضاع الدول العربية القديمة كديوان الخراج وديوان العمائر »[1] .

بعد هذا البيان بدأ المجمع ينشر فى الصحف قوائم فى ثلاثة أصناف :

١ ـ صنف حوى كلمات عربت أو حولت عن أصلها ، فالمعرب مثل كلمة (الطابو) عربوها بـ (التمليك) ، و (سرقوميسيير) عربوه بـ (مفوض أول) ، و (سيفيل قوميسيير) عربوه بـ (مفوض التحرى) ، و (نوبتجى) عربوه بـ (آذن أو بواب) ، و (أوده جى) بـ (فراش) و (ذمت و إيليشك) بـ (الدين والعلاقة) و (قاصة دفترى) بـ (دفتر الخزانة) ، و (خرجراه) بـ (نفقة السفر) . . إلى آخر الكلمات التركية أو الفرنسية المشتركة .

وما حول عن أصله مثل (دائرة الهندسة) حول إلى (لجنة التخطيط) ، و (المأمور الصحى) حول إلى (الملقّح) ، و (الهيئة الفنية لإنشاءات الأوقاف) جعلوه (لجنة العمائر فى الأوقاف) وهكذا مما وضّح المدلول وأزال عمومه أو اختصر اسمه .

٢ ـ وصنف عدلوه بعض التعديل مثل (مدير التحريرات) جعلوه (مدير الرسائل) ، و (القائمقام) جعلوه (القيم) و (أوراق موروده) جعلوه (الرسائل الواردة) . . وهكذا[1]

٣ ـ و صنف ثالث حوى كلمات مختلفة تدل على أثاث أو معلقات أو غيرها مما يستعمله الناس ، فكلمة (ماصة) التركية مثلا عربوها بـ (مكتب) و (قولتق) عربوها (متكأ) و (دوسه) عربوها بـ (إضبارة

(١) تاريخ المجمع العلمى ص ٢٣ فما بعد .

أو ملف)فراجت الإضارة فى الشام. وراج (الملف) فى مصر وليبية، و(روزنامه) عربوها بـ ((تقويم) وهى الرائجة اليوم فى الشام. وتتابعت هذه القوائم حتى سدت حاجة المصالح الحكومية يومئذ.

إضافةً إلى ماتقدم كانت ترد على المجمع طلبات كثيرة من الأفراد تطلب مقابلاً لكلمات أجنبية تركية وفرنسية وإيطالية يستعملها الناس مما يسميه زملاؤنا فى مصر (ألفاظ الحضارة) فكانت تنشر فى الصحف اليومية الطلبات وتلبياتها، بل تأتى المجمع طلبات من خارج سورية (المختصرة فى عهد الاحتلال)، فهذا الأستاذ بولس الخورى من بيروت قدم إلى المجمع اقتراحاً «يطلب فيه وضع أسماء للرتب العلمية والألقاب التى تمنحها الجامعات لطلابها فأحيل اقتراحه على الأستاذ أنيس سلوم فأجاب عليه [(١)]».

لم يقتصر هذا التشوف إلى التعريب السريع على أجزاء الشام (سورية المختصرة ولبنان المكبر والأردن وفلسطين واسكندرونة) بل جاوزها إلى العراق، ويجب ألا ننسى أن الشام والعراق عمهتما حماسة شديدة للعروبة منذ العهد العثمانى، يدلك على ذلك تضافر أعلام من العراق ومصر إلى جانب السوريين فى إذكاء هذه الروح فى مجلة المجمع، والوقوف بالمرصاد للمشككين من المستتركين فى الداخل أو المتفرنسين فى الساحل، فهذا الأب أنستاس الكرملى من العراق ينشر فى المجلة بحثاً حوى الملاحظات الآتية التى تصور فى تعبيرها جو التبرم بهؤلاء المشككين:

«أولا – على كل عربى متفرنج ألا يقطع بعجز اللغة أو ضعفها إن لم يكن له وقوف على أسرارها وألفاظها ودقائق معانيها ومبانيها.

ثانياً – يحسن به أن يستفتى أحد الأدباء أو يستشيره أو يبحث هو بنفسه عما ينشده من أمر ضالته.

ثالثاً – إن لم يفز بطائل فلينسب العجز إلى نفسه، أو إلى من أراد أن يغترف من بحار أفكارهم، ولا ينسب شيئاً إلى اللغة، فاللغة كنز مدفون أو كالمدفون؛ فإذا كان لايوجد من يدلك عليه فهذا لاينفى وجوده» [(٢)]

(١) حاضر اللغة العربية لسعيد الأفغانى ص ١٠٢ – الطبعة الثانية: دار الفكر ببيروت سنة ١٩٧١

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى ١ / ٢٣٩ سنة ١٩٢١

كان ذلك قبل ٥٧ سنة إثر الاحتلال الفرنسي والإنكليزي ،وقد رحل الاحتلالان رسمياً على الأقل ، وقامت في عقر دارنا جامعة أجنبية صهيونية (الجامعة العبرية) منذ أربعين عاماً ، تدرس العلوم وأحدث الاكتشافات بلغة ميتة حقًّا لكنها لغة أجدادهم وتوراتهم على كل حال ، أحيوها ليحيوا ؛ وما يزال فينا من جُنِّد ليردنا مئة عام إلى الوراء فيتساءل توانيًا وكسلاً وكعاعة ولكاعة: «أتصلح العربية لتدريس العلوم » ؟

هذا عن الأمر الأول ،أمر المصطلحات : فلنتابع الحديث بإيجاز عن بقية الأمور الخمسة :

٢ ـ الأمر الثانى : الكتب المدرسية :

صدرت الأوامر إلى المعلمين فى المدارس الابتدائية والثانوية بترجمة الكتب المدرسية من التركية إلى العربية بالسرعة القصوى ، ثم ينظر فى لغة كل كتاب مترجم أو مؤلف أحد أعضاء المجمع أو أحد المختصين باللغة العربية ، فيصلح لغتها ويشارك صاحب الاختصاص فى ترجمة المصطلحات ، وكنت ترى على غلاف كل كتاب ، تحت اسم المؤلف والمترجم هذه الجملة :

(نظر فى أسلوب إنشائه فلان عضو المجمع العلمى العربى) ، وأذكر أن كل الكتب التى درستُ فيها بالمدرسة الأولية تحمل هذه الجملة .

ولايحتاج أثر هذه الخطة فى سرعة قلب الأوضاع إلى بيان. ثم كثر فى المعلمين أرباب السلائق السليمة فى اللغة ، فخف العبءُ عن أعضاء المجمع . وظاهر أن ميدان المدارس أوسع مجالاً من إدارات الحكومة ، إذ بعد خمس سنين من الحكم العربى صار أكثر طبقة الموظفين ممن يحسنون لغتهم إنشاءً وقراءة وذوقا .

٣ ـ الأمر الثالث : المحاضرات :

نشط الأعضاء إلى تثقيف الشعب عامة : الطلاب والأميين والعلماء والعامة ، فكانت محاضراتهم فى ميادين الأدب واللغة والاجتماع والأخلاق والصحة والعلوم والدين .. تعرض ميسرة المعلومات ، واضحة البيان بحيث يفيد منها العالم والعامى كل بحسب استعداده ، وقل أن خرج العامى بغير فائدة.

ومما يسر الأمر على عامة الناس أن أن دار المجمع فى المدرسة العادلية هى فى

لب البلدة القديمة ليس بينها وبين الجامع الأموى الكبير إلا خطوات.

كان أثر المحاضرات هذه غير ضئيل فى تأليف الآذان على الأنس بالفصحى والنطق السليم ، وزيادة فى التشويق كان المجمع يضمن الإعلان عن المحاضرات فى الصحف : أن قصيدة للشاعر فلان ستلقى عقب المحاضرة ، وأغلب هذه القصائد وطنية تندد بالظلم وتغرى بمقاومته. فيقبل الناس لينفثوا عن صدورهم غيظها وضيقها بالمحتلين وليؤمنوا أن القمع مهما يشتد لا يكمّ الأفواه الحرة الذكية. فكانت تغص قاعدة المحاضرات عقب صلاة العصر كل يوم جمعة بالمستمعين ولاسيما فى الشتاء. ولقد أحصيت فى حياة هذا المجمع خمس عشرة سنة (١٩١٩ - ١٩٣٤) مئتين وستًّا وخمسين محاضرة عامة.

٤ - **الأمر الرابع : تصحيح الأخطاء الشائعة :**

وهو ما كان ينشره المجمع فى الصحف اليومية بعنوان (عثرات الأقلام) وهى سلسلة مقالات بلغت الثلاثين ، يعاد نشرها فى المجلة بعد أن تنشرها الصحف ، وقد بينوا خطتهم فى المقالة الأولى بقولهم :

«رأى المجمع أن ينشر فى مجلته وفى الصحف المحلية من وقت إلى آخر نبذة لا تتجاوز العمودين فى نقد ما تهفو به أقلام بعض الكتاب فيما يكتبونه ويحبرونه وسنجتهد فى الاقتصار على ما نظنه خطأً من القول مما يحتاج الأمر فيه إلى الرد والمناقشة . . . وندع التصريح باسم الكاتب الذى نؤاخذه والصحيفة التى كتب فيها ، فعسى أن يقع عملنا هذا من أهل الفضل موقع الرضا والقبول فيتدبروا ملاحظاتنا هذه ويراعوا العمل بها كلما سنحت فى كتاباتهم أودارت على أسلات أقلامهم (١) »

وإليكم بعض الأمثلة مما نشروا :

« فمن عثرات الأقلام قولهم :

(عدم اعتياد الموظفين على كذا) صوابه (عدم اعتيادهم كذا) . . . وقولهم : (أجمعت الصحف على حياد إنكلترا وعدم مداخلتها مع اليونان) وإذا لم يكن بد من استعمال (مداخلة) فالأصح أن يقال (وعدم مداخلتها اليونان)... وقولهم : (وصل البلد عصارى يوم الجمعة) صوابه (عصر يوم الجمعة) لأن (عصارى) ليست فى كتب اللغة . . . وقولهم :

(١) مجلة المجمع العلمى ١ / ١٧٣ فما بعد

(استفسروا من بعضهم بعضاً) وقولهم (ينظرون إلى بعضهم البعض) صوابه (استفسر بعضهم بعضاً) و (ينظر بعضهم إلى بعض) [قالوا] وهو غلط فاحش فليتنبه إليه . وقولهم (فلان كفؤ لوظيفة كذا) و (فلان من الأكفاء لكذا) وصوابه (فلان كفيٌّ وهو من الأكفياء) أى ذو كفاية ومقدرة على العمل ، أما (الكفؤ) بالهمزة فهو بمعنى المثل واستعماله بمعنى (الكفيِّ) بالياء خطأٌ ينبغى التفطن له . . . وقولهم (جاء القوم بما فيهم العلماء) صوابه أن يقال : (جاؤوا وفيهم العلماء) . . . إلخ »[1] .

ولم يكتفوا بالنشر ، بل كانوا يتابعون آثار تصحيحاتهم ، فحين يرون الخطأ يتكرر ينبهون أصحاب الصحف تنبيه المسيطر المؤاخذ ، فقد جاء فى مجلتهم : « إننا عجبنا لأغلاط ننبه إليها ونشير إلى الصواب أو الأصوب ، ثم نراها أحياناً فى الصحف ، بل أعجب من ذلك أن نرى الأغلاط تُعاد وتُكرر فى الصحيفة التى التى تنشر (العثرات) ، فنرجو حضرات مصححى الصحف أن يلاحظوا ذلك ؛ وإلا لم يكن لنشر (العثرات) فى صحفهم معنى ولا قيمة ، وصح أن يخاطبوا بقول الشاعر :

يا أيها الرجل المعلم غيره . . . البيتين[2] »

كانت استجابة الناس لهذه التصحيحات استجابة عمل بها فى الجملة ، وقد عاد هذا الإصلاح المتسلسل على كتاب المصحف والقراء والطلاب بكل خير فى تقويم أساليبهم .

٥ — الشروع فى بعض أعمال معجمية :

أما هذا الأمر الخامس فيختلف ، إذ أن الأمور الأربعة السابقة كانت ميادينها عامة للجماهير ، أما هذا فميدانه علمى خاص ، عنيت بذلك الألفاظ التى يجمعها المختصون فى اختصاصاتهم ليكون لهم منها شبه المعجمات الفنية الخاصة ، فبعض أعضاء المجمع أساتيذ فى مواد علمية يدرسونها فى كلية الطب ، وقد ذيل أكثر هؤلاء كتبهم العلمية — وهى فى اللغة العربية طبعاً — ذيلوها بمعجم

(١) الحاشية السابقة

(٢) مجلة المجمع العلمى ٢ / ٨٨ .

ملحق فى المصطلحات التى وضعوها إزاء المصطلحات الفرنسية ، وذلك أعلق بموضوع الجامعة لا المجمع. ومع هذا فإليكم وصفاً لجراحة فتق نادرة قام بها أحد أساتذة المعهد الطبى بدمشق :

فتق مغبنى عَرْطَل(*) geant

للحكيم (لوسركل) أستاذ السريريات الخارجية .

ترجمة الدكتور مرشد خاطر

تسمحون لى بعد أن ذكرت بعض المجلات الجراحية فتوقاً ضخمة ورسمت رسومها أن أُقدم لمجلتكم رسمين يمثلان مريضاً عمره (٣١) سنة ، ومهنته لحّاد ، كان مصابًا بفتق مغبنى أيسر غير قابل الرد ، فأُجريت عمليته فى حزيران المنصرم (سنة ١٩٢٥) ، وقد رغبت فى نشر هذه الحادثة لأن هذا الفتق غريب بحجمه ومحتوياته وطريقة إجرائه :

أما حجمه فهو ضخم جدًّا ولم أُصادف له شبيهًا مع أننى مارست الجراحة منذ مدة طويلة ، فهو خليق بأن يدعى (عَرْطلًا geant) لأنه لا يقل حجمًا عن الفتوق التى سميت بهذا الاسم ونشرتها المجلات الجراحية ، ولعله يفوقها حجمًا وهذه مقاييسه :

طوله من العانة حتى قطب العنق السفلى ٤٥ سانتيمترًا

محيطه عند جذره ٣٥ سانتيمترًا

محيطه فى أغلظ مكان منه ٦٥ سانتيمترًا

ويخيل للناظر إليه . . أنه « ورم فيلى » فهو يتجاوز الركبة فى حالة الوقوف ، وأما حين استلقاء المريض على ظهره فإنه ينبسط على فخذى المريض ويقصر سانتيمتر أو سانتيمترين ، إلا أنه يزداد حينئذ عرضه بقدر ماينقص طوله . وكانت تبدو على الصفن أوردة متوسعة توسعًا كبيرًا . أما محتوياته فكانت : القسم الأكبر من المِعىَ الدقيقة ، والأعور الذى كان كثيفًا متوسعًا يصحبه الذيل الدودى ، وقسم كبير من القولون .

أما العملية الجراحية فقد تم إجراؤها كما يلى :

بعد أن خدر المريض تخديرًا قطنيًا بحقن أربعة سانتيمترات (ستوفايين)

(*) العرطل : الضخم والفاحش الطول ، وهو ترجمة geant .

النص فى كتابى (من حاضر اللغة العربية) ص ١٥٤ نقلا عن مجلة المعهدالطبى العربى بدمشق .

جعل فى وضعة مائلة ، وشق الجلد شقًا لايختلف عن الشق العادى إلا بكونه أطول منه ، وذلك من مقتضيات الحالة الحاضرة . وبعد أن فتح الكيس الفتقى وفكت بعض الالتصاقات بدأتُ بإعادة المعى الدقيق إلى الجوف البطنى من وراء القولون . وقد اضطرت إلى قطع المنحرفة الصغيرة لكى أتمكن من إعادة الأعور والقولون اللذين كانا متوسعين وكثيفين لأن ردهما كان الزمن الأشد صعوبة من أزمنة العملية ، ولم أتعرض للذيل الدودى مع أنه كان كثيفًا بعض الكثافة أسوة بالأعور .

وبعد أن تم الرد ظهر الصفن كأنه جوف كبير قد فقد مرانته ، ولم يكن بُدٌّ من قطع قسم كبير منه ، وكان قطعه شاقًا متعبًا . وكان الكيس الفتقى ملتصقًا به أشد الالتصاق ، والخصية اليسرى الضامرة مدفونة فى جداره ، فلم أتعرض لتفريقه وإنما اكتفيت بتفريق جذره . وربطه وسد الفوّهة البطنية ، ثم قطعت القسم الكبير من الصفن ووجدت صعوبة كبيرة فى قطع النزف الذى كان غزيرًا .

أما الأيام التى تلت العملية فقد كانت شديدة ، لأن المريض أُصيب بعد (٤٨) ساعة بذات الرئة اليمنى ، ولأن الجرح تمزقت قُطَبه فابتعدت شفتاه إحداهما عن الأُخرى ، ولأن جذمور الكيس الفتقى الذى كان قد ربط كفم الكيس أُصيب بالموات ؛ غير أن هذه الأعراض الموضعية تحسنت جميعها بعد إجراء حقن (سيانور الزئبق) . وكان يجب أن يحقن بها المريض قبل العملية لو كان انتُبه إلى الندبة القديمة التى كانت موجودة على ظهر قضيبه . ومهما يكن فقد شفى المريض شفاءً تامًا وعاد إلى مهنته بعد مرور شهرين . وقد رأيته ثانية منذ بضعة أيام فرأيت جدار قناته المغبنية متوسعًا بعض التوسع ، كما يبين الرسم الثانى ، غير أنه لايحتاج إلى عملية ثانية .

وبهذه المناسبة أُوجه أنظار الزملاء الكرام إلى توسع أوردة الصفن التى كان مصابًا بها هذا المريض ،والتى اضطرتنى إلى صرف وقت طويل أثناء العملية توصلًا إلى قطع النزف ، فقد روى لى زميل حادثة مريض كان مصابًا بفتق عَرْطَل ، فعالجه أحد الدجالين بالكىِّ السطحى ،

ويظهر أن الكيّ أصاب وريدًا فبزله ، وكانت النتيجة أن نُزف دم المريض فمات » .

مجلة المعهد الطبي العربي بدمشق

ص ٥١٢ – ٥١٦ من جزء تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ م) .

أما شبه المعجمات التي قام بها أعضاء المجمع من غير الأطباء « فبحوث[١] جزئية في اللغة قدموها للخاصة من المتعلمين ، يحتاج إليها ذوو الاختصاص الضيق ولا يستغني عنها غيرهم من المثقفين . سهر أصحابها ليالي طوالا يسردون المعجمات المختلفة مستخرجين منها ماتمس الضرورة حديثا إلى استعماله ، وقد أحيوا بعملهم هذا مئات من الكلمات كانت غريبة أو ميتة ، فسالت على – ألسنة المتعلمين ، وطردت مرادفاتها الأعجميات . وإليكم عمل أستاذين من الأعضاء :

الأول : الأمير مصطفى الشهابي ، رحمه الله ، فقد بدأ سنة ١٩٢٢ في نشر بحوث متسلسلة عنوانها (ألفاظ عربية لمعان زراعية) في تسع حلقات آخرها نشر سنة ١٩٣٠[٢] . وللأمير جولات كثيرة في مثل هذا الميدان فنجد له بحثًا في (ألفاظ التصنيف في الفقاريات)[٣] كما نجد له سلسلة في (أسماء نباتات مشهورة[٤])

ألفاظ عربية لمعان زراعية

وهذا مطلع أولى المقالات نشر آخر عام ١٩٢٥ في المجلد ٥/٥٥٨ :

« رغب إليّ بعض خريجي المدارس الزراعية أن أستخرج لهم من المعاجم العربية أو من كتب السلف الفنية ألفاظًا زراعية صحيحة يمكن الرجوع إليها ، إما في ترجمة ألفاظ أعجمية وإما في الدلالة على معانٍ لكلمات زراعية ، فنزلت عند رغبتهم واستخلصت إلى اليوم بضع مئات من كلمات لاتخرج في معناها عن أغراض الفنون الزراعية ، وعقدت النية مى

---

(١) من حاضر اللغة العربية ص ١٠٤
(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ٥/٥٥٨ / ١٠ / ٧٧٦
(٣) المصدر السابق ٢٠ / ٣٩٩ و ٤٨٨
(٤) المصدر السابق ١٨ / ٤٩٣

تمت على صوغها رسالة مرتبة على حروف المعجم :

إذا طال الزرع واستأسد من فرط العناصر الغذائية فى التراب لاسيما (النتروجين) منها يقول فلاحو بلادنا إنه (هاف) ويقول الفرنسيون (il aversé) ، واستعمل المصريون كلمة (ترقيد) لمصدر هذا الفعل ... والصحيح هو أن نستعمل كلمة (قصف الزرع قصفاً) ، إذا جاء فى كتب اللغة أن معناه (طال حتى انثنى من طوله) . ودواء الزرع الذى يستأسد أى يطول على هذا الشكل : قطع رؤوسه ، وهو بالفرنسية (Essimage) وبالعربية : شرنف الزرعَ وشرنَفه ؛ أى قطع شرنافه وهو ورقة إذا طال وصار مُضِراً به .

ويطلق بساتنة الغوطتين كلمة (عدان) على حظ بُقولهم أو أشجارهم من الشرب ، وهو بالعربية (السِّقْى ، والقِلْد) يقال : (كم سِقْى أرضك ؟ وهل استوفت أرضك قِلدها من الماء ؟) ، و (القَلْد) مصدر (تقالدوا الماء) أى تناوبوه ، يقال : (كم قَلْد شجركم ؟) فيقال : (يشرب فى كل عشرٍ مرة) .

وآخر فقرة فى المقالة التاسعة المنشورة فى المجلد ١٠ /٧٦٦ الصادر فى كانون الأول سنة ١٩٣٠ :

« وفى شمالىّ الشام صنف من الضأن يسمونه (العوسِى والعواسِى) وهو أكثر الأصناف انتشاراً ويظهر أنه قديم ، فقد ورد فى الأمهات أن (العوس) ضرب من الغنم وأنها الكباش البيض ، وأن الكبش العوسى منسوب إليها .

وأشهر عروق الضأن فى العالم الصنف المسمى (mérinos) وشهرته منبعثة من جودة صوفه وغزارته ، وهو يغطى حتى جبين النعجة وخديها ويبلغ رأس منخرها أحيانا . والصوفة مرنة جداً ورِيمادقت فلم يزد ثخنها على $\frac{١٠ - ١٥}{٠٠}$ من المليمتر .

والذى يهمنا ذكره ، مما يكاد يكون مجهولاً لا يعرفه إلا نفر قليلون من علماء الدواجن ، أن هذا العرق من الضأن

(١) النص فى ص ١١٨ من حاضر اللغة العربية

ينسب إلى بنى مرين المغاربة المشهورين . ذلك أنه عرق المغرب الأصلى ، جوّده العرب بعد نقله إلى الأندلس منذ سطعت أنوار مدنيتهم فيها ، واستعملوا صوفه فى صناعة المنسوجات الصوفية الدقيقة التى استفاضت شهرتها فى أنحاء أوربة وإفريقيا والشرق العربى ، ثم احتفظ به الإسبانيون بعد العرب فسموه (مرينوس) نسبة إلى بنى مرين . وهو اليوم أكثر عروق الضأن انتشاراً ، ولا تكاد دولة من الدول المهمة تخلو منه ، وهو يُعَدُّ بالملايين فى كل منها . ومن صوفه تصنع نسج الجوخ الدقيقة الحوك » .

ولا يكاد يخلو مجلد من مجلدات مجلة المجمع من تتبعاته وتحقيقاته على مدى سنين طويلة ، أرفد فيها اللغة الزراعية بثمرات جدد حتى استوى له فيما بعد معجمه الثمين (معجم الألفاظ الزراعية بالعربية والفرنسية) ، فأسدى إلى أمته وإلى علوم الزراعة أجلَّ الخدمات . ولو كان لنا فى كل ميدان من ميادين العلوم والفنون والصناعات مثل الأمير لكان بناء نهضتنا اللغوية العلمية يناطح السحاب منذ أمد طويل .

والأستاذ الثانى : محمد سليم الجندى رحمه الله ، فقد جمع كل مايخص الكرمة من مصطلحات منذ تكون بذرة إلى تساقط أوراقها ، ومايخصها من عناية زراعية ، وما يعتريها من أحوال وأزمان ، مع ذكر أسماء مواضعها . . . إلخ ، ونشر ماجمعه من دواوين اللغة وكتب التراث متسلسلاً فى مجلة المجمع بعنوان (رسالة الكرم)[1] فما يخطر بالبال مسمى لبعض ذلك إلا كان مشروحًا فى بابه .

رسالة الكرم

وقد مهّد الأستاذ سليم الجندى لرسالته بسبب تأليفها وخطته فى جمعها قال :

« سألنى بعض الأدباء فى دمشق عما يرادف كلمة (يبرق)[1] التركية ،

---

(١) ٩ / ٢٨٠ / ١٠ / ٧٦٢

(١) من أطعمة الشام والأناضول ، وهو ورق العنب يلف على حشو من الأرز واللحم المفروم الرقيق .

من العربى الفصيح ، وكنت لا أعرف لها مرادفا ، فرغبت إليه أن يمهلى فى الجواب . . ثم طفقت أتصفح كتاب القاموس المحيط للفيروز بادى حتى ظفرت بضالتى التى أنشدها وأعلمت السائل بها .

وقد عثرت خلال البحث عنها على كلمات فصيحة تتعلق بالكرم يتداول الناس غيرها من عامىّ ودخيل ، فارتاحت نفسى إلى متابعة البحث والاستقراء وتدوين ما يقع إلىّ فى هذا النوع فى رسالة مستقلة تقرب على الباحث كل قصّى وتذلل كل أبىّ . . فاطلعت على نسخة من (البلغة فى شذور اللغة) [وفيها كتاب النخل والكرم المنسوب للأصمعى] فألفيتها غزيرة المادة لكنها مشتتة المباحث خالية من الترتيب الذى يقرب الوقوف على مسائلها . . فعارضتها بما جمعته واصطفيت منها مالم أعثر عليه من قبل ، ثم استصفيتُ ما فى المخصص لابن سيده ، وأطفت ذلك كله إلى الرسالة حتى اشتملت على كثير من المباحث الطريفة والأسماء النادرة ، وأفردت لكل نوع من أجزاء الكرم مبحثاً مستقلاً أثبت فيه ما وقع لى من الأقسام والأسماء والأوصاف التى تتعلق به وتلائمه . . إلخ[1] .

موضع الكرم

الفِردوس : الموضع تكون فيه الكروم ، مذكر وقد يؤنث ، قال فى اللسان : (العرب تسمى الموضع الذى فيه الكرم فردوساً ، وأهل الشام يقولون للكروم والبساتين : الفراديس . ويقال : كرم مفردس أى معرش .

الجنة : الحديقة ذات الشجر والنخل . . قال أبو علىّ فى التذكرة : (لاتكون الجنة فى كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب ؛ فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فحديقة وليست بجنة . . إلخ .

مجلة المجمع ١٠ /٤٦٦

الوشيع والحظيرة

الوشيع : حظيرة الشجر حول الكرم والبستان ، الجمع وشائع . . يقال : وشّعوا على كرمهم توشيعاً : حظروا عليها بالشجر ، ووشع كرمه : جعل له وشيعاً وهو أن يبني جداره بقصب أوسعف يشبك الجدار به وهو التوشيع . . .

---

(١) من حاضر اللغة العربية ص ٢٠

الحفر والركايا

الشَّربة بالتحريك : كالحُويض يحفر حول الشجرة ويملأ ماء ... فتتروى منه ... وشرَّب الأرض والنخل جعل له شربات .

الفُقُر : ركايا محفورة بعضها إلى جنب بعض ، وينفذ بعضها إلى بعض وأحدها فقير إلخ . مجلة المجمع ١٠ /٤٦٨

وله أيضاً (رسالة الطُّرق) [٢] جمع فيها الألفاظ المتعلقة بالطُّرق وأنواعها وتمهيدها وأحوالها ، فأحيا عشرات الألفاظ المحتاج إليها اليوم ، ورتبها على حروف المعجم فجاءت معجماً وافياً فيما يتعلق بالطرق .

ويُلحق بعمل هذين الأُستاذين ماصنعه الأستاذ عزّ الدين التنوخيّ رحمه الله بناءً على طلب طلب قدم إليه ، حين حصر كل أجزاء الآلة الكاتبة ؛ فصوَّرها ورقَّم أجزاءها ودرس عملها ، ثم وضع لها المصطلحات المقابلة لمصطلحاتها الفرنسية الرائجة ، ونشرها فى المجلة ، ثم طبعت فى كراسة تخاطفها طلاب مدرسة التجارة ومعلمو الآلة الكاتبة والضاربون عليها . وفعل مثل ذلك بالدراجة (البسكليت) [١]

وراجت أكثر هذه المصطلحات ، وخطته فى ذلك سليمة المنهج .

وحسبنا أعمال الشهابى والجندى والتنوخى نماذج جيدة لما صدر عن المجمع فى هذا الباب .

* * *

أما بعد ، فهذه جهود المجمع الأول ، المباركة البناءة فى ، عمره الذى لم يجاوز خمس عشرة سنة ، وهذا ما قدمه أفاضلة لأمتهم . ولقد مضى على إلغائه ٤٤ سنة خطَا الزمان فيهنَّ خُطًا فساحًا ، ومض الأمام بالعربية قدماً إلى فما صنعه من بعده الحاذقون من أساتذة الطب والعلوم فى الشام — وهم كثر — أدقّ وأغزر ، والزمن بنا ماضٍ لايتوقف : كثر عندنا المختصون فى علوم وفنون ، ولم يعد أكثرهم بحاجة إلى استنجاد بمن يضع له مصطلحًا أو ينظر له فى أسلوب إنشائه ، إلا استشارات بين الحين والحين لمن عرف بالقوة والذوق وسعة الأفق فى العربية خاصة والثقافة عامة ، يعرض عليه عمله ليفيد من نظره وملاحظاته والأساتذة من المختصين ماضون فى سدّ

---

(١) ١٣ / ٣٦٣

(٢) ١٨ / ٤١١ — ٢٠ / ٣٣١

حاجة طلابهم من التأليف ووضع المصطلحات التى تستعمل وتعيش من ساعة طرحها ، فيتلقفها الطلاب ، متابعين مع مدرسيهم سير العلم .

فإن سألم : ما الذى أسعفهم بحاجاتهم أجبتُكم بما أعرف عن بعضهم : إنهم حازوا ثلاث خصال :

١ ـ قوةً وتمكنًا فى اختصاصهم ومتابعةً له وشغفاً به حتى العشق .

٢ ـ إدامة النظر فى مؤلفات الأسلاف فى فنونهم نفسها ، فجنوا ربحاً مزدوجًا : عثورهم غالبًا على مصطلحات مواتمة لما يبتغون ، واطلاعهم على صفحات من تاريخ العلم الذى اختصوا به .

٣ ـ أُنسهم الشديد بصحبة المعجمات التى حفظت لنا عبقرية لغتنا وأُمتنا ، يستنطقونها بصبر وأناة ومنهجية .

وقلَّ فيهم من لم يسرد القاموس المحيط بأجزائه الأربعة منُ الغلاف إلى الغلاف ، بل منهم من طالع مخصص ابن سيده بأناة ومصابرة للزمن مهما يطل ، يجدون فى ذلك لذتهم . إن ظفرهم من المعجمات بما يبتغون أنساهم تعبهم وسهرهم فى الغوص والبحث ، وجنوا إلى جانب ذلك من الفرائد والفوائد مالم يكونوا يحتسبون ، حتى لكأن (أناتول فرنس) إياهم وصف فى مقال له عن معجمات اللغة ، وبلسان حالهم قال :

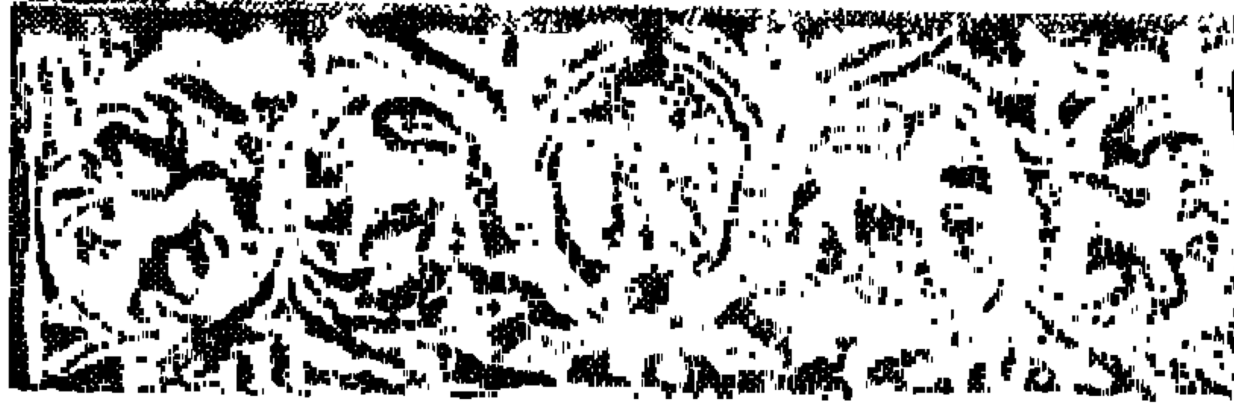
«إنى أُحب معجمات اللغة ، فأنا لا أُحبها لمجرد فائدتها العظيمة ، ولكنى أُحبها لأنها تحتوى على شئ فخم ، انظر إلى معجم (غازيه) أو إلى غيره من المعجمات ، وتصور أنك ترى روح وطننا كله فى هذا المعجم ، ليتصور ذهنك أن فى هذه الصفحات التى يبلغ عددها ألف صفحة أو (١٢٠٠) صفحة : عبقرية فرنسا وطبيعتها . ليتصور ذهنك أن فيها أفكارَنا وأفكار أجدادنا ، وأفراحَنا وأفراحهم وأعمالَنا وأعمالهم ، وآلامنا وآلامهم . ليخطر ببالك أن

فى هذا المعجم آثار الحياة العامة ، وآثار الدور والمنازل ، آثار الذين استنشقوا الهواء الصالح ، وشموا النسيم العليل الذى نشمه اليوم . ليخطر ببالك أن كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الأفكار ؛ كان فكر طائفة من البشر لا يُعلم عددهم ، وكان عاطفة من العواطف كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم . ليهجس فى صدرك أن كل هذه الكلمات المجموعة إنما هى لحم الوطن والبشر ، ودمهما ، وروحهما » .

أجَلْ . هذا هو الطريق .

سعيد الأفغانى

عضو المجمع المراسل من سورية



---

(١) من محاضرة (فى الأدب) ألقاها علينا الاستاذ شفيق جبرى فى كلية الآداب قبل خمسين سنة ،ونشرها المجمع العلمى فى مجلة ١٠ / ٣٧١

تحقيق لسان العرب

— ٩ —

للأستاذ عبد السلام هارون

٩٦١ – (وأل) ٢٤٥ س ٢ وبيروت ٧١٩ ، قول الشاعر :

ماح البِـلادَ لنـا فى أَوّليَّتنـا
على حَسُود الأَعادى مائحٌ قُثَمُ

وكذلك وردت « حَسُود » خطأً فى مادة (قثم) ، والصواب « حُسود » بضم الحاء كما فى المخطوطة . والحُسود : مصدر كالحسد ، يقال حسَدَه الشىءَ وعليه يحسِده ويحسُده حسدًا وحُسودًا وحَسَادة ، كما فى القاموس . وفى اللسان : حَسَده يحسِده بالكسر حَسَدًا ، ويحسُده بالضم حُسودا .

وعلى هذا فهو بضم الحاء لاغير .

٩٦٢ – (وأل) ٢٤٥ س ٢١ وبُيروت ٧١٩ : « قال خالد بن قيس بن منقذ بن طريف بن مالك بن بحره » . ووردت الكلمة الأخيرة مهملة النقط هكذا وصوابها « بُجْرة » كما هو واضح فى اللسان (شرط ١٩ ومجالس ثعلب ٤٥٠ وقد رسمت فى المخطوطة « بُحرة » بضمة فوق الباء وسكون فوق الحاء ، وصوابها الجيم .

٩٦٣ – (وكل) ٢٦٣ س ١ وبيروت ٧٣٥ قوله : « والوكيل : الجرىءُ . وقد يكون الوكيل للجَمْع » . وفى المخطوطة : « الجرى » مع وضع مدة فوق الراء . وصوابها « الجرىّ » بالياء المشددة ، من جرى لا من جرأ . وفى اللسان (جرى – ١٥٤) : « والجرىُّ : الوكيل ، الواحد والجمع والمؤنث فى ذلك سواء » . وفيه أيضاً : « ابن السكيت : إنى جرّيت جريًّا ، واستجريت ، أى وكّلت وكيلا » .

٩٦٤ – (أدم) ٢٧٤ س ١٠ قول الشاعر :

إذا ما الخبزُ تأْدِمه بلَحْمٍ
فـذاك أمـانةِ الله الثـريـدُ

وفى نسخة بيروت (١٢ : ٩) لم تضبط كلمة « أمانة » . وضبطت فى المخطوطة بالنصب ، وهو الصواب كما فى سيبويه ١ : ٢٣٤/٢ : ١٤٤ بولاق — و ٣ : ٦١ ، ٢٩٨ من نسختى . وهوشاهد على حذف حرف القسم قبل « أمانة » التى نصبت على نزع الخافض ، وهو حرفُ القسم .

٩٦٥ — (أرم) ٢٨٠ س ٢٥ والمخطوطة قول مرقش الأكبر :

فاذهب فدًى لك ابن عمِّك لا تـحـ

. . . إلا شيبـــة وإرَمْ

وجعلت فى بيروت ص ١٥ « ابن عمك لائحا » . وصواب النص وإكماله من المفضليات ٢٣٨ :

فاذهب فـدًى لك ابن عمِّك لا

يخلـد إلا شـابَـةٌ وأَدمْ

وشابةٌ وأَدَم : جبلان من جبالهم .

٩٦٦ — (أمم) ٢٨٨ س ١٦ وبيروت ٢٣ والمخطوطة قول عامر بن مالك ملاعب الأسنَّة :

يمَّمْتُه الرُّمحَ صَدْرًا ثم قلتُ له

هـذى المُرُوَّةُ لا لِعْبُ الزحاليق

والرواية المشهورة الجيدة « شَزْرًا » لا « صدرًا » ، كما فى اللسان (زحلق) والمقاييس ٦ : ١٥٢ . وقد وردت رواية : « صدرا » فى اللسان (أمم ، يمم) ، والصحاح (يمم) . يقال يمَّمه برمحه تيميماً : توخَّاه وقصَده دون مَن سواه . وجاء فى المقاييس تعليقاً على البيت : «قال الخليل : "ومن قال فى هذا البيت أمَّمته فقد أخطأ ؛ لأنه قال شزرًا ، ولا يكون الشزر إلا من ناحية ، وهو لم يقصد به أمامه فيقول أمَّمته » .

٩٦٧ — (أمم) ٢٨٩ س ١٠ وبيروت ٢٤ والمخطوطة ، قول الأعشى :

ولقد جررتَ لك الغـنى ذا فاقة

وأصاب غـزوكَ إمَّـةً فأزالهـا

وصوابه « ولقد جررت إلى الغنى » ، كما فى الديوان ٢٧ . يمدح الأعشى بهذا عمرو ابن معد يكرب ، وينعته بأنه يُثرى الفقير كما يستطيع أن يسلب ذا النعمة من أعدائه نعمته ، لشدة بأسه .

٩٦٨ـ (أمم) ٢٩٣ س ٢٢ وبيروت ٢٨ قول الطرماح :

مثــل ما كافحت مخــزوبــة
نصَّهــا ذاعــر ورعٍ مُــوأَمْ

وجاء فى المخطوطة : « مخروبة » ، وكلاهما محرف ، والصواب « مخروفة » كما فى الديوان ٩٧ ومجالس ثعلب ٣٥٦ واللسان (خرف ٤٠٩) . والمخروفة هى الظبية التى رعت العشب الذى ينبت فى الخريف . نصَّها : رفَعها ونصَبها ، أى رفع رأسها . وقبل البيت :

نظــرةً مــا أنتِ من نظـــرة
أُوغِلتْ من بيــن سِجْفَىْ قِرامْ

شبَّه نظرتها بنظرة هذه الظبية . قال أبو نصر : أحسن ما تكون الظبية إذا مدَّت عنقها من روع يسير . والصواب أيضاً « ذاعرُ رَوْعٍ » ، كما فى المخطوطة والديوان ومجالس ثعلب واللسان (خرف) .

٩٦٩ـ (أدم) ٣٠١ س ٢١ وبيروت ٣٦ قول الراجز :

يادهن أم مــا كان مشيي رقَصا
بــل قــد تكون مشيتى توقُّصا

وجاء بعده فى التعليق : « أراد ماكان مشيي رقصا . أى كنت أتوقص وأنا فى شبيبتى ، واليوم قد أسننت حتى صار مشيي رقَصا . والتوقص : مقاربة الخطو » . والصواب : « كنت أترقص فى شبيبتى » بالراء ، كما فى المخطوطة وخزانة الأدب ٤ : ٤٢١ نقلا عن اللسان .

وأمّا «حتى صار مشيي رقصا » فكذا وردت فى جميع نسخ اللسان والمخطوطة أيضاً . والصواب : « حتى صارت مشيتى توقصا » .

٩٧٠ـ (تمم) ٣٣٧ : ٢١ وبيروت ٧١ قول النابغة :

إنى أتمم أيســارى وأمنحهم
مثْنى الأيادى، وأكسو الجفنة الأدما

وموضع الخطإ فى ضبط همزة « إنى » ، والصواب فتحها ، فإن هذا البيت مرتبط بما قبله ، وهو كما فى ديوان النابغة ١٠٧ :

يُنْبيكِ ذو عِرضِهم عنِّى وعالمُهم
وليس جاهلُ أمر مثل من علما

٩٧١ - (ثمم) ٣٤٧ س ١٦ وبيروت ٨٠ والمخطوطة قوله : « وثَمَّم الكثيرُ لغة فى ثَمَّم » . وصوابه : « وتمَّم الكَسْرَ لغة فى تَمَّم » .

وجاء فى مادة تمم ص ٣٣٦ : « وتمَّم الكَسْرَ فتمَّم وتمَّم : انصدع ولم يبِنْ » .

٩٧٢ - (جزم) ٣٦٥ س ٨ وبيروت ٩٨ والمخطوطة قول صخر الغى :

فلما جزمت بها قربتى
تيمَّمت أطرقةً أوخليفا

والصواب : « به قربتى » كما سبق فى التحقيق رقم ٧٢٩ . وقبل البيت :

وماءٌ وردت على زورة
كمشى السبنتَى يَراح الشفيفا

٩٧٣ - (جمم) ٣٧٦ س ٥ وبيروت ١٠٩ والمخطوطة أيضاً : « وقال عدى ابن الغدير » ، وإنما هو « على بن الغدير » كما فى شرح القصائد السبع ٥٦٩ . ونجد ترجمته فى المؤتلف ١٦٤ والجمهرة ٢٤٧ والاشتقاق ٢٧٠ ومعجم المرزبانى ٢٨٠ . وله حديث مع عبد الملك بن مروان . وبيت على بن الغدير . أنشده ابن الأنبارى ، كما أنشده المرزبانى فى معجمه .

الجزء الخامس عشر
من طبعة بولاق

٩٧٤ - (حذم) ٨ س ١٩ وبيروت ١٢ : ١١٩ قول الشاعر :

* بصيرٌ بما أعطى النطاسىُّ حِذْيَمَا *

والبيت لأوس بن حجر فى ديوانه ١١١ واللسان (ألا ٣٢٠) ، وهو بتمامه على وجه الصحة :

فهل لكمُ فيها إلىَّ فإننى
طبيبٌ بما أعيا النِّطاسىَّ حذيمَا

وحذيم : رجل من تيم الرِّباب ، وكان متطبباً عالما .

٩٧٥ - (حرم) ١٥ س ١٢ وبيروت ١٢٦ قوله : « والحِرْمة فى الشاءِ كالضَّبْعة فى النُّوق والحِناءِ فى النعاج ، وهو شهوة البضاع » . والذى فى المخطوطة : « والحَرَمة » بالتحريك . وهما لغتان كما فى القاموس . والأولى أن يتبع ضبط المخطوطة . وكذلك « الضبعة » هى بفتح الباء كما فى المخطوطة ، وكما فى اللسان والقاموس (ضبع) . وهى بفتح الباء ، أى بالتحريك لا غير . وفعله ضَبِعَتْ تضبَع .

٩٧٦ ـ (حلم) ٣٦ س ١٧ـ١٨ وبيروت ١٤٧ والمخطوطة أيضاً قوله: « والحلم، بالتحريك: أن يفسد الإهاب فى العمل ويقع فيه دود فيتثقب »، صوابه « فى الغَمْل » كما فى الصحاح (حلم). والغَمْل: أن يلفَّ الإهاب بعد ما يسلخ ثم يُغَمّ يوماً وليلة حتى يسترخىَ شعره أو صوفه ثم يُمْرَط. فإن ترك أكثر من يوم وليلة فسد.

٩٧٧ ـ (حمم) ٤١ س ٢٥ قول لبيد:

لتذودهنَّ وأيقنت إن لم تَـزُد
أن قد أُحِمَّ من الحتوفِ حِمامُها

وقد وردت على الصواب: « إن لم تذُد » بالذال فى بيروت ١٥٢ والمخطوطة.

٩٧٨ ـ (حمم) ٥٦ س ١ وبيروت ١٦٠ قوله « والحمامة المرأة »، صوابه « المِرآة » فى هذا الموضع، كما فى ـ المخطوطة والتهذيب ٤: ١٦ وأنشد الأزهرى للمؤرج:

* كأنَّ عينيــه حمــامتــان *

أى مِرآتان فى التماعهما. وبدليل ما أنشده من قول الشماخ فى هذا الموضع أيضاً:

تُـدنى الحمامةَ منها وهى لاهيةٌ
من يانع الكَرْمِ غِربانَ العناقيدِ

وصواب هذا أيضاً « تُدنى الحمامةُ » بالرفع، كما فى ديوان الشماخ ٢١. وقد عنى بغربان العناقيد ضفائرها السُّود. أى تريها المرآة جمالَ شعرها الفاحم.

وتـأْتى الحمامة أيضاً فى غير هذا الموضع بمعنى المَرأة، أو المرأة الجميلة، كما فى اللسان والقاموس.

٩٧٩ ـ (ختم) ٥٦ س ١ وبيـروت ١٦٥ قول الأعشى:

كأنِّى ورحلى والقُنانَ ونُمرقى
على ظهـر طاوٍ أسفع الخد أخنسا

وورد فى المخطوطة « والقنان » أيضاً لكن بدون ضبط. وصوابها: « والفتان » بالفاء المكسورة بعدها تاءٌ مثناة فوقية، كما فى ديوان الأعشى ٢٠١.

والفتان: غشاءٌ يكون للرحل من أدم. وأنشد فى اللسان (فتن ٩٨) قول لبيد:

فثنيت كفِّى والفِتانَ ونُمرقى
ومكانُهنَّ الكُـور والنِّسعانِ

٩٨٠ ـ (خشرم) ٥٦ س ٩ وبيروت ١٦٦ قول خثيم بن عدى :

ولكنّه يَمضى على ذاك مُقْـدِماً
إذا صد عن تلك الهَنَاة الخشارم

والصواب كما فى المخطوطة « الهَنَات » بالتاء المبسوطة لا المربوطة ، فإنها جمع للهَنَة مؤنث الهن ، كناية عن الأمر الفاحش المستقبح ، وما يستصغر من الأُمور ، فهى مما أُلحق بجمع المؤنث السالم . وجمع المؤنث السالم تكتب تاؤه مبسوطة ، وإنما تربط التاءُ فى جمع التكسير من نحو قُضاة وغزاة ورماة ، إذ يوقف عليه بالهاء ولا كذلك جمع المؤنث السالم .

وجاء فى الحديث : « ستكون هَناتٌ وهَنَاتٌ ، فمن رأيتموه يمشى إلى أُمة محمد ليفرِّق جماعتهم فاقتلوه » ، أى شرور وفساد . وجاء على هذا الصواب فى الحيوان ٣ : ٤٣٧ والصحاح ومقاييس اللغة ٢ : ٢٥ والمخصص ١٣ : ٢٥ والاقتضاب لابن السيد ٣٥٤ .

كما أن صواب الرواية فى البيت السابق لهذا : « وليس بهياب » بدل « ولستُ بهياب » ، لأنه يمدح بهذا الشعر مسعود ابن بحر الزُّهرىّ ، فهو يتحدث عنه ولا يفخر بنفسه . لكن هكذا يجب أن يبقى النص مع خطئه : « ولست بهياب » . وقد ورد هذا الخطأُ أيضاً فى رواية ابن فارس فى المقاييس ، ولم أُبدِّله فيه .

٩٨١ ـ (خذم) ٥٩ س ١٦ وبيروت ١٦٩ والمخطوطة أيضاً : « قال الكلحبة :

كأَنَّ سبيكتَىْ ورِقٍ عليها
نمتْ قرطيهما أُذنٌ خذومُ

ولا بأْس بالنص فهو صحيح ، ولكنَّ نسبة الشعر إلى الكلحبة خطأٌ يجب أن يبقى . والصواب أَنَّ البيت لسلمة بن الخُرشُب فى المفضليات ٤٠ .

وقد ورد منسوباً على الصواب فى اللسان (مسح ٤٣٤) .

٩٨٢ ـ (خشم) ٦٩ س ١١ وبيروت ١٧٩ والمخطوطة كذلك ، قول الأَعشى :

* إذا كان هِيزَمْرٌ ورحتُ مُخَشَّما *

وليس هناك معنى للهيزمر ، ولاوجود لمثل هذا الوزن فى لغة العرب . والكلمة فارسية الأَصل . والأَعشى كثيرًا مايدير فى شعره أَلفاظاً أَعجمية الأَصل . وأَقرب

تصحيح لهذه الكلمة هو « هِنْزَمْـرٌ » . وفى ديوان الأعشى ٢٠١ : « هِنْزَمْنٌ » . وفى اللسان فى مادة (هنزمن) : « الهِنْزَمْرُ ، والهِنْزَمْنُ ، والهِيزَمْنُ ، كلُّها عيدٌ من أعياد النصارى أو سائر العجم . وهى أعجميّة » ، ثم أنشد قول الأعشى :

* إذا كان هِنـزمنٌ ورُحتُ مخشَّما *

ولفظه الفارسى : « أَنجُمَنْ » . انظر معجم استينجس ١٠٦ ، ١٥١٤ وأدّى شير ١٥٨ . وصدر البيت فى الديوان :

* وآسٌ وخِيـرىٌ ومَـروٌ وسَوسَنٌ *

٩٨٣ ـ (خضم) ٧٤ ، ٨٣ وبيروت ١٨٤ والمخطوطة أيضاً ، قول العجاج :

* خُضمَّة الذِّراع هذا المُخْتَلا *

والصواب : « هذَّ المخْتلِى » كما فى الديوان وشرح المرزوقى للحماسة ٥٣٩ .

والشطر من أرجوزة للعجاج فى ديوانه ٥٠ ـ ٥٤ ليبسك و ١٩١ ـ ٢١٧ بيروت تحقيق عزة حسن . وهى طويلة بلغت ١٦٨ شطراً . وهذا الشطر هو ذو الرقم ٩٧ . وقبله :

* يُذرِى بإرعاشِ يمينِ المؤتلى *

والهذّ : القطع . والمختلى : الذى يجزّ الخلا ويقطعه . والخَلا ، هو الحشيش ، الواحدة خَلاة .

٩٨٤ ـ (خلم) ٨٠ س ١ وبيروت ١٨٩ وكذا المخطوطة : قول الكميت :

إذا ابتسرَ الحـرب أخـلامُها
كِشافـاً وهُيِّجت الأَفحُـلُ

صوابه « وهُيِّخت » بالخاء كما فى اللسان (هيخ) والتهذيب ٦ : ٣٤٤ والمعانى الكبير ٩٦٥ وديوان الكميت ٢ : ٢٣

وهُيِّخ الفحلُ : أُنيخ ليبرك على الناقة فيضربَها . والمقصود إثارة الفرسان للحرب والمعركة .

٩٨٥ ـ (درهم) ٩٠ س ٥ وبيروت ١٩٩ والمخطوطة أيضاً قول ابن مقبل :

وقِدر ككفِّ القِـردِ لامستعيرُها
يُعـار ولامن يأْتِهـا يتـدسَّمُ

وصوابها « يتدسَّمِ » بكسر الميم لأنها واقعة فى جواب الشرط « يأْتِهـا » . وقد أتى سيبويه بهذا البيت شاهدا على ان « لا » الثانية لغو لاتغيِّر مجرى الإعراب فيبقى كما هو . انظر سيبويه ١ : ٤٢١ و ٣ : ٧٧ من نسختى ، وخصائص ابن

جنى ٣ : ١٦٥ ومجالس العلماء للزجاجى ١١٢ وديوان ابن مقبل ٣٩٥ .

٩٨٦ – (ديم) ١٠٩ س ١٤ وبيروت ٢١٩ قول لبيد :

باتت وأسبل والف من ديمة

تروى الخمائل دائماً تَسجامُها

والصواب « واكف » بالكاف ، كما فى المخطوطة ونصوص المعلقات . والواكف : القطر .

كما أن الصواب أيضاً : « يُروى الخمائل » بالياء لا بالتاء . والتَّسجام : مصدر سجَّمت السحابةُ مطرَها تسجيماً وتَسجاماً ، إذا صبَّته .

٩٨٧ – (ذمم) ١١٠ س ٢٤ وبيروت ٢٢٠ قول أُمية بن أَبى الصلت :

سلامَك ربَّنا فى كل فجرٍ

بريئاً ما تعنَّتْك الذُّمومُ

والصواب « ماتَغَنَّثُك » بالغين المعجمة والثاء المثلثة ، كما فى اللسان (غنث) ، أَى ما تتغنَّثُك ، بحذف إحدى التاءين . يقال تغنَّثَه الشىءُ : لَزِقَ به . أَى ماتلزق بك الذُّمومُ والعيوبُ ولا تنتسب إليك .

والبيت من شواهد سيبويه ١ : ١٦٤ والعينى ٣ : ١٨٣ .

٩٨٨ – (رتم) ١١٦ س١٢ وبيروت ٢٢٥ قول الشاعر :

هل ينفعنْك اليوم إن همَّتْ بهم

كثرة ما توصى وتعقَادُ الرَّتَمْ

وترك كلمة « بهم » مهملة الضبط يوقع فى لبس . ووجه ضبطها « بِهَمّ » كما فى إصلاح المنطق ٥٨ . يعنى هذه الزوجة إذا تركها فى السفر وهمّت برجل آخر وخانته ، فهمَّت به وهمّ بها ، فلا ينفعه ما صنع من الرتائم التى يعقدها ليختبر وفاءها له بعد فراقه .

٩٨٩ – (رغم) ١٣٨ س ١٤ وبيروت ٢٤٧ : « قال أَبو عمرو : الرغام : رمل يَغشَى البَصَر ! » . وفى المخطوطة : «يعشى البصر » وصوابها « يغشَى البَصقة » كما فى مجالس ثعلب ٥٦٩ عن أَبى عمرو.

والبصقة كما قال أَبو عمرو : حَرَّة – إلَّا أنّها مرتفعة . وانظر اللسان (بصق) .

٩٩٠ – (رمم) ١٤٤ س ١١ وبيروت ٢٥٢ والمخطوطة ، قول لبيد :

والبيت إن تُعْرَ منىِّ رِمّةٌ خَلَقاً
بعد الممات فإنّى كنت أتئرُ

إنما هى « والنّيب » كما فى الديوان ٦٣ واللسان (ثأر) والمعانى لابن قتيبة ١٢٠٢.

والنّيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنّة.

و « تَعْرَ » صوابها « تَعْرُ » من عروت الرَّجُل : أتيت إليه . وقال ابن قتيبة : « أى إن تلمّ منى بعَظم بالٍ فتأكله بعد مماتى فإنّى كنت أنحرها . وأتئر : أفتعل من الثأر . والإبل تأكل العظام ، أى تملّح بها بعد الخَلّة » .

٩٩١ – (زهدم) ١٧٠ س ٢٤ وبيروت ٢٨١ والمخطوطة : « زهدم : اسم فرس لسحيم بن وثيل . وفيه يقول ابنه جابر :

أقول لهم بالشعب إذ ييسروننى
ألم تعلموا أنى ابن فارس زهدم

ونسبة الشعر إلى جابر بن سحيم إنما تصلح على هذا التفسير فقط . وقيل : إن « زهدم » رجل من بنى عبس ، فتصبح إذن نسبة الشعر إلى سحيم مع رواية « ابن قاتل زهدم » . وانظر اللسان (ياس ، يسر ، زهدم) وحواشى المقاييس ٦ : ١٥٤.

٩٩٢ – (سجم) ١٧٢ س ٢٤ وبيروت ٢٨١ والمخطوطة قوله : « سجم العين والدمعُ الماءَ يسجم سُجوماً وسِجاماً ، إذا سال » .

ووردت كلمة « الماء » بدون ضبط فى المخطوطة ومع سقوط واو العطف قبلها أيضاً ، وصوابها « والماءُ » بالرفع مسبوقة بواو العطف .

٩٩٣ – (سحم) ١٧٤ س ٢ وبيروت ٢٨٢ والمخطوطة ، قول زهير :

نجاءٌ مُجِدٌّ ليس فيه وَتيرةٌ
وتذبيبُها عنه بأسْحَمَ مِذْوَدِ

والبيت من أبيات فى صفة بقرة شبّه بها ناقته ، وهى فى ديوان زهير ٢٢٥–٢٣١ وقبله :

فأنقذها من غمرة الموتِ أنّها
رأت أنها إن تنظر النّبلَ تُقصَدِ

أى لأنها رأت . ونجاءٌ : فاعل أنقذها. فالصواب : « وتذبيبُها عنها » ، أى ودفاعها عن نفسها بالأسحم المِذود ، أى الأسود الذى تستعمله فى الذود ، وهو قرنها . وانظر ديوان زهير ٢٢٩ ومقاييس اللغة ٣ : ١٤١ .

٩٩٤ ـ (سدم) ١٧٦ : ١٥ وبيروت ٢٨٤ والمخطوطة : « وماءٌ سَدَمٌ وسُدُمٌ وسُدُوم : مندفق » بالقاف . وكذلك فى القاموس « مندفق » ، والصواب إن شاء الله « مندفن » بالنون ، كما يقتضيه التفسير الآخر فى كل من اللسان والصحاح « وركية سُدْم وسُدُم ، مثل عُسْر وعُسُر ، إذا ادَّفنت » . ومافى القاموس كذلك : « وركية سُدْم بالضم وبضمتين : مندفنة » ومافى التهذيب ١٢ : ٣٧٤ : « حتى يكاد يندفن » .

٩٩٥ ـ (سدم) ١٧٧ س ١٠ وبيروت ٢٨٥ والمخطوطة ، قول عمرو بن درّاك العبدىّ :

وإنى إن قطعتُ حبالَ قيس
وخالفتُ الـمُـرون على تميم

وفى البيت خطآن . أما الأول ففى « خالفت » ، فإن صوابها « حالفت » بالحاء المهملة كما فى الحيوان ٦ : ١٧٥ ومعجم المرزبانى ٢١٧ .

وأما الثانى ففى « المُرون » ، فإن صوابها « المَزون » بميم مفتوحة بعدها زاى مضمومة . وهو اسم من أسماء عُمـان بالفارسية ، أو قرية من قرى عمان ، كان يسكنها اليهود والملاحون ، ليس بها غيرهم . قال الكميت :

فأمّـا الأزد أزد أبى سعيد
فأكرهُ أن أسمّيها المَزُونا

وأبو سعيد هو المهلّب بن أبى صُفْرة ، وكان يكره أن ينسب إلى المَزون كما أنَّ أزد عمان كانوا يكرهون ذلك .

٩٩٦ ـ (سوم) ٢٠٥ س ٢٥ وبيروت ٣١٧ والمخطوطة : قال النابغة الذبيانى :

كأنَّ فاها إذا تُوَسَّنُ من
طيب رُضابٍ وحُسن مَبتَسَمِ
رُكِّب فى السّام والزَّبيب أَقا
حىٌّ كثيبٍ ينـدى من الـرِّهم

والصواب أنهما للنابغة الجعدى فى ديوانه ٥١ وشرح القصائد السبع ٤٧١ .

كما أن الصواب « تُوُسِّنَ » ، والمراد قُبِّل بعد الوَسَن . ويقال توسَّنَ فلانٌ فلاناً ، إذا أتى إليه عند النوم .

٩٩٧ – (شذم) ٢١٣ س ١٢ وبيروت ٣٢٠ والمخطوطة ، قول الطرماح :

على حُـوَلاء يطفو السُّخْد فيها

فـراها الشيذُمـانُ عن الخبير

وإنما هى « عن الجنين » كما فى ديوان الطرماح ١٧٩ والمقاييس ٣ : ٧٥ وجمهرة ابن دريد ٢ : ١٩٣ /٣ : ٤١١

وقد ورد البيت على الصواب فى اللسان (حول ٢٠٣) . والبيت من قصيدة نونية مطلعها :

أمِن دمن بشاحتَـه الحَجـونِ

عفَت منها المعارفُ منـذُ حينِ

ويروى « الشيمُذان » بتقديم الميم ايضا . وهما بمعنى الذئب . وقبل البيت

يظَلُّ غـرابُها ضَـرِماً شـذاه

شجٍ بخصومة الذئب اللّعينِ

٩٩٨ – (ضخم) ٢٤٦ س ١١ وبيروت ٣٣٠ والمخطوطة أيضاً ، قول رؤبة :

* ضَخْم يحبُّ الخُلقَ الأضخما *

والصواب « ضخماً » بالنصب ، لأن قبله ، كما فى ديوان رؤبة ١٨٣ :

* ثُمَّت جئتُ حيَّـة أصمَّـا *

وقد نبَّه على هذا الصواب ابن بَرّىٍّ ، كما فى المادة نفسها ص ٢٤٧ .

٩٩٩ – (ضخم) ٢٤٧ س ١٠ وبيروت ٣٣٠ والمخطوطة ، قول رؤبة :

* ثُمَّت حَيثُ حَيَّـة أَصَمَّـا *

وصوابه « جِئتُ » ، كما فى التنبيه السابق .

١٠٠٠ – (طمم) ٢٦٤ س ٢١ وبيروت ٣٧١ والمخطوطة كذلك ، قول الأفـوه الأوْدىّ :

كالأسود الحبشىِّ الحَمْشِ يتبعه

سودٌ طماطمُ فى آذانها النُّطَف

و « الحَمْس » ضبطت فى المخطوطة « الحُمْس » بضم الحاء ، وصوابهما جميعًا : « الحَمْش » بالشين المعجمة مع فتح أوّله ، وهو الدقيق الخِلقة . وأصله من قولهم : هو حَمْش الساقين والذراعين ، أى دقيقهما ، ثم استُعير ذلك الوصف للبدن كلّه ، كما فى اللسان . وتصحيح الكلمة من ديوان الأفوه ص ٢١ فى الطرائف الأدبية للميمنى .

عبد السلام محمد هارون
عضو المجمع

صيغ الفصحى المختلفة

كما يراها الدكتور محمد كامل حسين

للأستاذ محمد شوقي أمين

يقول حكيم الحياة والأحياء «أبو الطيب» :

وإذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الأجسام

ولقد كان فقيدنا الدكتور محمد كامل حسين كبير العقل ، كبير النفس ـ كبر عقله فاتسع لكثير من ألوان المعرفة في علم وأدب ولغة . وكبرت نفسه فهتفت بجوانب شتى من الإصلاح العلمي واللغوي في مجتمعه المشهود. ولكأنما عناه ذلك الحكيم في قوله :

أريد من زمني ذا أن يبلغني
ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

كانت العربية أحد هذه الجوانب التي هفا إليها مفكراً ، وهتف بها باحثاً ، حتى أصبح فيها صاحب دعوة إلى تنظيم وتيسير .

وفيما نادى به حرية في الرأي ، وجرأة في الاستخلاص . وربما جاز لغيري أن يصف ذلك منه بأنه ثورة عارمة على تأليف النحو ، وعلى تفقيه اللغة . وكثيراً ما تناول باحثون في قضايا العربية موضوعات اللغة والنحو ، فجهروا فيها بآراء ودعوات وثورات. ولكن بعضها صدر عمن كانوا يأبون أن يطبعوا اللغة على ألسنتهم ، لأنهم عجزوا أن يطبعوا ألسنتهم على اللغة ، إذ لم يتح لهم أن يكونوا قراء يتعلمون ، فأرادوا أن يكونوا كتاباً معلمين .

لا كهؤلاء كان الدكتور محمد كامل حسين ، فإن من يقرأ له ما كتب في العلم والأدب ، وما ناقش فيه من ضوابط اللغة وأحكامها ، يدرك على وجه اليقين أنه كان على بصر بالعربية تفقهاً ومدارسة ، وعلى بصيرة بأساليبها تذوقاً وممارسة ، فهو قد ألم بها علما دراسياً وسيعا ، وحذقها فناً بلاغياً رفيعاً .

٢ ـ خاض الدكتور محمد كامل حسين غمار القول في التأليف النحوي العربي ، فهو يقول إن العربية الفصحى في أزمة ، وبعض العيب في ذلك يقع على أسلوب التعليم ، ولكن أكثره يرجع إلى طبيعة القواعد التي لم يعد يستسيغها المحدثون . وجمهور المتعلمين لا يرون أن يقضي الإنسان حياته عاكفاً على شيء لا يرى فيه فائدة له في ميادين الفكر والتعبير :

وظاهرة اللغة الطبيعية يجب أن يكون نظامها غير معقد ، والأصل فى القواعد الطبيعية أن تكون شاملة مرنة ، وأن تدل على فروق فى المعانى يريدها المتكلم ، والتعقيد يفقد القواعد فائدتها الأولى ، وهى هداية المتكلم إلى الصواب ، فتصبح قيوداً وأغلالا وعقبات يتعثر فيها المتكلمون .

ويوضح الدكتور محمد كامل حسين ما يتغياه بهذا القول ، فيؤكد أنه لا يدعو إلى تغيير فى مقاييس الصحة فى العربية الفصحى ، وإنما يستطيع وضع قواعد بسيطة يمكن أن يلم بها المتعلمون فى وقت قصير ، فيتجنبوا اللحن فى أكثر كلامهم ، وليس من المستحيل وضع قواعد جديدة تكفل صحة الكلام من غير طريق النحو القديم ، فتكون بديلا منه .

وكأنما خشى الدكتور محمد كامل حسين أن تنزلق الظنون إلى أنه يبتغى الخروج عن الفصحى إلى العامية ، فيقول ليس صحيحاً ما يظن أكثر الناس من أن الفرق بين الفصحى والعامية أن الفصحى معربة ، ولو كان هـــو الفرق لما حفل به إلا القليلون . والفرق الحقيقى بينهما أن العامية قليلة الألفاظ ، غير دقيقة التركيب ، ضعيفة الأساليب فى التعبير إلا عما هو عاطفى محض، وإلا عن الأفكار المألوفة لدى المتكلمين بها ، وذلك ضعيف فى باب التفكير .

ويلخص الدكتور محمد كامل حسين دعوته فى كلمات يجعلها كالعنوان فى ظهر كتابه « اللغة العربية المعاصرة » ، إذ يقول : أنا لا أريد أن أحرم حلالا ، ولا أن أحلل حراما ، ولا أن يغفل الناس الفصحى العالية . وإنما أدعو إلى الاعتراف بالفصحى المخففة ، مكتوبة أو مقروءة ، حتى لا يتهم الذين يستخدمونها بالجهل أو القصور .

٣ـ شدّما حمل الدكتور محمد كامل حسين على النحاة فى وضعهم للنحو ، وهو فى حملته عليهم يصدر عن محض الرغبة فى التيسير . ونحن لا ندعى للنحاة العصمة فيما قالوا ، ولا القدسية فيما صنعوا ، فلنا أن نخالفهم عما ذهبوا إليه ، ولنا أن نخالفهم إلى ما عدلوا عنه . بيد أننا لا نجحد جهودهم فى دقة الضبط وشمول النظر ، ولا ننكر فضلهم فى إعمال الاستقراء والتحليل ، والاجتهاد فى القياس والتعليل ، حتى جعلوا من النحو نموذجاً رائعاً لعبقرية العقل العربى فى البحث والتفكير .

بيد أننا لا نجادل مع ذلك فى صعوبة التحصيل لأحكام النحو وضوابطه ، فهى لا تنقاد إن انقادت إلا للمتخصص المتفرغ لهذا العلم بخصوصه ، ولا نجادل أيضا فى أن كثيراً من هذه الأحكام والضوابط لا تمس الحاجة إلى تفريعاتها وتعليلاتها فى مجال الاستخدام .

وقبل مئات من السنين تقارب العشر ، شعر بذلك أعلام الفكر العربى ، ونذكر من بينهم الإمام العلم « ابن حزم » القائل : لابد من مطالعة النحو ، ويكفى منه لطالب الحقائق ما يصل به إلى اختلاف المعانى بما يقف عليه من اختلاف الحركات والألفاظ وجوامع

الإعراب . ويقول أيضاً : أما التعمق فى علم النحو ففضول لا منفعة بها ، بل هى مشغلة عن الأوكد ، ومقطعة دون الأوجب . والغرض من هذا العلم هو المخاطبة وما بالمرء حاجة إليه فى القراءة ، ولا منفعة للتزيد على هذا إلا لمن أراد أن يجعله معاشا ، لأنه باب من العلم على كل حال .

ويؤيد ذلك علامة الأدب والنقد « ابن الأثير » فى قوله : إن واضع النحو جعل الوضع عاما ، فإذا نظرنا إلى أقسامه المدونة ، وجدنا أكثرها غير محتاج إليه فى إفهام المعانى .

ولكأن الدكتور محمد كامل حسين ، فى إيمانه بضرورة تيسير علم النحو وفقه اللغة لأهل العربية ، يردد صيحة الإمام « ابن حزم » فى قوله : إن الحظ لمن آثر العلم أن يقربه بقدر طاقته ، بل لو أمكن أن يهتف به على قوارع طرق المارة ، ويهب المال لطلابه ، لكان ذلك حظاً جزيلا ، وسعياً مشكوراً . . .

٤ — رسم الدكتور محمد كامل حسين هيكلا تنظيمياً مجملا للنحو وأحكامه ، فوضع قواعد عامة للإعراب فى الاسم والفعل ، وأصارح بأنى استشعرت يسراً كبيراً فى هذا التنظيم ، ولكنى أخشى أن أكون مخدوعاً فيما استشعرت . فربما كان مرجع ذلك إلى سبق ممارستى للقواعد النحوية ، فلم يكن هذا التنظيم بالنسبة لى إلا تذكرة بما أعلم . ولعلى لو كنت بادئاً لما استطعت أن أستظهر هذه القواعد وأن أفيد منها فى التطبيق . وليت سادتنا الأطباء يستطيعون أن يعيدوا لمثلى من الشيوخ شباباً يبدءون به تجربة الجديد :

ليت وهل ينفع شيئاً ليتُ
ليت شباباً بُوع فاشتريتُ

إذن لتسنى لى أن أجد السبيل إلى صواب الحكم على هذا التنظيم . والشأن فى جديد النظم أن توضع موضع الفحص والتجربة الميدانية مع من ليس له سابق علم ، ولن يكون الحكم صحيحاً فى العلم التطبيقى إلا بعد تجريب .

٥ — عرفت للدكتور محمد كامل حسين رأياً طريفاً فى مشكلة العدد ومعدوده فى العربية ، من حيث التذكير والتأنيث أو الإعراب أو الإفراد والجمع . لأن ملاحظة ذلك فى أحكام العدد مما يشق احتماله فى الكتابة العلمية وما إليها من الرياضيات والإحصائيات . وهو يرى التخلص من هذه المشكلة بأن يجعل العدد على صورة واحدة لا تتغير ، هى صورة الجر والتأنيث ، فيقال : ثلاثة وأربعة إلى العشرة ، ويكون المعدود مجروراً بمن ، فيقال : ثلاثة من الرجال وثلاثة من النساء ، وذلك على تقدير كلمة « عدد » قبل لفظ العدد ، فكأنما يقال : هذا عدد ثلاثة من الرجال ، وهذا عدد ثلاثة من النساء . ولتلك المقولة الكاملية فى التأنيث وجه فى العربية ،

فمن الأحكام أن المعدود إذا لم يذكر جاز تأنيث العدد وتذكيره ، وأما ذكره مجروراً بمن فليس بتمييز على الأرجح ، وإنما هو صفـة لموصوف ، فمن قال خمسة من النساء كان تأويله خمسة من هذا الجنس ، أى خمسة كائنة من النساء ، فالتمييز مذكور معنى ، وليس مذكوراً لفظاً ، وفى هذا مندوحة للإعفاء من الإلزام بأحكام العدد ، من حيث التذكير والتأنيث ، طوعاً للتيسير فى التعبير العلمى بالفصحى المخففة .

٦– وفى مجال فقه اللغة صرفاً واشتقاقاً يطالب الدكتور محمد كامل حسين بالاقتصار على باب واحد للفعل ، مادام المعنى واحداً ، وعلى صيغ معينة للجموع تخلصاً من كثرتها ، وعلى أوضاع محددة للمصادر المتعددة للقلة والكثرة ولغير ذلك مما لا يعرف له وجه تعليل ، وعلى تحديد الدلالة للأدوات كالهمزة فى قصر دلالتها على التعدية . وكل هذا حسن فى ذاته ، من حيث المبدأ ، بل لعل بعضه من مقاصد تنقية اللغة وتهذيبها وتيسير اكتسابها واستعمالها . ولكن اللغة لا تفرض على أهلها بالرغبات والنزعات ، وإن يكن الغرض المنشود من ذلك الإصلاح والتقويم .

وإنما يفرض أهل اللغة على لغتهم ما يرتضون لها من الأوضاع ، وهم الذين يطورونها بحسب مقتضيات حياتهم وما يعرض لهم من الشئون . ولكل عصر معجمه اللغوى ، يمثل النبض الفكرى لأهله ومعاصريه ، ويصور أذواق كتابه ومفكريه . ولكن الذى لا ريب فيه أن الدعوات إلى تنقية اللغة وتبسيطها أو إلى «تعقيلها»– على حد تعبير الدكتور محمد كامل حسين نفسه فى رسالته « النحو المعقول » – إنما تكمن قيمتها فى أنها إيقاظ وتنبيه ، وأنها تبصير وتنوير ، فإن لم يستجب لها جملةً فى العاجل أو الحاضر فلن تذهب سدى ، ولن يضيع لها صدى ، وإنها لواجدة أثرها العميق فى آجل من الزمن قريب أو غير قريب .

٧– وأيا ما كان الرأى فى تلك الدعوات التى صدع بها الدكتور محمد كامل حسين ، بغية الإصلاح اللغوى ، لتعميم التعبير بالفصحى ، فإنها باقية تعطر ذكراه ، عليه سلام الله .

محمد شوقى أمين

عضو المجمع

طُرَف من الأدب واللغة للدكتور أحمد عمار

(٣)

فرّ عمر بن الخطاب من الطاعون ، فقال له أبو عبيدة : أتفر من قدر الله ؟ قال : نعم إلى قدر الله .

* * *

قال عبد الملك بن مروان :

يابنى تعلموا العلم ، فان كنتم سادة فقتم ، وإن كنتم وسطًا سُدْتم ، وإن كنتم سُوقة عشتم .

* * *

ابن قيس الرقيات والخليفة عبد الملك بن مروان :

قال فى مصعب ابن الزبير :

إنما مصعب شهاب من الله
تجلت ن وجهه الظلماءُ

ملكه ملك رحمة ليس فيه
جبروت ولا به كبرياءُ

يتقى الله فى الأُمور وقد
أفلح من كان همه الاتقاء

وقال فى عبد الله بن مروان :

خليفة الله فوق منبره
جفت بذلك الأقلام والكتب

يعتدل التاج فوق مفرقه
على جبين كأنه الذهب

فغضب عبد الملك عليه وقال : تمدحنى بالتاج كأنى من العجم ، وتقول فى مصعب : إنما مصعب شهاب من الله ... إلخ .

* * *

إذا أنا لم أقبل من الدهر كلّ ما
تكرهت منه طال عتبى على الدهر

(أبو العتاهية)

يقال فى الوادى والنهر :

هما جَلْهتَاه : وعُدْوتَاه ، وضِفَّتاه ، وجِيزَتاه ، وشاطئاه ، وشطَّاه .

* * *

لأبى حيان التوحيدى :

إن العلاقة التى بين السلطان وبين الرعية أوْثَج من الرحم التى تكون بين الوالد والولد . والملك والد كبير ، كما أن الوالد ملك صغير . وما يجب على الوالد فى سياسة ولده ، من الرفق به ، والحنوّ عليه ، والرقة له واجتلاب المنفعة إليه ، أكثر مما يجب على الولد فى طاعة والده . وذلك أن الولد غِر ، وقريب العهد بالكون ، وعار من التجربة . كذلك الرعية الشبيهة بالولد ، وكذلك الملك الشبيه بالوالد .

(من كتاب الإمتاع والمؤانسة) .

* * *

من مناقب أبى حنيفة :

دعاه المنصور العباسى إلى القضاء فامتنع فقال له : أترغب عما نحن فيه ؟ فقال لا أصلح . فقال المنصور : كذبت . فقال أبو حنيفة : فقد حكم أمير المؤمنين عَلَيَّ أننى لا أصلح ؛ فإن كنت كاذبًا فلا أصلح ، وإن كنت صادقاً فقد أخبرتكم أننى لا أصلح .

* * *

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين :

قال ابن القيم : مثلت المراتب الثلاث بمن أخبرك أن عنده عسلاً وأنت لا تشك فى صدقه ، ثم أراك إياه فازددت يقينًا . ثم ذقت منه ؛ فالأول علم اليقين ، والثانى عين اليقين ، والثالث حق اليقين .

* * *

كان قد فعل ـ وكان فعل :

كلاهما صحيح . وكل ما جاء فى القرآن الكريم من الصيغة الثانية إلا مرة واحدة من الصيغة الأولى : « وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم » . ويرى بعض اللغويين أن « كان قد فعل » هو التركيب الصحيح .

وفى القرآن الكريم :

« وإن كان كبر عليك إعراضهم » .

« جزاءً لمن كان كفر » .

« وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذى أُرسلت به » .

« وإن كان قميصه قُدَّ من قُبل » .

« وإن كان قميصه قُدَّ من دُبر » .

«فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها».

« إن كنتُ قلتُه فقد علمتَه ».

« إن كنت جئت بآية فأْت بها » .

«إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا».

« فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم » .

* * *

أكثم بن صيفى :

فى مقدمة حكام تميم ، بل فى مقدمة حكماء العرب أجمعين .

(ومن تميم كذلك الأقرع بن حابس وحاجب بن زرارة . . وجرير والفرزدق)

حين سمع أكثم بظهور النبي – عليه الصلاة والسلام – ، بعث بابنه حبيش إلى مكة ليأتيه بالخبر اليقين عن الرسول ورسالته . وما إن عاد حبيش إلى أبيه وقص قصته ، حتى جمع أكثم بنى تميم وخطبهم مبشراً بدعوة محمد عليه الصلاة والسلام - . ومما قال :

إن أحق الناس بمعونة محمد ، ومساعدته على أمره ، أنتم . فإن يكن الذى يدعو إليه حقاً ، فهو لكم دون الناس ، وإن يكن باطلاً ، كنتم أحق الناس بالكف عنه ، والستر عليه .

ومن الطريف أن مالك بن نويرة كان يستمع إلى أكثم ، فلم يعجبه ماسمع ، فقال : قد خرف شيخكم . فقال أكثم قولته المشهورة : ويل للشجىِّ من الخلىّ .

ومن حكم أكثم :

مقتل الرجل بين فكيه .

إن قول الحق لم يدع لى صديقا .

من قنع بما هو فيه ، قرت عينه .

ويل لعالم أمر من جاهله .

لم يهلك من مالك ماوعظك .

حسن الظن ورطة ، وسوءُ الظن عصمة .

يكفيك من الزاد ما بلَّغك المحل .

حسبك من شرٍّ سماعه .

من فسدت بطانته ، كان كالغاص بالماء .

يتشابه الأمر إذا أقبل ، فإذا أدبر عرفه الكيِّس والأحمق .

* * *

عبد الرحمن :

يقال إن الرحمن اسم لم يعرف فى الجاهلية .

وقال ابن الكلبى : وقد سمعت العرب فى الجاهلية عبد الرحمن .

سمى عامر بن عنوارة ابنه عبد الرحمن.

وروى بيت للشنفرى (ولم ينقله الثقات) :

لقد لَطَمَت تلك الفتاة هجينها
ألا بتر الرحمن ربى يميثها .

عَوْف : العوف الضيف ، والحال . والأسد لأنه يتعوَّف بالليل فيطلب عُوافته أى مايأْكله . والذئب .

* * *

المنون :

إذا ذكِّر أُريد به الدهر ، وإذا أُنث أريدت به المنية .

أَمِنَ المَنُونِ وريبه تتوجع
والدهر ليس بمُعْتِب من يجزع
(أَبو ذؤَيب الهذلى)

* * *

ريح :

مؤنَّثة : والجمع رياح وأرواح .

الشَّمال : التى تهب من الشمال .

الجَنوب : التى تهب من الجنوب .

القَبُول : وهى الصبا : التى تهب من الشرق .

الدَّبور : التى تهب من الغرب .

النكباءُ : كل ريح جاءت بين ريحين.

التمام والكمال :

قال أَبو سليمان : التمام أَليق بالمحسوسات ، والكمال أَليق بالأَشياء المعقولة .

تقول : ما أَتم قامته ، وما أَكمل نفسه.

(الإمتاع والمؤانسة)

* * *

الامام الشافعى :

قالوا يزورك أحمد وتزوره
قلت الفضائل لاتفارق منزله
إن زارنى فبفضله أَوزرته
فلفضله فالفضل فى الحالين له
(قالهما فى أَحمد بن حنبل)

* * *

قال بعض الحكماء :

لاتَسُبّوا الغوغاء فإنهم يُخْرجون الغريق ، ويطفئون الحريق ، ويؤنسون الطريق ، ويشهدون السوق .

* * *

المرناة :

كنت قد اقترحت منذ أكثر من خمس عشرةَ سنةً على مجمع اللغة العربية تسمية التلفزيون « المِرْناة » وهى كلمة مشتقة من الفعل « رنا » . وقلت إن الفعل « رنا » معناه رأى وسمع ؛ بدليل قول النابغة الذبيانى فى وصف المتجردة :

ولو انها عرضت لأشمط راهب
عَبَدَ الإله صرورةً متعبدِ

لرنا لبهجتها وحسن حديثها
ولخاله رشدًا وإن لم يرشد

وقلت : قد يقول قائل إن الأفعال لاتستعمل فى العربية لمعنيين فى وقت واحد . وكان ردِّى على ذلك ما جاء فى القرآن الكريم : « إن الله وملائكته يصلون على النبى » . فالصلاة من الله الرحمة ، والصلاة من الملائكة طلب الرحمة . فالمرناة كلمة موفقة للتلفزيون . وكان أستاذنا العقاد قد كتب فى يومياته سنة ١٩٦٣ أنه شديد الإعجاب بهذه الكلمة ؛ اسم آلة من رنا كما أن المرآة اسم آلة من رأى .

أحمد عمار

نائب رئيس المجمع

أبو العلاء عطاء بن يعقوب اللاهوري وشعره

للدكتور ظهور أحمد أظهر

أنجبت مدينة لاهور عددا غير قليل من أعلام الأدب العربي والفنون الاسلامية الذين خلدوا ذكراهم العاطرة فى تاريخنا الثقافى والأدبى ، وقد كان من بين هؤلاء الرجال الأعلام الشيخ أبو العلاء عطاء بن يعقوب اللاهورى « الشاعر الأديب » الذى كان يجيد اللغتين الفارسية والعربية فى نفس الوقت ، وله شعر رصين ونثر جميل بهاتين اللغتين كلتيهما مما يدل على موهبته الفنية وعلو كعبه فى الثقافتين الفارسية والعربية معا .

إن ذكرى هذا الشاعر الفذ هى ذكرى مدينة لاهور وتاريخها فى نفس الوقت ، فإنها كانت قد أصبحت من أهم المراكز الإسلامية فى جنوب آسيا بصفتها عاصمة ثانية للدولة الغزنوية ، واجتمع بها عدد من أعلام الفكر الإسلامى الذين كرسوا حياتهم لنشر الدعوة الإسلامية فى شبه القارة والنهوض باللغة العربية وتقدمها ، فهذا إمام المحدثين فى تلك البلاد الشيخ إسماعيل الغزنوى الذى تصدر لإقراء الحديث النبوى واستفاد منه خلق كثير ، وهذا زعيم المتصوفة المسلمين الشيخ أبو حسن على الهجويرى اللاهورى الذى جاء مبشرا بدين التوحيد والحنيفية فاسلم خلق كثير من الهنادكة المشركين على يده ، وفى هذا العصر نفسه نبغ عدد من الشعراء من أمثال أبى الفرج الرونى وأبى محمد الأرشدى ومسعود سعد اللاهورى ، ومهما يكن من شىء فإن خدمات هؤلاء الرجال الأفذاذ لتستحق كل عناية وإعجاب وتقدير ، إنها لمجهودات لا يمكن إنكارها أو تجاهلها .

أسرة أبى العلاء وحياته :

المصادر العربية والفارسية عن حياة أبى العلاء عطاء بن يعقوب الغزنوى اللاهورى تنص على أنه ينتمى إلى أصل عربى قد هاجر آباؤه فى عهد مبكر جدا ، ونزلوا بمدينة الرىّ فاستوطنوها وأقاموا بها مدة من الزمان ثم هاجروا إلى غزنة عاصمة الملوك الغزنويين ، وقد كانت هذه الأسرة العربية الكريمة أسرة ذات علم وفضل ونباهة وطيب ذكر ، فاستقبلها الملوك الغزنويون ورحبوا بها كل ترحيب وفوضوا إلى رجالها الوظائف والمناصب الحكومية ، فقامت هذه الأسرة الفاضلة بما فوض إليها حق القيام ، واكتسبت ثقة الملوك وإعجابهم بها .

وقد ذكره ياقوت الحموى فى معجم الأدباء فقال إن أبا العلاء عطاء بن يعقوب كان أحد أعيان فضلاء غزنة وكان ابن عمه «الكوتوال» ووظيفة «الكوتوال» فى العصر الغزنوى كانت وظيفة هامة جدا وهو نائب السلطان وخليفته عند غيبته، فإن هذا إن دل على شىء فانما يدل على نباهة هذه الأسرة وكفاءة رجالها، وثقة الملوك بهم، واعتمادهم عليهم فى شئون الدولة.

ولا تصرح المصادر والمراجع عن حياة أبى العلاء بمولده ومنشئه إلاأن المرجح فى ذلك أنه ولد بغزنة عاصمة السلطان محمود الغزنوى وأخلافه، ثم هاجر فيمن هاجر من أسرته إلى لاهور، وتولى بها المناصب والوظائف الحكومية كما تولاها الوجهاء والأعيان من أسرته فظل يتقلب فى الوظائف وينقل من مكان إلى آخر ومن وظيفة إلى أخرى لمدة طويلة جدا، ثم نزل به العتاب الملكى فعزل وألقى فى السجن وحدث به مثلما حدث بصديقه الوفى الشيخ الشاعر المفلق مسعود بن سعد بن سلمان اللاهورى.

وظل الشيخ أبو العلاء اللاهورى يكابد آلام السجن وشدائده، ويعالج هموم الحياة ونوائبها لمدة لا تقل عن ثمانية أعوام فإن المصادر عن حياته تصرح بوضوح بأن السلطان إبراهيم الغزنوى زار الأقاليم الهندية للسلطنة فى سنة ٤٧٢هـ، فذكر له بان أبا العلاء عطاء بن يعقوب لا يزال فى السجن منذ ثمانى سنوات وهو برىء لاذنب له، فعفا عنه وخلى سبيله.

وقضى الشيخ أبو العلاء بقية أيام من حياته فى مدينة لاهور، يقرض الشعر ويحضر المجالس الأدبية، يجتمع فيها باصدقائه من الشعراء والأدباء، حتى توفى فى سنة ٤٩١هـ ودفن بلاهور.

آراء بعض أهل العلم فى شخصيته :

ولأهل العلم وأصحاب التراجم ثناء على الشيخ أبى العلاء عطاء بن يعقوب اللاهورى وإعجاب بعلمه وفضله، فإن جميعهم يشيدون بذكره ويقدرون خدماته الممتازة ومجهوداته الجبارة التى بذلها من أجل العلوم والآداب والثقافة، وهذا مما يدل على مكانة الرجل المرموقة، وشرفه الكبير فى الأوساط العلمية والأدبية المعاصرة بمدينة لاهور فى العصر الغزنوى، فمن ذلك ما قاله الشيخ الأصيل والشاعر المفلق مسعود بن سعد بن سلمان اللاهورى بالفارسية :

عطاى يعقوب اى روشن ازتو عالم علم
تو آفتاب وما ذره راهيى ما نيم
كنونكه دوريم ازتو، زروى وراى توما
چو ذرة بى مهراز چشم عدل پنهانيم

ومعناه : «يا عطاء بن يعقوب، الذى نورت وتلالأت به دنيا العلم والأدب، كنت مكان الشمس لنا، وكنا منك بمكان أهباء الغبار. والآن وقد باعد الزمان بيننا، قد حرمنا من رؤيتك وعطفك فكاننا أهباء الغبار نتخبط فى دياجير الظلم والحرمان!»

ويقول عنه محمد العوفى صاحب لباب الألباب : « هو العميد الأجل وأفضل العصر وعطية من العطايا النادرة التى جادت بها السماء على الأرض ، وكان على مكانة كبيرة من العلم والفضل وأوتى اللفظ الجميل الحلو والمعنى العميق النادر . »

وذكره الشيخ هدايت صاحب مجمع الفصحاء فقال ما معناه : إن العميد عطاء بن يعقوب هو أعظم أعاظم الزمان وأفضل أفاضل العصر وفاضل فصيح البيان وشاعر رشيق اللسان ولا نبالغ إذا قلنا إنه كان عميدا من عمداء العلم والفضل وعطية فريدة من العطايا الإلهية ، كأن الله قد خلقه زينة للعلم ومنحة لأهله ، ولم يكن أحد بين فصحاء العرب والعجم فى عصره من استطاع أن يجيد العربية والفارسية كما كان يجيدهما ، وإن جميع البلغاء المعاصرين له كانوا يثنون عليه ويقدرونه غاية التقدير . »

ويقول عنه ياقوت الحموى ، نقلا عن القاضى معين الدين محمد بن محمود الغزنوى صاحب «سر السرور» : إذا اجتمع الأفاضل فى مضمار التفاضل واتزنوا بمعيار التساجل كان هذا الشيخ هو الأبعد إحضاراً والأرجح مقدارا ، أقر له بالتقدم رجالات الآفاق ، وأذعن له بالترجيح فضلاء خراسان والعراق ، حتى أشرق شمسا وهم كوكب وشهاب ، وأعذب بحرا وهم بين نهر وسراب ، يجلو عليه الفضل نفسه فى معرض الإحسان ، ويناغيه أهل الفضل بلسان القصور والإذعان ، وتشرئب إلى قلائده أجياد الأنام وتتباهى برسائله مواقع الأقلام .

شعره ونثره :

وقد كان الشيخ أبو العلاء اللاهورى شاعرا متفننا وأديبا بارعا ونحويا كبيرا ، وله شعر جيد رصين يجمع بين رقة الأسلوب ودقة المعانى وليس فيه التكلف البارد أو التصنع البعيد الذى يمتاز به شعر من عاصره من الشعراء فى العصر الغزنوى ، كما أن له آثارا نثريه جميلة تدل على موهبته وعلو كعبه فى لغة الضاد ، وكل ذلك يرجع إلى طبعه الخصب الفياض وجهده المثمر المتواصل فى خدمة اللغة العربية وآدابها ، ويقول فى ذلك القاضى معين الدين الغزنوى : « ولم يزل ، منذ أن شب إلى أن اشتعل الشيب برأسه ورسب قذى العمر فى آخر كاسه ، بين اقتباس يصطاد به وحوش الشوارد ، وإقباس ينثر منه لآلى القلائد ، وإبداع صنعة فى الشعر ما جمش الأديب باظرف من بدائعها ، واختراع نادرة ما أتحف الفضل باطرف من روائعها ! »

أما الموضوعات الشعرية عند أبى العلاء اللاهورى فهى لا تختلف عن الموضوعات المتداولة فى عصره ، فنراه يطرق جميع الميادين الشعرية من الفخر والحماسة والمدح والرثاء والغزل ، إلى جانب الصناعات البديعية المتداولة فى عصره ، ولكن قبل أن ندرس شعره ونثره يجدر بنا الإشارة إلى أن اللغة

الفارسية كانت قد بدأت تحل محل اللغة العربية كلغة رسمية فى هذا العصر الغزنوى، فكان من الطبيعى أن تكون اللغتان — العربية والفارسية — أداة التعليم والثقافة، ومن الطبيعى أيضا أن تكون كلتا اللغتين أداة الإظهار والتعبير عند المثقفين وعند الشعراء والأدباء خاصة، فنرى الكثيرين من شعراء هذا العصر وأدبائه يجيدون اللغتين شعراً ونثراً فى نفس الوقت وهو مما اكتسب لهم لقب ذوى اللسانين » أى أنهم شعراء اللغتين وأدباؤهما. وعلى رأس هؤلاء الشعراء والأدباء كان صاحبنا أبو العلاء اللاهورى الذى أخرج ديوانين أحدهما باللغة العربية والثانى باللغة الفارسية، ويقول ياقوت عن ديوانه العربى نقلا عن القاضى الغزنوى :

« وقد سافر كلامه من غزنة إلى العراق ومن ثم إلى سائر الآفاق حتى أننى حدثت أن ديوان شعره بمصر يشترى بمائتين من الحمر الراقصات على الظفر، والمشهور أن ديوان شعره يشترى بخراسان بأزفر الأثمان، وكيف لا وما من كلمة إلا وحقها أن تملك بالأنفس وتقتنى، وتباع بالأنفس وتشترى » .

ومن شعره يصف شجرة الياسمين :

إليك الياسمين الغض عنى
إليك فإن فيه شرّ فال
فنصفٌ منه ياس من وصال
ونصف منه مين من خيال !

وله قصيدة دالية يتتبع فيها دالية الشاعر العربى الشهير الأعشى ميمون بن قيس، ومطلع قصيدة أبى العلاء اللاهورى :

أأعبد للدنيا الدنية أعبدا
وفضل إلهى ماج كالبحر مزبدا؟ !
عطاء حبانا لا يحيط بعده
حساب (عطاءٍ) ألف عامٍ مرددا

ويروى أبو الحسن الباخرزى أبياتاً من لامية أبى العلاء اللاهورى ثم يعلق عليها قائلا : قلت : هذا روق رائق وفوق فائق وغزال مغازل ! .» والأبيات هى (يصف قصيدة لشاعر صديق له) :

نظمك المعجز المبارك فالا
قد سقانا من عينه سلسالا
فروينا وما روينا ولكن
قد شفينا به القلوب النهالا
واجتنينا لآلىء العقد منه
واجتنينا السعود والإقبالا
رق لفظا فقيل خمر حرام
راق معنا فخيل سحرا حلالا

وله أيضا يصف شعراً لأحد الشعراء المعاصرين :

قريضٌ تجلى مثل ما ابتسمت أروى
ترشفت من فيه الرضاب فما أروى
تجلى كأروى فى حجال سطوره
وأنزل من شم الجبال لنا أروى
قريض به زادت لقلبى غلة
وغيرى به يروى الغليل إذا يروى

وله يصف عيون حسناء :

ياظبية سلت ظبى من جفنها
تفرى بها أعناق آساد الورى
ما كنت أدرى قبل جفنك أنه
جفن الظباء يكون أجفان الظبى !

وهو القائل :

الحلب من دنياى جداء ما بها
على كثرة الإبساس در ولا جدى
وأسبح فى بحر السراب ضلالة
وأترك صداء وبى حرق الصدى !

ومما يؤسفنا ويؤلمنا أن ديوان هذا الشاعر الفذ مفقود لا يعرف وجوده فى مكتبات العالم : إلا أن كتب التراجم قد احتفظت بنماذج شعره ونثره فمن النماذج النثرية الرائعة قوله فى الصداقة والروابط الأخوية بين أفراد البشرية :

« الصحبة نسبة فى شرع الكرم ، والمعرفة عند أهل النهى أوفى الذمم ، والأخوة لحمة دانية ، والمصافاة قرابة ثانية ، ولو كان مابين ذات البين مابين القطبين لوجب أن يقطعا عرض السماء كالمجرة مواصلة ، ويتصلا اتصال الكواكب مراسلة ، ولكن الأقوام فى العقوق سواسية ، والقلوب فى رعاية الحقوق قاسية ! » :

وله رسالة غريبة رائعة بعث بها إلى أحد الوزراء فى وقته وهى مليئة بالمصطلحات النحوية استخدمها أبو العلاء لتعبيرات نادرة جداً :

« أطال الله بقاء الشيخ فى عز مرفوع كاسم كان وأخواتها ، إلى فلك الأفلاك منصوب كاسم إن وذواتها إلى سمك السماك ، موصوف بصفة النماء ، موصول بصلة البقاء ، مقصور على قضية المراء ، ممدود إلى يوم الثناء ، معروف به مضاف إليه ، مفعول له موقوف عليه ، صحيح سالم من حروف العلة ، غير معتل ولا مهموز همز الذلة ، يثنى ويجمع دائما جمع السلامة والكثرة ولا جمع التكسير والقلة ، ساكن لا تغيره يد الحركة ، مبنى على اليمن والبركة ، مضاعف مكرر على تناوب الأحوال ، زائد غير ناقص على تعاقب الأحوال (أى السنوات) . مبتدأ به خبر الزيادة ، فاعل مفعوله الكرامة ، مستقبله خير من ماضيه حالا وغده أكثر من يومه وأمسه جلالا ، له الاسم المتمكن من إعراب الأمانى ، والفعل المضارع للسيف اليمانى ، لازم لربعه لا يتعدى ، ولا ينصرف عنه إلى العدى ، ولا يدخله الكسر والتنوين أبداً ، يقرأ باب التعجب من يراه ، منصوباً على الحال أعلى ذراه ، متحركاً بالدولة والتمكين ، منصرفاً إلى ربوة ذات قرار ومعين ، وهذا دعاء دعوت له على لسان النحو ، وأنا داع له بكل لسان على هذا النحو ، ولولا الاحتراز العظيم من أن يمل الأستاذ الكريم لسردت افراده سردا ، وجعلت أوراده وردا ، وجمعت أعداده عقدا ، ونظمت أبداده عقدا ؛ ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ، إن الله لا يهدى كيد الخائنين ! » .

ظهور أحمد أظهر
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة پنجاب (لاهور)

إقبال والقرآن

للدكتور حسين مجيب المصري

ما كان لقولنا فى القرآن أن يتسع علينا فيقف عند حد ولا يطول بنا فيبلغ المنتهى وذلك أنه المسمى بالنور على المعقول والمجاز ، له مستلزمات النور السماوى الهادى على المحسوس والحقيقة ، ألا وهى الإشراق فى دوام ودوام ، وتبديد الظلمات ما خيمت على كل ما غمره فى أية جهة من الجهات .

وحسبنا فى الإشارة إجمالا إلى ما يمتاز به من عموم وشمول أن نقول إن الخطاب فيه على كثير من الوجوه ، كالخطاب العام فى (خلقكم)والخاص فى (أكفرتم) وخطاب الجنس فى (يأ يها الناس) والنوع فى (يا بنى آدم) وخطاب العين (يا آدم) وخطاب المدح (يأيها الذين آمنوا) وخطاب الذم (يأيها الذين كفروا) وخطاب الكرامة (يا أيها النبى) وخطاب التودد (يا ابن أم أن القوم) كما أن فيه خطاب الجمع بلفظ الواحد(ياأيها الإنسان ما غرك)وخطاب الواحد بلفظ الجمع (وإن عاقبتم) وخطاب الواحدبلفظ الإثنين (ألقيا فى جهنم)والإثنين بلفظ الواحد (فمن ربكما يا موسى) وخطاب العين والمراد به الغير (فإن كنت فى شك) كما أنه يخاطب ثم يخبر كما فى (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان . (أولئك هم الراشدون) ويخبر ثم يخاطب (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم) ويخاطب عيناً ثم ينصرف هذا الخطاب إلى الغير كما فى قوله عز من قائل (إنا أرسلناك شاهداًومبشراً ونذيرا .ليؤمنوا بالله ورسوله) [1] .

ووردت فى فضائل القرآن أحاديث كثيرة تأتى لجلال الدين السيوطى أن يصنف فيها كتاباً موسوماً بخمائل الزهر فى فضائل السور . واختار منها حديثاً جاء فيه قوله صلوات الله وتسليماته عليه(كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ

---

(١) ابن الجوزي : المدهش ص ٢ و ٣ (القاهرة ١٣٤٨) .

به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه ، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم .

ومما يذكرنا بفضل للقرآن إلى كل ما له من فضل أنه يحوى أشتات العلوم وتلك حقيقة تصدى لها فقيه عالم من أهل القرن السابع الهجرى هو الطوفى البغدادى فبين العلوم التى اشتمل عليها وينبغى للمفسر أن ينظر فيها ويصرف العناية إليها . وقال إن علم القرآن إما لفظى وإما معنوى فمن اللفظى علم الغريب وهو معرفة مفردات اللغة والإعراب والقراءات. أما المعنوى فمنه الوجودى المتعلق بالموجودات كالحث على النظر فى السموات والأرض وما فيها . ومنها الاعتقادى المسمى بأصول الدين وموضوعه البحث فى أحكام الإيمان بالله واليوم الآخر والكتاب والملائكة والنبيين . ومنها التاريخى وهو معرفة أخبار القرون الماضية كقصة آدم وخلقه وسجود الملائكة له . ومنها الوعظ ، وهو ما ترق به القلوب للإيمان وتنصرف إلى ربها . وتنصرف به النفوس عن العاجلة إلى الآجلة . ومنه علم الفقه وأصوله وبهما يعرف المؤمن أمر دينه وأحكام شريعته ثم علم المعانى والبيان .

وإنى لواجد فى رأى هذا المؤلف حجية ولا ريب ، لا لأنه ذكر ما يستقيم فى الفهم وحسب ، بل لأنه توخى الدقة بحذافيرها فى حكمه ، وعمد إلى التحديد فى كلامه ، والدليل كل الدليل على ذلك أنه تعرض لمن قبسوا العلم من القرآن فى كيفية الأخذ ، ففند ما فند وأيد ما أيد، ونسوق لذلك مثالا قوله إن طوائف من العلماء يتمسكون على دعواتهم بشبه كأصحاب صناعة الكيمياء الذين يتمسكون على صحتها بقوله تعالى (أنزل من السماء ماء) إلى قوله (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) وهم فى ذلك يشيرون إلى أن فى الغثاء ما إذا خالط المعادن الممتزجة سطا عليها بطبعه ، فميز الإكسير النافع منها وأفرده عن المزاج الزبدى الذى لا نفع فيه ، أو يرون أنه بالوقيد فى التصفيه يحدث ذلك . ويعقب على ذلك بقوله إن اللفظ يحتمل هذا من قولهم ، غير أنه ليس المراد منه باجماع من المفسرين وإنما هو مثل ضربه جل شأنه للإيمان والكفر والحق والباطل وشبهه بماء الغيث الذى يحمل الغثاء وهو يجرى فى الأرض زبداً يلقى ولا نفع له ، أما النفع فيكون بالماء الذى ينبت الزرع ويروى الظمأ .. والمعادن إذا عولجت بالنار ذهب عنها خبثها الذى لا ينفع ويبقى جوهرها الذى يتخذ حلية ومتاعاً .

---

(١) جلال الدين السيوطى : الإتقان ص ١٥١ ج ٢ (القاهرة ١٩٣٥ .)

كما يسفه رأى أصحاب التناسخ الذين يتوهمون أنهم يؤيدون مذهبهم بقوله تعالى (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) أى كانوا بشراً ثم نسخت أرواحهم فى أجساد الدواب والطير ويرى أن احتجاجهم ضعيف يرده المعقول والمنقول .

أما المتصوفة الذين يحتجون على ثبوت العلم اللدنى بقوله تعالى (وعلمناه من لدنا علما) فيحبذ رأيهم ويستصوب متمسكهم ويؤيد دعواهم لأن الإنسان إذا راض نفسه بالعبادات تهيأت لقبول الفيض الإلهى الذى يفيض عليها علما تدرك به حقائق بعض الغائبات وما أشبهها بالمرآة جليت فحكت صور ما قابلها[1] .

ومن الباحثين المحدثين من جمل القول فى فضل القرآن على العلم بالمفهوم الأوسع ، فيرى أنه لولا القرآن لكان لعالمنا اليوم غير ما هو لأنه أصل النهضة الإسلامية التى استبقت علوم الأولين وهذبتها فالحضارة الإسلامية المنبعثة من القرآن شكلت عنصراً على أعظم جانب من الأهمية فى التاريخ العلمى عند الأوربيين . وكان العلم قبل الإسلام عند الأمم فى النطاق الأضيق لأنه كان وقفاً على الكهنة دون سواهم عند المصريين والأشوريين وفى أبناء الأشراف عند الرومان . وفى طائفة مختارة من الشبان عند اليونان والهنود . وجاء الإسلام فحث على طلب العلم وترديد النظر وفى القرآن (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة) و (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) كما قال صلى الله عليه وسلم (اطلبوا العلم ولو فى الصين[2]) .

ويذهب رينان إلى أن القرآن من حيث أسلوبه يحمل طابع الجدة ، ويمكن القول إن هذا الكتاب يعد ثمرة أدبية ودينية على سواء فهو عند العرب مثال للأسلوب فى النظم وفى النثر ويعرض الشعر فى بلاغته فهو نص غاية فى أهميته للحياة الثقافية عند أمة من الأمم. كما يرى أنه ظهر حين دب دبيب الضعف فى الشعر العربى ، وهو يستدل على تلك الظاهرة بقول عنترة فى الشطر الأول من معلقته (هل غادر الشعراء من متردم)[3].

ونستدرك على هذا الكاتب رأيه بقولنا إن القرآن نص منثور يخلو تمام الخلو من الشعر الموزون، ويباين النثر الجاهلى والإسلامى بآياته التى تتيح لقارئه الوقف ، كما أنه لا يلتزم السجع التزاماً ، ففيه سور قصار مسجوعة وكثرة من الآيات تتضمن سجعاً فى السور الطوال . وكثيراً ما ينتقل من كلام مسجوع إلى مرتل . فهذا القرآن حينئذ

(١) الطوفى البغدادى : الاكسير فى علم التفسير ص ١٨ - ٢٤ (القاهرة ١٩٧٧) .

(٢) مصطفى صادق الرافعى : إعجاز القرآن ص ١٤٥ - ١٤٦ (القاهرة ١٩٢٨) .

(3) Renan : Histoire Generale des Langues Semitiques PP. 367, 368 (Paris 1901).

نثر ذو طابع خاص وسمات على حدة . ولا نتابع الباحث على رأيه وهو يقول إن القرآن ظهر فى فترة تدهور أدبى عند العرب وقول عنترة مؤيد لما يناقض ذلك ، وبالتالى يصوب فهم من قد يتوهم أن القرآن استمد إشراقه مما حوله من ظلام . ومعلوم أن القرآن نزل بلغة قريش وهى أفصح لغات العرب ، وأنه صلى الله عليه وسلم أفصح فصحائها كما يتجلى ذلك فى الحديث النبوى وللشعر والشعراء ذكر فى الكتاب الكريم . ومن قالة الشعر من أيدوا دعوة الإسلام ببيانهم ولسنهم .

وإذا ما قدر الشيوع والذيوع للغة العرب فى المشارق والمغارب ، وجرت على ألسنة من لم يكن أصحابها موصولى النسب بالعرب فذلك بفضل القرآن الذى أصبح النظر فيه أوجب واجب على المسلم . ونضرب لذلك مثلا بانتشار العربية فى فارس فبعد أن فتح الله على العرب تلك البلاد لرفع كلمة الحق والدين ، تقوضت دعائم ملك الأكاسرة وحلت وحدانية الإسلام محل ثنوية المجوس ، وكان حتما على الفرس الداخلين فى دين الله أفواجاً أن يعرفوا لغة القرآن لأنها لغة الدين ، فحذقوها أيما حذق ، وتأتى لهم على مر الأيام أن يبزوا العرب فى امتلاكهم لناصيتها مما أنساهم فارسيتهم وقوميتهم ، فلم يكونوا إلا مسلمين. والإسلام لا يفرق بين عربى وعجمى إلا بالتقوى وقضى الله من بعد أن يكون من هؤلاء الأعاجم من حملوا مشعل حضارة الإسلام فى كل مظهر من مظاهرها كالدين والعلم والفن ، فكانوا مشاهير المفسرين والمحدثين والعلماء والمفكرين والمؤلفين والفنانين . وعبروا بلغتهم التى لم يفصلوها عن إسلامهم وهى لغة الكتاب الكريم . أما بعد أن وجدوا السبيل إلى بعث ما اندثر من قوميتهم وبناء ما انهدم من صرح كسرويتهم وكانت اللغة رمزاً لسابقتهم فى المجد وتعبيراً عن عصبيتهم نشأت فيهم لغتهم الفارسية المعروفة بالفارسية الحديثة تمييزاً لها عن الفهلوية أو الفارسية الوسطى التى كانت لغتهم قبل أن ترق للإيمان قلوبهم . غير أن هذه الفارسية تأثرت بلغة القرآن فى أعماقها وأبعادها ، بل إن العنصر العربى فيها كان له الرجحان على العنصر الفارسى .

بيد أن لغتهم الفارسية القومية لم تنسهم لغتهم الدينية القرآنية فى مقامها الأول فظلت لديهم لغة القرآن والشرع . ومنهم من نظم الشعر بها وألف وصنف إلى جانب ما نظم ونثر بفارسيته . وكان العلم بالعربية ضرورة دينية وثقافية لكل فارسى لا غنية له عنها .

ولما غزت جيوش الفرس شمال الهند فى القرن الرابع الهجرى تمت الخلطة بينهم وبين أهل البلاد وأفضت هذه الخلطة إلى امتزاج لغة الفرس بلغة أهل السند حتى نشأت لغة جديدة فى شمال الهند عرفت بالأردية نسبة إلى (اردو) بمعنى الجيش

فى التركية لأن العنصر الأغلب فيها كان فارسياً ولما كانت الفارسية محملة بما لا يحصى كثرة من الألفاظ العربية وتراكيبها ، تسربت لغة العرب إلى لغة أهل الهند . وكان شأن العربية شبيهاً بشأنها فى بلاد الفرس ، أى أنها كانت لغة الدين والشرع بالذات .

ووجدت لغة القرآن سبيلها إلى لغة الترك بعد أن دخل الإسلام عليهم فى القرن الثانى من الهجرة وأخذ الأتراك العثمانيون بأسباب حضارة الفرس الإسلامية فتسربت الفارسية إلى تركيتهم بما فيها من عربية . كما كانت العربية لغة يعرفها علماء الترك وبلغاؤهم ، على أنها لغة دينهم وشريعتهم . وهذا كله قاطع الدلالة على انتشار العربية فى الآفاق ودخولها فى تشكيل لغتين إسلاميتين معلول بعلة لا مرية فيها ، وهى أن العربية لغة كتاب الله التى جمعت المسلمين أجمعين بوشيجة لغوية وإن تفاوتت تلك الوشيجة قوة وضعفاً لدى شعوبهم فى أرجاء الأرض .

وهذه الصلة اللغوية بين المؤمنين تذكرنا بصلة أخرى تعرض لها لامانس قائلا إن التصور الإسلامى للعالم إنما تشكل فى قالب القرآن وهذا التصور يفسر لنا مابين المسلمين من تساوعلى نسق واحد وإن اختلفوا فى الجنس[1]

وهذا من كلامه تمس الحاجة فيه إلى بسط وإيضاح ، فذلك التصور المجرد للعالم مبهم يستغلق ، وقد يشركهم فيه غيرهم ، والأمثل أن يقال إن القرآن جمعهم على عقيدة واحدة فساوى بينهم على هذا المفهوم وإن وجب التحفظ والأخذ بالحيطة فى هذا الحكم على إطلاقه ، لأن الإجمال لا يغنى عن التفصيل .

وذلك باعثنا على الخوض فى حقيقة أخرى لها العظيم من خطرها وهى أن المسلمين جميعا لم يفهموا القرآن على وجه واحد ، وتفاوتهم فى فهمهم مترتب على تفاوتهم فى علمهم ومنهج تفكيرهم . ونعهد هذا فى العصور الخوالى والعصور التوالى .

قيل إن سائلا سأل عمر بن الخطاب عن معنى الأبّ فى قوله تعالى فقال نُهينا عن التكلف والتعمق كما سئل عن معنى التخوف فى قوله تعالى (أو يأخذهم على تخوف) فلم يعرف . وسأل رجلا فعرف وأيد المعنى ببيت من الشعر[2]

كان هذا فى الأعوام الأولى من الإسلام وعمر سامع من النبى واع عنه والظن بمثله أنه بعلم هذا الأخلق الأجدر ولكن كتاب الله وهو ما فى دقة معانيه ورصانة مبانيه لا يدرك كله ولا جله بيسروهينة والحاجة جد ماسة فى فهمه إلى إعمال الروية وترديد النظر وتقصى الحقائق وطلب القواطع من البراهين ، ومن المستبعد أن يضطلع فرد

(١) Lammens : L'Islam, Croyances et Institutions. P. 63 (Beyrouth 1926).

(٢) الشاطبى : الموافقات ص ٥٧ ، ٥٨ (القاهرة)

وحده بهذا كله . وإن كان ذلك لا يتنافى مع وجود آيات واضحات وكلمات مأنوسات يتيسر فهمها ولا يتعسر .

ودامت الحال على هذا حتى تقدم الزمن وانقسم المسلمون شيعاً وأحزاباً واحتدم بينهم النزاع والتخاصم وتضاربت الأقوال ، وتخالفت الآراء ، والتمس كل فريق حجته الدامغة على رأيه الملزم فى آية يفسرها وقد يخرج بها عن الصحيح من مغزاها .

وهذا الصنيع يذكرنا بقول من قال : انما إنسان باحث عن عقديته فى الكتاب السماوى ، وما من أحد إلا واجد ما بحث عنه [١] .

ولما رأى جماعة من الزهاد المشتغلين بالعلم أن التفسير كان لاستنباط الأحكام وتأييد العقيدة بالحق بذلك كان الإقدام على الجانب العقلى والإحجام عن الجانب الروحى جمع بعضهم مفاهيم أهل الوجدان من العلماء فى كتب كانت من بعد ما عرف بالتفسير الصوفى ومن أقدمها حقائق التفسير للسلمى واللطائف للقشيرى [٢]

والحق أنه من الأهمية بمكان عظيم أن يهتدى إلى نزعات التصوف فى القرآن ويعد مؤيداً مؤكداً لتأملاتهم الدينية والدنيوية [٣]

ومن الباحثين من يرد فكرة وحدة الوجود مثلا التى أخذ بها بعض الصوفية إلى قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم) فهذا أبو طالب المكى صاحب قوت القلوب حين يذكر مقامات أهل اليقين يبدأ الفصلين اللذين عقدهما عن مقام التوبة والصبر مثلا بما يؤيدهما من آيات الذكر الحكيم [٤] . وحقيق بالذكر أن الاختلاف فى فهم القرآن وتفسيره كان علة العلل فيما وقع من شديد الخلاف بين الفقهاء والصوفية ، فالفقهاء وقافون عند حرفيته وظاهره على نقيض من الصوفية الذين ينصرفون إنصرافاً عن هذا الظاهر ويغوصون فى أغوار الباطن . فالفقيه يرمى الصوفى بالفسق والمروق والصوفى يرمى الفقيه بعمى البصيرة وضيق الأفق وهو عنده ذلك الجهول الذى لايعرف من اللوزة إلا قشرتها ولا يرى من الدرة إلا صدفتها . وها هو ذا

---

(١) Goldzieher : Die Richtungen der islamischen Koranauslegung S1 (Leiden 1952).

(٢) صدر الدين القونوى : إعجاز البيان فى تأويل القرآن ص ٢٥ (القاهرة ١٩٦٩)

(٣) Goldzieher:Die Richtungen der islamischen Koranauslegung S1. 180 (Leiden 1952)

(٤) أبوطالب المكى ، قوت القلوب ص ٣٦٤ و٣٩٤ حـ ١ (القاهرة ١٩٦١) .

جلال الدين الرومى أكبر وأشهر شعراء التصوف عند الفرس يقول فى هذا الصدد (لا تظنن أن حرف القرآن ظاهر فتحت الظاهر بطن باهر للناظرين ، فما يرى الشيطان من آدم إلا الطين . وظاهر القرآن كشخص الإنسان يبدو منه للعيان إلا أن روحه فى طى الكتمان [1] .

فالصوفية يرون أن مذهبهم جامعة بين المسلمين جميعاً وفى هذا يرى أحد الباحثين الإيرانيين المحدثين أن حركات مقاومة الأيرانيين ضد العرب رغبة فى بعث القومية الإيرانية التى استأصل العرب شأفتها اتخذت لها طابعاً مذهبياً فتناحرت الأحزاب ، وتصادمت العقائد ووقعت الفرقة بين المسلمين المتخاصمين المتحاربين فصح العزم لدى بعض الإيرانيين فى القرن الثانى من الهجرة على الدعوة إلى الأخذ بمبادىء التصوف التى لا تفرق بين فرقة وأخرى وبذلك يعتصم المختلفون بالعشق الألهى الذى يكفل لهم الوحدة والصفاء بين الفرقة والعداء [2] .

وعندنا أن هذا مجرد حسبان لا يؤيده سند من تاريخ ولا يؤكده عقل ولا نقل إلا أننا نورده لإشارته إلى مبدأ خاص للمتصوفة يعززه رأى آخر فيما يتعلق بالتصوف والقرآن واللغة العربية .

فهذا من يقول إن معرفة مبادئ التصوف مستلزمة حتما فهم الألفاظ العربية وفى معرفتها الكفاية كل الكفاية فما من لغة سواها لها ما لها من دقة المعانى وغزارتها . وعند الصوفى أنه إذا قدر على أن يأتلف وتنضم أطرافه فى وحدة مثالية ، واتقى العالمون الله حق تقاته . فلن يكون هذا إلا من خلال اللغة العربية والرمزى من دلالاتها . والقرآن يزود الصوفى بكل ما يروض الحياة ويواجهها فى شتى مناحيها كما يجد فيه أن محبة الله التى تضمنتها كتبه من قبل بلغت ذروة كمالها فى كتابه الخاتم [3]

والقرآن فى تعريف بعض الصوفية هو الذات التى تضمحل فيها جميع الصفات فهى المجلى المسماة بالأحدية أنزلها الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ليكون مشهده الأحدية من الاكوان ومعنى الانزال أن الحقيقة الأحدية المتعالية فى ذراها ظهرت بكمالها فى جسده [4]

وعند الصوفية أن الفعل يقرأ هو المرادف البدائى للفعل تصوف والقدر الأكبر من مصطلحات الصوفية أنما أخذ من القرآن [5]

---

(١) حرف قرآن را مكوكه ظاهراست زير ظاهر باطنى هم قاهر است
زير آن باطن يكى بطن دكر خيره كردد اندرو فكر ونظار
توز قرآن أى پسر ظاهر مبين ديو آدم رانبيند غير طين
ظاهر قرآن چو شخص آدمى است كه نقوشش ظاهر وجانش خفى است

(٢) روشندل . . مقدمة كلشن راز ص ١٣ (تهران ١٣٥١)

3. Iqbal Ali Shah, Islamic Sufism PP. 40-42 (London 1953).

(٤) الجيلانى : الانسان الكامل ص ٦٦ حـ (القاهرة)

5. Emile Dermenghem: L'Eleoge du Vin P. 44 (Paris 1931). (٥)

كما أن القرآن هو الأصل الذى اشتقت منه رموز التصوف الإسلامى [1]

وقد أدخل الصوفية رمزية القرآن فى أعماق الشعر الإسلامى على اختلاف لغاته حتى تعذر فهم هذا الشعر أو كاد مالم يكن القارئ على علم واسع بالقرآن [2]

ونحن واجدون فى شعر الترك والفرس ذكراً للقرآن يتردد ويتردد وذلك لسببين عام وخاص أما العام فما لكتاب الله من منزلة عند المسلم وكرامة عليه وما يتوجب من نظره إليه مأخذا للدين وفيصلا للحسم فى كل ما مست حاجته الى حجة تقطع ودليل يقنع . أما السبب الخاص فهو نشر مذهب بعينه والتماس ما يشكله فى كيان ويؤيده ببرهان . وهو المذهب الصوفى فى الأعم الأغلب . فهذا شاعر الأتراك العثمانيين الأول عاشق باشا من أهل القرن الرابع عشر ينظم كتاباً فى التصوف بعنوان (غريبنامه) ويرتبه على عشرة أبواب من عشرة فصول يعرض فى مقدمة كل فصل فكرة الموضوع ثم يتناولها بالتذييل والتأويل مع استشهاد بآيات قرآنية[3] والمشاهد أنه لا يدخل الآيه فى كلامه بل يفصل بها مراراً بين الطائفة من شعره .

وها هو ذا يورد قوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) ثم يبسط الكلام فيها ويعاود ذكرها فهى فاصلة فى أربعة مواضع من شعره تستغرق أقل من صفحتين[4] ويمضى بنا الكلام إلى شاعر تركى آخر هو تسيمى الذى عاش إلى أوائل القرن الخامس عشر ، وكان على المذهب الحروفى ، الذى يذهب أصحابه إلى أن فى القرآن علما لا يحيط بشىء منه إلا ذو حظ عظيم ، وأن الله خلق الإنسان على صورته وهو معبود الملائكة جميعاً إلا إبليس الذى أبى السجود له . وللقرآن باطن ينبغى الأخذ به وظاهر من الحتم قطع النظر عن حرفيته. والحروفية يشبهون وجه الإنسان بالقرآن فيقولون على سبيل المثال إن رأسه سورة الفاتحة . وبعض جوارحه مما يستوجب العبادة والله فى وهمهم قد حل فى الإنسان فإذا تغزل شاعرهم فى محاسن امرأة فقد سبح بحمد ربه وعبده فى تلك الصورة الآدمية الجميلة[5] ؛

(١) Massignon : Essai sur les Origines du Lexique Technique de la Mystique Musulmane P 180

(٢) Schimmel : Der Koran, S. 19 (Stuttgart 1960).

(٣) دكتور حسين مجيب المصرى تاريخ الادب التركى ص ٦٧ (القاهرة ١٩٥١)

(٤) كيب تاريخ أحفار عثمانية ص ١٠ ، ١١ ليدن ١٩٠٩

(٥) دكتور حسين مجيب المصرى فى الادب العربى والتركى ص ٦٧ (القاهرة ١٩٦٢)

وهو يضمن أشعاره آيات قرآنية ما استطاع إلى ذلك سبيلا كما فى تغزله وهو يقول إن وجه الحبيب نصر من الله وشعره فتح قريب وغدائره وجبينه الرحمن على العرش استوى حتى يقول إن جماله كلام الحق وهو شيء عجيب (١)

ومن شعراء الترك فى القرن الثامن عشر شاعر يسمى نابى كان مرموق المكانة حتى ضرب المثل ببلاغته وتناهيه فى فصاحته . ولم يشكل الخيال والحس العنصر الغالب على شاعريته وأفكاره لا تنسجم إلا فلسفياً وما تحدث شاعر من أهل زمانه كما تحدث عن الله والقضاء والقدر والرضا والتوكل والقناعة والاخبات وما أشبه (٢)

وقد أشار إلى القرآن الكريم فى مواضع من شعره كما فى قوله وهو يمدح النبى صلى الله عليه وسلم إنه إنسان عين روح سر القرآن (٣)

فكأنه لم يجد مشبها به أعظم ولا أكرم من كتاب الله .

كما يلوح إلى ما جاء فى القرآن من خبر الطوفان فيقول إن الحنين إلى وصاله كان شراعاً لسفينة نوح مضى بها إلى الساحل (٤) فهو متأثر بالتصوف ، ولكن فى روعة بيان وروحانية فامال إلى تأويل ولا غير المعنى إلا بمقدار ، أما إذا بلغ بنا الكلام صنيع شعراء الفرس فى هذا الصدد فلنأنس بقول من انبرى لتأريخ العلوم فى إيران بين منتصف القرن الخامس إلى مستهل السابع . إن تفسير القرآن تعددت مقاصده وتشتت فكل طائفة من العلماء فسرت القرآن بوجهة نظرها الخاصة بها فالنحوى فسره من حيث صلته بقواعد النحو ، والإخبارى لم يهتم إلا بما فيه من قصص وأخبار والفقيه استمد منه أحكام الفقه والصوفى قصر نظره فيه على ما بعقد الصلة بينه وبين التصوف (٥) وهذا يذكرنا بالشاعر الفارسى الصوفى سنائى المتوفى عام ٥٤٥ هجرية وهو أول شاعر فارسى صوفى أورد فى شعره اصطلاحات التصوف (٦) وله كتاب منظوم فى التصوف موسوم بحديقة الحقيقة . وفيها يذهب مذهب الصوفية فى رؤيتهم للقرآن ظاهراً للعوام وباطناً للخواص . وسنائى يتخذ من القرآن أساساً يقيم عليه كتابه هذا فلا نكاد نقع على موضوع فيه يخلو من آية قرآنية يفسرها على النحو الصوفى .

---

(١) نسيمى : ديوان نسيمى ص ٤٧ (استنبول ١٢٦٨)

2. Agah Sirri : Nabi'nin Surnamsesi S. 17 (Islanbul)

(٣) ديوان نابى : ص ١٧ .

(٤) ديوان نابى : ص ١٦ .

(٥) دكتور ذبيح الله صفا تاريخ ادبيات در ايران ص ٢٥٤ جـ ٢ تهران ١٣٣٩ .

(٦) دكتور معين : مزديسنا وتأثير آن درادبيات پارسى ص ٥٠١ تهران ١٢٢٦ .

والآيات إما ترد بنصها أو بمعناها ، كما يتناولها بالتفسير حرفياً أو صوفياً أو كلامياً وحقيق بالذكر أن سنائى عمد إلى التفسير الصوفى فى الآيات التى تتصل بمقامى القهر واللطف ، وهما يقابلان الوعد والوعيد عند المتكلمين [١]

ومثال ذلك قوله إن الله إذا شاء إحياء الميت قام يجر ر كفنه ولو قال لحى مت لقضى كائناً من كان ومن قهره ولطفه الحى من الميت والميت من الحى [٢] وبعد سنائى يتسع المجال لذكر شاعر فارسى صوفى من أشهر المشاهير وهو العطار من أهل القرن السابع وله منظومة بعنوان إلهى نامه ، أورد فى مواضع منها ألفاظاً وعبارات قرآنية بلفظها . كما فى قوله إن (لعمرك) تاج رأسه الذى ينفح مسكا و (ألم نشرح) طراز لزمانه[٣] وقد أورد من القصص الدينى ما لا نجده بهذه الكثرة فى كتبه المنظومة الأخرى ، وما ذاك إلا أن روح الزهد سيطرت عليه فى التفكير والتعبير ، فاستمد القصص الدينى من مظانه وقد أضاف إليه فى كثير من المواضع آيات قرآنية لتأييد المعانى وتأكيدها [٤] وترجم آية فى قوله (لم يولد منه أحد ، ولا ولد من أحد) [٥]

وقبس من القرآن قصة آدم وحواء وإبليس للتمثيل والتخيل ومجمل ما قاله أن إبليس أودع ابنه المسمى الخناس صدر حواء فعجز آدم عن إخراجه ، وحاول ذلك الكرة بعد الكرة إلا أن محاولته ذهبت هباء منثورا ، ولقد قتل الخناس ومزقه تمزيقاً غير أنه بعث حياً ، وأحرقه وأذراه فى الريح رمادا ، ولكن سرعان ما دبت الحياة فيه ثم أكل هو وحواء كليته [٦]

وهذا تمثيل لما ورد فى سورة الناس ، وتمثيل لنزغات الشيطان المستقر فى صدور البشر ولا مخرج له منها .

وبعد تعرفنا لهذين الشاعرين الصوفيين ، تجدر بنا الإشارة إلى شاعر فارسى غير صوفى عاش فى الهند فى القرن الخامس هو أبوالفرج الرونى ، ومن خصائص شعره كثرة اقتباس الآيات القرآنية وتضمينها شعره ، وهو ظاهر التأثر بقصص القرآن وله حذق أى حذق فى تشبيه ما وقع لممدوحيه بما ورد فى هذا القصص .

(١) دكتور ابراهيم شتا : حديقة الحقيقة ص ١٣٨ (رسالة بمكتبة جامعة القاهرة).

(٢) سنائى – حديقة الحقيقة ص ١٠٠ (تهران ١٣٣٧)

(٣) عطار : الهى نامه ص : (طهران ١٣٥١)

(٤) فروزانفر : شرح احوال عطار نيشابورى ص ٩٨ – ٩٩ (تهران ١٣٥٣)

(٥) عطار الهى نامه ص ٣٠٨ .

(٦) عطار : الهى نامه ص ١٠٢ – ١٠٣ .

وهذا الشاعر مداح يجنح فى مدحه الى المبالغة والاغراق ، ويثقل عباراته بالبديع ويتكلف إيراد الغريب ، فما وجد أفضل من كتاب الله زينة لكلامه وشاهداً على روعة بيانه .

وأبو الفرح الرونى فى صنيعه هذا موفق تارة ويخذله التوفيق تارات ، شأنه فى ذلك شأن غيره من الشعراء الذين جروا على هذا التقليد الأدبى ، والأمثلة موفورة نورد منها أقلها ، فمن المبالغة التى لا تسوغ فى الذوق قوله إن روح الملك كمعجزة موسى ، تخيب فيها كل حيلة (١) ومن الشطط أن يشبه نفسه بنبى الله موسى فى قوله إنه طالب الخضر كموسى (٢) ولا طلاوة على كلامه وهو يقول إن سهمه حين انطلق إلى أرض العدو قرأ كل من عليها فان (٣) ومما يصرف كلامه عن حقيقة مفهوم الآية أن يقول إن مقدم الملوك يجعل الروضة قاعا صفصفا على حين يصبح القاع روضة بمقدم الملك (٤) .

فكأنه يخالف مضمون الآية وهو أن دخول الملوك على القرية يفسدها ويجعل الأعزة من أهلها أذلة . وكان الأجدر به إذا استشهد بالقرآن أن يستشهد بما لا ريب فيه لا أن يحاول إثبات أن ممدوحه يشذ عما جاء فيه فذلك ما يسوء وقعه فى نفس المؤمن ، ولكن ولعه بالمبالغة فى هذا المدح يشككك فى صحة ما قيل من أن أجمل الشعر أكذبه .

ويشبه هذا بعض الشبه قوله إن عين الزمان طلبت رؤية قدر الممدوح فوضع القضاء فى أذنها (لن ترانيا) (٥)

فذلك مستقبح من وجهين ، أما أولهما فأن الشاعر يورد ما قال الله لموسى فكأنه أجرى على لسان القضاء كلاماً قاله الله لنبيه ، ووجهه إلى عين الزمان ، وتلك جرأة على الله منه . والوجه الثانى إضافته الألف إلى (لن ترانى) (فغير كلام الله ، ولن يتسع له العذر حتى إذا اضطرته القافية إلى مثل هذا .

وهنا مقام نورد فيه مجمل ما قال عبدالقاهر الجرجانى فى إعجاز القرآن من أنه أعجز بمزايا فى نظمه وسباق لفظه وبدائع مبادئ آيه ومقاطعها ومجارى ألفاظها ومساق كل خبر . وليس فى القرآن كلمة ينبو بهـا مكانها ويرى أن غيرها أصلح منها أو أشبه أو أحرى وأحق وأجدر (٦).

وبعد فهذه توطئة كان لزاماً أن نمهد بها بين يدى الكلام فى صنيع إقبال ليكون الفهم على أساس منها ، ويتهيأ بها قياس مجهول على معلوم ، ورد النتائج إلى مقدماتها ، وربط

---

(١) ديوان ابو الفرج رونى صـ ٥٨ (مشهد ١٣٤٨) .
(٢) ديوان ابو الفرج ص ٢٨ . (٣) ديوان أبو الفرج ص ١ .
(٤) ديوان ابو الفرح رونى : ص ٥ . (٥) ديوان ابو الفرح رونى ؛ ص ٨
(٦) عبد القاهر الجرجانى : دلائل الاعجاز ص ٣٢ « القاهرة ١٣٣١ »

المسببات بأسبابها وتبين وجوه التشابه والتخالف بما يتحقق به تفهمنا الحق لإقبال فى نظره إلى كتاب الله ومبلغ عنايته به وترديد آيات منه فى أشعاره . وهذا ما سوف تنعقد فيه الصلة بين حقيقة وحقيقة بكيفية تجلى أخص خصائص شخصية إقبال من حيث كونه مفكراً بعيد الشأو فى رجاحة العقل وسداد الرأى ، وداعية إسلاميا انقطع قرينه أو كاد .

ولما كان المؤمن الموقن ، كان القرآن عنده كتاب الإسلام ومجمع كل ما له من أصول وأحكام ، فليس ببدع أن يتبادر إلى الأخذ بما فيه والاستشهاد بآياته ليكون على حجة مما لا ريب فيه وبحث أولى الألباب على تذكر ما كانوا عن تذكره ساهين .

وهو يواجه القرآن فى شعره على نحوين أما أولهما فاعتباره مرجع كل مسلم وعمدته فى كل أمر من أمور دنياه وأخراه ، والثانى إشارته إليه وتضمين شعره آيات منه . ولنسق الأمثلة لذلك مساقاً موجزاً تتحقق به الإبانة ويشكل المصداق لما نذهب إليه :

فلإقبال منظومة بعنوان (مناجاة) صدر بها كتابه المنظوم (جاويد نامه) وهذا النمط من المنظومات مما شغف به الصوفية على الأخص ، لأنهم ضمنوه التعبير عما تموج به قلوبهم من عشق إلهى وطرقوا رقاق المعانى وهم يرفعون إلى الله أكف الضراعة طلباً لرحمته بهم ، ورغبتهم فى إقرارهم بعبوديتهم له . وما أملهم إلا أن يكونوا فى مرضاته . وهذا تسبيح وتعبد . يقول إقبال :

لك وجه هو قرآنى ودينى
أتضن ؟ وعلى روحى الحزين
لو رمت ألف شعاع شمسنا
ما رأت فى الشمس نقصاً عيننا(١)

فهو يتلو تلو الصوفية فى رمزيتهم حين يوجهون الخطاب إلى الله فى غزلهم الإلهى على غرار ما يوجهه الشاعر إلى محبوبته فى غزله الإنسانى بحيث لا يميز بين الغزل الصوفى وغير الصوفى إلا من أدرك ما فى شعر المتصوفة من إيماء إلى حقائق خاصة بهم ، لا يدركه إلا الراسخون فى العلم . وفى كلام إقبال من رقة العاطفة ما يبلغ الغاية وهو يصور محبته لله ويعبر بذلك عن تقواه :

وقد قرن دينه بالقرآن وتمثل وجهاً لله يرى وجه شبه بينه وبين كتاب الله كما ندرك هذا بالحس الأدبى والخيال الشعرى ولقد ذهب المفسرون مذاهب شتى فى تفسير وجه الله . فهو فى الأصل جارحة الإنسان إلا أن المراد به الذات الإلهية وقيل إنه التوجه إلى الله بالصالحات :(٢)

---

(١) روى توايمان مـن ؛ آن من   جلوهٔ دارى دريغ ازجان مـن
ازاين صد شعـاع افتاب   كم نمى گردد متاع آفتاب (جاويد نامه ص ٣)

(٢) الراغب الاصفهانى : المفردات فى غريب القرآن ص ٥٣٤ (القاهرة)

ونحن لا نخوض فيما خاض فيه المفسرون وكل ما نجعله مناط اهتمامنا فى هذا المقام هو أنه عرض علينا صورة بيانية رائعة أحاطها بإطار نورانى روحانى وهى صورة يبدو فيها الإيمان واالقرآن متلازمين بحيث لا يمكن الفصل بينهما .

ومفهوم القرآن عند إقبال أنه رسالةالحياة بكل ما تنطوى عليه الكلمة من معنى ففيه من الحكم والأحكام ما يصلح الدنيا بالدين ، فيه الدعوة إلى التفكر والتدبر ، والحث على السعى والعمل والزجر عن التواكل والكسل، والأمر بالضرب فى مناكب الأرض والأكل من طيبات الرزق . وأصل الخلاف بين إقبال والمتصوفة هو نعيه عليهم قطعهم للأسباب بينهم وبين الحياة التى يرونها شراً محضاً ينبغى التحرز منه والبعد عنه . ولذلك انطووا على أنفسهم فى الحالم من عزلتهم ، ليكونوا بمنأى عن حياة تموج حولهم . وبذلك أنكروا ذاتهم وآثروا الفناء فى البقاء . وإقبال يرى فى ذلك ما يتعارض مع أمر القرآن ونهيه ومن فهم حق الفهم، أدرك حتمية خوض الحياة بحراً لجياً إلى أن يبلغ البعيد من ساحله ، وعليه أن يتزود من القرآن لتلك السفرة التى ينتقل بها من دار الممر إلى دار المقر ، ويغلظ الائمة على من فهموا القرآن فهماً سقيما فتوهموا دعوته إلى حياة العاجزين المتبطلين المتخلفين عن ركب يمضى قدما إلى الأفضل ويبحث دوماً عما تصلح به دنياه وأخراه وفى ذلك يقول

لمـــلا أو لصوفى أسـير
وفى القـرآن للعيش الكثير !
من الآيات مـا أدركت شيئاً
و من (ياسين) [1] بغيتك الحقير

فالقرآن عند إقبال يدعو الناس إلى أن يحيوا حياة حرة كريمة وهو يتهكم مرير التهكم بمن لا يفهمون آياته البينات على ماينبغى لها أن تفهم ، ويضرب المثل بمن لا ينظرون إلى سورة يس لتدبر ما فيها حق التدبر ولا يهمهم منها إلا أن يقرأوها فى المقابر . وفى رباعية تالية يشبه القرآن بالمرآة المجلوة ، ويرغب إلى المسلم أن يعلقها أمامه ليداوم النظر فيها ليشاهد سوراً لكل معانى الحيـاة .

فهو يفهم القرآن ذلك الفهم الذى يستقيم فى العقل وينطبق على الواقع ولا ينصرف به الكلام عن معناه ، وذلك ما بعثه على الوقوع فى الشيخ والصوفى والتسميع بهما فى سخرية وتجريح . وقد أراد بالشيخ ذلك المتزمت الذى يفهم القرآن على ما يعرف بالتفسير المأثور وحده . فيتلقاه بالسمع بكيفية ببغاوية . دون أن يردد فيها نظراً

(١) به بند صوفى وملا اسيرى ـ حيات از حكمت قرآن بكيرى
به آياتش تراكارى جزاين نيست ـ كه ازياسين او آسان بميرى
(ارمغان حجاز ص ٩٥٥ كليات)

ولا يجيل فيه فكره ليتبين الصحيح من المعنى كما يريد بالصوفى ذلك الذى يفسر القرآن تفسيراً إشارياً يطوع فيه معانيه لتوضيح رمزيات التصوف ويستكرهها على رغبته فى التمثيل والتخييل حتى يخرج بالتفسير عن جادة الصواب ويعمه فى شبهات وظلمات لا يستبين فيها أوجه الحق. ولا غرو فإقبال لا يميل إلى الصوفيه فى شطحاتهم وإفناء ذاتهم وقد ذكرهما جميعاً فى قوله :

علی الصوفى والملا سلامى
كلام الله قالا بالتمام
ولكن أولا ما أولاه
فحار الروح بل خير الأنام [1]

وإقبال يميل إلى نوع ثالث من التفسير وهو المعروف بالعقلى ومن أشهر وأسير كتبه مفاتيح الغيب للرازى المتوفى عام ٦٠٦ هجرية وقد خص هذا المفسر بالذكر وهو يقول :

عن الرازى كتاب الله فافهم
ومنه النور خذ فالليل أظلم
ولكن لى كلام فيه فانظر
أنحيا بالفؤاد وماتضرم!؟ [2]

فهذا النوع من التفاسير يرسو على أساس من الاجتهاد بالرأى وهو ظنى وليس بقطعى، فالمفكرون على تفاوت فى العلم والعقل فما بد من أن يتخالفوا شيئاً وليس بمستبعد ولا مستغرب أن يوجد الراجح والمرجوح غير أن مرد كلام إقبال إلى علة وراء ذلك ؛ فإقبال يقول بالعقل والقلب ويصدر عنهما متلازمين فى تفكيره وشعوره وتعبيره. وآية ذلك آخذه بخيال الصوفية ورمزيتهم وروحانيتهم ليمزجها بتفكيره وتعبيره . وإن ناقضهم وعاندهم فى كثير ، فالعقل والروح عنده فى كفتى ميزان بل هما لديه جناحان يحلق بهما فى الآفاق ما شاء الله أن يحلق .

أما رأيه هذا فى تفسير الرازى فله مايؤيده من قول الغزالى إن الناس ينقسمون فى طريق الدين إلى من يعجز عن مجاوزة التقليد فى خطوة . فحاجته ماسة إلى أن يسمع فى كل خطوه نصاً من كتاب الله . أما إذا أعوزه ذلك فإنه يحار فى أمره ، وعمره قصير وإن طال وخطاه لا تبلغ به غايته . وآخر شرح الله للإسلام صدره فهو من ربه على نور يتنبه بأدنى إشارة إلى سلوك طريق وعرة

---

(١) زمن برصوفى وملا سلامى که پيغام خدا گفتندمارا
ولى تاويلشان درحيرت انداخت خدا وجبرائيل ومصطفى را
(ارمغان حجازى ٩٥٦ كليات)

(٢) زرازى حكمت قرآن بياموز چراغى ازچراغ او بيافروز
ولى اين نكته را ازمن فراگير كه ميتوان زيستن بى مستى وسوز
(ارمعان حجاز ص ٩٥٦ كليات)

وقطع عقبات . ويشرق فى قلبه نور القرآن والإيمان ، ولشدة نور باطنه يجتزىء بأدنى بيان ، وهذا ليس فى حاجة إلى نص منقول فى كل واقعة.

فهذا قدر من كلام الغزالى أورده فى مقام التوبة وإنما أوردناه هنا لتوضيح رأى إقبال . وقد شبهنا ما يراه الغزالى تقليداً بما نــراه اجتهاداً بالرأى لدى الرازى ، يأخذ به القارىء فكأنه يقلده فالغزالى يرجح القلب على العقل فى فهم القرآن الذى يراه نوراً يغمر الله به قلب المؤمن ويصف من يقتصر على العقل وحده بالعجز عن بلوغ الغاية .

وهذا جلال الدين الرومى يدلى برأى نجعله موضع نظر إلى جانب ما عرفناه من رأى إقبال والغزالى . فهو لايكتفى بالغض من العقل وتعجيزه ونسبه إلى عدم الاقتدار بل يتجاوز هذا كله إلى مثل قوله (المسعود عالم السر من يعلم — فإنما الفطنة من إبليس والعشق من آدم [٢]) .

فإقبال يقف بين الغزالى وجلال الدين الرومى موقف الحكيم الذى يختار لنفسه من كل شىء أحسنه . وهو يزن حكمه متخذاً فيه جانب الحيطة فما عاب الرازى ولا قبح منهجه فى التفسير بل أشار إلى مثال يوضح به الخاص من وجهة نظره .

ويجرى هذا المجرى موقفه من التصوف فما رفضه رفضاً مطلقاً ولا جرحه فى كل جانب من جوانبه . فشعره مفعم بمصطلحاته ويتخذ من جلال الدين الرومى له شيخاً مرشداً إلا أنه يأبى من غلاة الصوفية إفناء الذات الإنسانية فى الذات الإلهية وعنده أن للإنسان فى ذاته قدرة لا سبيل إلى تحديدها ويهيب بالإنسان أن يكرم ذاته ويستمد منها ما ينفعه فى معاشه ومعاده . كما ينعى على المتصوفة سلبيتهم وانزواءهم عن معترك الحياة، ويراهم فى ذلك مخالفين لما أمر القرآن به .

وجملة القول أنه طارح من التصوف جانباً عقلياً لا يميل إليه آخذ جانباً روحياً كان شديد الإعجاب به . ويؤيد ما نذهب إليه فى هذا الصدد قوله فى مقدمة كتابه (تجديد الفكر الدينى فى الإسلام) إن الصوفية بالمعنى الحق قد أبلوا بلاء حسناً ولا ريب فى تشكيل وتوجيه الأخذ بالتجربة الدينية فى الإسلام ، غير أن من خلفوهم ومثلوا مذهبهم عجزوا العجز كله عن تلقى إلهام جديد وتجربة أخرى من الفكر الحديث ، وذلك لجهلهم كنه العقل فى أيامنا هذه . والقرآن كتاب يؤكد العمل قبل تأكيده للفكرة [٣] .

---

(١) الغزالى : الأحياء ص ٤ ج ٣ (القاهرة ١٢٢٦)

(٢) داند كونيك بخت ومحرم است زيركى زيليس وعشق از آدم است

3. Iqbal : The Reconstruction of Religious Thought in Islam P. 5 (Lahore 1977).

وإقبال يدعو إلى النظر فى القرآن وتدبره ، فعبر عن إعجابه بمن جعله مرشداً له وإماماً . وهو يعرض به فى كلامه عن شرف النسا ، وهى حفيدة حاكم من حكام البنجاب على عهد الإمبراطور المغولى بهادر خان ، أقامت فى قصر لها منصة كانت تتلو القرآن عليها كل صباح وإلى جانبها سيف . ولم تخل المنصة من المصحف والسيف يوما . كما أوصت بدفنها بعد موتها مع مصحفها وسيفها فى ذلك الموضع . (١)

والجمع بين المصحف والسيف أكيد الدلالة على الدين الحنيف ونشره فى الآفاق لأن إقبالا يختم قوله فى هذا الصدد بأن طائفة السيخ أبعدت المصحف والسيف عن البنجاب. وهذا ما قضى فيه على الإسلام قضاء مبرماً.

ومن قول إقبال فى هذا من شأن القرآن عند شرف النسا :

تقرأ القرآن نفساً طهرت
برهة فى تركه ما فكرت
تحمل المصحف والسيف الحساما
إنها السكرى وما ذاقت مداما
خلوة سيف وقرآن الصلاة
حبذا عمر تقضى فى التقاة
آخر الأنفاس وهى تحتضر
أمها خصت بملتاع النظر
ثم قالت : إن عرفت الآن سرى
شاهدى ما فى يدى أو ما بخصرى
قوتان بهما أيد الثبات
محوراً كانا لدوم الكائنات
قبل موتى ذاك منك مطلبى
مصحفى والسيف منى قربى
كل هذا من كلامى فلتعى
لا تزينى فى التراب مضجعى
الكتاب والحسام حسبنا
بهما يزدان حقاً قبرنا(٢)

أما إذا بذل النصح لولده جاويد ، ووقف منه موقف الواعظ الذى آتاه الله الحكم ، فتتوارد على خاطره شتى المثل والقيم ليعرضها على ولده ، ويرغب إليه أن يسمعها

1 - Bausani : Poema Celecte. P. 146 (Bari 1965).

(١) تاز قرآن باك من سوزد وجود ... از تلاوت يك نفس فارنح نبود
دركرتيغ دورو قرآن بدست ... تن بدن هوش وحواس الله مست
خلوت وشمشير وقرآن نماز ... أى خوش آن عمرى كه رفت اندار نياز
برلب أوجون دم آخر رسيد ... سوى مادر ديد ومشتقانه ديد
گفت أكراز رازمن دارى خبر ... سوى اين شمشيز واين مصحف نگر
اين دوقوت حافظ يكديگر اند ... كائنات زندكى رامحوراند
وقت رخصت باتو دارم أين سخن ... تيغ وقرآن راجدا ازمن مكن
دل بأن حرفى وكه هى كرويم بنه ... قبر من بى كنبد وقنديل به
مؤمنان راتيغ باقرآن بس است ... تربت ماراهمين سامان بس است

جاود نامه (١٧٢ - ١٨٢) لاهور

منه ويعيها عنه فهو من القرآن على ذكر دائم لا من حيث إنه أساس الدين ليس إلا بل لأنه إلى ذلك كتاب دنيا وكتاب علم لأنه يدعو إلى طلب المعرفة والاحتكام إلى العقل. فإذا تحدث عما آلت إليه حال القوم فى العصر الحاضر من تهافت على حطام الدنيا وازورار عما يأمر به الدين ويستلزمه الخلق القويم، شبه هؤلاء القوم بركب تفرقت السبل بهم لتفرق الأهواء لديهم فمضوا سراعا لا يلوون على شيء وهم فى عجلتهم وغفلتهم لا يملكون أزمة نياقهم التى شردت بهم فى كل صوب فتنكبوا جادتهم وأعجزهم أن يبلغوا غايتهم. وإقبال يعيب هذا من جهالتهم ويردها إلى أنهم وهم أهل القرآن لم يتأدبوا بأدبه ولم يرخوا إليه نظرة ولو فعلوا لعرفوا أن القرآن حاثهم على التفكر والتدبر. والعجب آخذ منه كل مأخذ لأن صاحب القرآن لم يدرك ضرورة طلب المعرفة بذوقه لا بعقله وحده. وهنا يبدو إقبال بجانبيه العقلى والروحى لأنه يضرب على قالب المتصوفة الذين يدركون الحقيقة بالذوق والشعور أى بهاتف من أعماق قلوبهم.

صاحب القرآن ما ذاق الطلب!
(العجب ثم العجب ثم العجب) (١)

وتتشعب به شجون الحديث فى هذا الفصل الذى يوجه الخطاب فيه إلى ولده ناصحاً حتى يذكر الصوفية أو الغلاة منهم خاصة الذين شدد النكير عليهم فى مواضع من كتبه. وهنا يقول:

إن للقرآن علما ليس يعرف
والذئاب إنهم أهل التصوف (٢)

ولقد عاب الصوفية ابن الجوزى من قبل فى قراءة القرآن. فقال إن منهم من يقرأ القرآن فى كل يوم أو فى كل ركعة. والترتيل والتثبت أحب إلى العلماء. قال صلى الله عليه وسلم لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث (٣)

وما دام إقبال يقرن ذكر القرآن بالصوفية فهو يشير ضمنا إلى من أول آيات القرآن على خلاف ظاهرها، وهو تأويل تمليه عليه جذبات وشطحات، ومثال ذلك تفسير التسترى لقوله تعالى (إن أول بيت وضع للناس) هو الرسول يؤمن به من أثبت الله فى قلبه التوحيد

فمثل هذا الفساد فى الفهم مؤدحتما إلى فساد العلم: كما أن هذا من ملحظ إقبال يلفتنا إلى مذهبه فى تفسير القرآن وفهمه، بل دعوته إلى الأخذ بنوعية هذا الفهم.

---

(١) صاحب قرآن بى ذوق طلب العجب ثم العجب ثم العجب.
(٢) عالمان از علم قرآن بى نباز صوفيان درنده كرك ومودراز.
(٣) ابن الجوزى: تلبيس ابليس ص ١٤٢ (القاهرة ١٣٦٨).
(٤) التسترى: تفسير القرآن العظيم ص ٤١ (القاهرة).

فإقبال يفهم القرآن على ما ينبغى ، فما كان ذا كمن زاغ به هواه ، فصرف الكلم عن معناه وهو يضمن شعره القرآن ليكون منه على حجة ليس بعدها من حجة. مثال ذلك أنه احتج به وهو يبدى رأيه فى جهارة فى أن الله كرم الإنسان ورفعه بين الخلق مكاناً علياً ، مريداً بذلك أن يعارض من الصوفية من أراد للانسان المحق والفناء ، وإكرامه بضياعه فى الذات الألهية ضياع القطرة فى البحر ، لأنه يريد له أن يعتز بذاته ويفصلها تمام الفصل عن ذات الله ، وهو يذكر هذا من رأيه فى توكيد حتى حين يناجى ربه متضرعاً فيقول :

آيـــة التسخير فيمن أنزلت
هـــذه الافلاك فيمن حيرت
(علم الأسمـــاء) سر من دراه
أسكرت من خمرهـــا ؟ أو من سقاه
مـــن جميع الخلق منذا تصطفى
فإليـــه بحت بالسر الخـــفى
قد رشقت الصدر منى بالسهام
حرف (ادعونى) لمن هذا الكلام [1]

فهذه الأبيات فيها الدليل كل الدليل على ما يريد إقبال أن يذكره ليذكر به إيثار الله الإنسان بما لم يؤثر به ســـواه . فالإشارة فى البيت الأول إلى قوله تعالى فى سورة لقمان (ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) أى أن الله سخر لبنى آدم الشمس والقمر والنجوم والثمار والأنهار والدواب لينتفعوا بها .

وفى البيت الثانى مما جاء فى سورة البقرة عن أن الله خص الانســـان بتعليمه اسمـــاء المسميات كلها . أما البيت الأخير فمن آيـــة فى سورة غافر هى (قال ربكم ادعونى أستجب لكم) أى اعبدونى أثبكم .

فإشارة إقبال إلى ما جاء فى القرآن ، وتضمينه شعره شيئاً من آياته موافق للمقام ولا ريب ، وما كان له أن يستشهد على صحة دعواه بأصح وأوضح من هذا وما بيده برهان أقطع . وحقيق بالذكر أنه لم يحمل القرآن ما لا يحتمل من معنى .

وإقبال لا يكاد يقف عند حد فى الإشادة بفضل الإنسان وتبيان ما حباه الله به من قدرة ليست لسواه ، وهو يلتمس كل سبيل إلى هذا ، ولا يجد خير دليل يقوم على صحة دعواه الا فى آيات الذكر الحكيم . وقـــد

---

(١) آية تسخير اندر شان كيست　　　اين سپهر نيلگون حيران كيست
رازدان (علم الاسما) كه بود　　　مست آن ساقى وآن صهبا كه بود
بركزيدى ازهمين عالم كرا　　　كردى ازراز درون محرم كرا
أى تراتيرى كه مارا سينه سفت　　　حرف (أدعونى) كه كفت وباكه كفت　　　(جاويد ناعمة ٢ و٣)

يجعل العلم نعمة أسبغها الله عليه ، والعقل قدرة ميزه بها كما فى نحو قوله :

قولــه (إلا بسلطان) تذكر
أو فمت فى الوحل كالذر المبعثر (١)

وهذا من قوله تعالى فى سورة الرحمن (يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) فإقبال يريد أن يثبت أن قدرة الإنسان تتأتى له بطاعة الرحمن وهى قدرة تعددت جوانبها فالمراد بالسلطان القوة ، وأنى لهم ذلك ، أو إن استطاعوا أن ينفذوا ليعلموا ما فى السموات والأرض . فليفعلوا ولكنهم لا ينفذون ولا يعلمون إلا ببينة نصبها الله فيعرجون عليها بأفكارهم .

وتحت عنوان (محكمات العالم القرآنى) فى كتابه (جاويد نامه) يضمن إقبال بيتا من الشعر جزءا من آية قرآنية يستمد منها دليلا على شرف الإنسان : أو على التحديد ما يعرف عندالصوفية بالإنسان الكامل الذى تحدث عنه أول من تحدث صوفى من أهل القرن السابع هو محيى الدين بن عربى فقال إن الله ما جمع لآدم بين يديه إلا تشريفا لأنه جمع بين الصورتين صورة العالم وصورة الحق ، وما كان آدم خليفة الا بصورة من استخلفه فيما استخلفه فيه ، وما صحت الخلافة الا للإنسان الكامل الذى أنشأ الله الظاهر من صورته من حقائق العالم وصوره ، أما صورته الباطنة فكانت على صورة المولى عز وجل (٢)

يقول إقبال :

قول (انى جاعل) تقـديره
بين أرض وسـما تفسـيره
ياله بحرا بلا شط يفور
قلبه قد أغرقت فيه الدهـور
إنمـا الإنسان دنيا قـد وسع
هذه الدنيا لـه لم تتسـع (٣)

فقد أورد ما جاء فى سورة البقرة من قوله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحـن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم مالا تعلمون) ولقد فسر معنى استخلاف آدم فى الأرض بأنه سيكون

---

(١) نكتۀ الا بسلطان بادگير ورنه جون مور وملخ در كل بمير
(جاويد نامه ص ١٥)

(٢) محى الدين بن عربى : فصوص الحكم ص ٥٥ (القاهرة ١٩٤٦)

(٣) حرف إنى جاعل تقدير او از زمين تا آسمان تفسير او
من جه كويم ازيم بى ساحلش غرق اعصار ودهور اندردلش
آنجه در آدم بكنجد عالم است آنجه در عالم نكنجد آدم است (جاويدنامه٦٣-٦٤)

له السلطان عليها ، وسيتصرف فى موادها ليجعلها ملائمة لحاجاته (١)

فهذا المفهوم مؤيد لمبدأ إقبال الذى لايبغى عنه حولا ، ولا يكف عن الدعوة إلى العمل به وهو حتمية أن يعمل الإنسان فى دوام ويحقق النفع لنفسه ولغيره ، ويجعل زمام مصيره فى يده ، وأن يربأ بنفسه عن النكوص أمام كل قوة تحبط مسعاه أو تحول بينه وبين ما يتمناه ، فإذا وقب الليل وطمس الوجود بظلامه ، فقبيح به أن يرزح تحت وطأته ويضعف من حركته ، بل عليه أن يدفع هذا الظلام عنه بمصباح منير يبدد الظلمات . والإنسان سيف لله وذلك الكون من قد رآه . وهو يشير إلى قصص القرآن ليضرب المثل فمن معانى المثل فى القرآن قصص الأولين فى سالف الدهر التى تروى على أنها عبرة لكل متفكر متأمل(٢)

فنى استشرافه للشرق غداً جديداً سعيداً يشبه الشرق بيوسف بعد خروجه من الجب ، فيذكرنا بقصته فى القرآن : وفحواها أن إخوته الذين غاظهم منه أن يؤثره أبوه عليهم ذهبوا به وجعلوه فى الجب ثم تركوه فيه وقدموا على أبيهم يبكون مدعين أن الذئب أكله ، ومرت بالجب قافلة فلما أدلوا الدلو فى الجب تعلق بها يوسف وأنجاه الله من الهلكة .

كما شبهه بإبراهيم عليه السلام الذى جهد الجهد كله لهدايـــة قومه ولكن بلا طائل ، وهدده أبوه بالرجم كما ألقى فى نار كانت عليه برداً وسلاماً فارتحل عن أرضه إلى فلسطين ومصر ، وبذلك فر بإيمانه عن ديار الكفر .

فهو يشبه الشرق فى بيتين بهذين النبيين ، ووجه الشبه أن أولهما تربص به عداته وآذوه إلا أن الله أنجاه من محنته ونفس عنه الكرب . أما الثانى فضاق ذرعاً بكفر القوم من حوله وضلالتهم ، فهجرهم وقطع ما بينه وبينهم : وفى هـــذا إيماء إلى رأى إقبال فى ضرورة أن يستمسك المسلمون بعروة الدين الوثقى ، وبها يصلح أمرهم وينكشف عنهم ضرهم . قال إقبال :

يظهر الياقوت من صخر الطريق
يوســف يخرج من جب عميق
ويولى عــن ديار مــن كفر
ويرى عن ذلك الكفر المفر(٣)

ويعقب على ذلك محبذاً صنيع قوم يشكلون لهم ذاتاً خاصة بهم دون غيرهم :

---

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ١٦ (القاهرة ١٩٣٦)
(٢) على اصغر حكمت : امثال قرآن ص ١٢٠ (تهران ١٣٢٣)
(٣) لعلها از سناك ره آيد برون — يوسقان او زجه آبد برون
رخت بندد ازمقام آزرى — ناشود خودكر زترك بت كرى
(جاويد نامه ٣٦ - ٣٧)

كما يومىء إلى قصة يوسف مع أبيه حين ارسل إليه قميصه من مصر فلما وجد فيه ريح يوسف ارتد إليه بصره . وقد طرق شعراء الصوفية هذا المعنى ليرمزوا به إلى تلقى الإلهام من عالم الغيب إلا أن إقبالا يريد بذلك نقيض ما يريد الصوفية لأنه رمز به إلى طلب المعرفة والثقة فى الذات واستمداد كل قدرة خفية منها :

ومن ريح القميص فنل نصيباً
تنسم من ضفاف النيل طيباً
وذاتك نيرين بها تصيد
ومن تدبيرها لها القيود (١)

كما أشار إلى ما ورد فى سورة النمل من خبر سليمان مع النملة وهو يأتى بجديد فى غرضه من تلك الإشارة فقد تداول ذكرها كثير من شعراء الفرس فى مقام الحكمة والموعظة كالنهى عن ظلم الضعيف والمفارقة بين العظيم والحقير . ولم نجد من ضرب المثل بها كإقبال الذى أراد أن يدلى برأيه فى الوجود ومظاهر الموجودات ويؤكد أثر العقل فى ما يقع تحت الحس : ويعبر عن إعزازه للإنسان الذى يحمل العالم طابعه حتما ، بل ويتجاوز ذلك إلى قوله إن وجود الإنسان فى الدنيا هو قوام تلك الدنيا ؛ :

تجلينا به الدنيا تكون
بنا نور تجلى أو رنين
ومنها العون فى اللأواء جرب
بأحوال لها نظرا فأدب
وأيقن أن آساد الفلاة
أرادت عون نمل للنجاة(٢)

ولإيضاح هذا من كلامه نقول إن النملة لما شاهدت جنود سليمان فرت منهم فتبعها نمال غيرها وصاحت محذرة منبهة وكأنها بذلك أنجت النمال كما أنجت جنود سليمان مما كادوا يرتكبونه وهم لا يشعرون وهو سحق تلك النمال (٣)فعنده أن الإنسان فى مظهر ضعفه وحقارته والكون فى مظهر عظمته هما النملة وسليمان ولكنها على البادى من ضعفها وهوان شأنها قامت بما لا يقوى عليه من بلغ الغاية فى قوته وقدرته. أما بعد أن سقنا هذه الأمثلة من شعر إقبال وهو قل من كثر إثر تمهيد ألقينا فيه نظرة عجلى على ما أوردنا من أمثلة من شعر الفرس والترك . فقد اتسعت

---

(١) نصيب توزبوى بيرهن گير بكنعان نكهت از مصر ويمن گير
خودى صياد مه وتحجير ش ومهر اسير بند تدبير ش مه ومهر
(گلشن راز جديد ١١٢)

(٢) جهان غير ازتجلى هاى مانيست كه بى ماجلوه نور وصدا نيست
تو هم از صحبتش يارى طلب كن نكررا ازخم وپيچيش أدب كن
بقين مى دان كه شيران شكارى درين ره خواستند از موريارى
(گلشن راز جديد ص ١١١ – ١١٢ كليات)

(٣) البيضاوى : تفسير القرآن ص ٠٠ (القاهرة)

أمامنا منادح النظر ، وتأتى لنا بالمقارنة أن نتبين الفارق بين إقبال وغيره من شعراء الفرس والترك . فقد حث أقبال على النظر فى كتاب الله حق النظر وتدبر مايستقيم فى العقل من معانى آياته المبينات وذكر فى توكيد بأنه أساس الإسلام الذى ينبغى أن يرسو عليه كل فكر وعمل لدى قوم يطلبون صلاح أمرهم فى أولاهم وأخراهم : وما كانت هذه الدعوة لدى غيره من شعراء الفرس والترك القدامى . وإعجابه بشرف الأنسان يقوم برهاناً على هذا . أما دعوة داعيهم إلى النظر فى بطن القرآن لا إلى ظهره فباعثه عليها استنباط احكام التصوف الداعية إلى رفض الدنيا على أن كل ما فيها شر محض وذو الحظ العظيم فيها هو من يموت قبل أن يموت ! . وتلك دعوة يرفضها إقبال ويكرهها كراهة شديدة لأنها فى نظره تعاند صريح القرآن . وضمن هؤلاء الشعراء أشعارهم آى القرآن تأييداً لمذهب صوفى أو كلامى أو ما يجرى هذا المجرى فتعسفوا وتكلفوا وحملوا الكلام ما لا يحتمل من معنى يعارض العقل مع النقل ، وأصبح بينهما من التباعد ما لا تقارب معه . ومنهم من اعتمد فى الفهم على ما ينقدح فى القلب من نور الإلهام وحده : ولإقبال فضل عليهم فى الأخذ بالعقل والروح معاً .

ولم يصادف تفسير الرازى هوى فى نفسه لأن الرجحان عنده كان للعقل وحده :

وهنا وقفة لنا لنقف موقف الحذر والحيطة ونقول إن حكمنا بفساد التأويل والفهم لا ينسحب على أصحاب المذاهب والفرق جميعاً ، بل على بعضهم ممن ركب الشطط ولج فى الشطح .

وحاشا لإقبال أن يقحم الآيات فى شعره ليمتدح أحداً كائناً من كان ، كما صنع أبوالفرج الرونى مثلا فخرج بذلك على مألوف الشعراء الذين يضمنون القرآن شعرهم تأييداً لحكمة أوتذكيراً بعظة أو استشهادا على فكرة بعينها .

ولقد لف لف القدماء فى التلميح إلى القصص القرآنى ، بيد أننا نجد بينه وبينهم وجها للخلاف لأنه أدرك من بعضه ما لا يدركون واستشهد به على غير ما يستشهدون .

وحقيق بالذكر أنه لا يركن إلى تأويل ولا تحييل بل فهم فهما صحيحاً ما فسره تفسيراً صريحاً :

ثبت بمراجع البحث

فى العربيــة :

د . إبراهيم شتا : حديقة الحقيقة لسنائى (رسالة بمكتبة جامعة القاهرة) .

ابن الجوزى : تلبيس إبليس (القاهرة ١٣٦٨) .

ابن الجوزى : المدهش (القاهرة ١٣٤٨).

أبو طالب المكى : قوت القلوب (القاهرة ١٩٦١) .

البيضاوى : تفسير القرآن (القاهرة) .

التسترى : تفسير القرآن العظيم (القاهرة) .

الجيلانى : الإنسان الكامل (القاهرة) .

الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (القاهرة) .

الشاطبى : الموافقات (القاهرة) .

الطوفى البغدادى : الإكسير فى علم التفسير (القاهرة١٩٧٧) .

الغزالى : إحياء علوم الدين (القاهرة ١٣٣٦) .

جلال الدين السيوطى : الإتقان (القاهرة ١٩٣٥) .

د . حسين مجيب المصرى : تاريخ الأدب التركى(القاهرة ١٩٥١) .

د . حسين مجيب المصرى : فى الأدب العربى والتركى (القاهرة١٩٦٢)

صدر الدين القنوى : إعجاز البيان فى تأويل القرآن (القاهرة ١٩٦٩)

عبد القاهر الجرجانى : دلائل الإعجاز (القاهرة ١٣٣١)

عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء (القاهرة ١٩٣٦)

محيى الدين بن عربى : فصوص الحكم (القاهرة ١٩٤٦)

مصطفى صادق الرافعى : إعجاز القرآن (القاهرة ١٩٢٨)

فى الفارسية :

ابو الفرح رونى : ديوان ابو الفرج رونى (مشهد ١٩٤٧)

إقبال : كليات إقبال (لاهور)

إقبال : جاويد نامه (لاهور)
د . ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران (تهران١٣٣٩)
روشندل : مقدمه گلشن راز (تهران ١٣٥١)
سنائى : حديقة الحقيقة (تهران ١٣٣٧)
عطار : إلهى نامه (طهران ١٣٥١)
على اصغر حكمت : امثال قرآن (تهران ١٣٢٣)
فروز انفر : شرح احوال عطار نيشابورى (تهران ١٣٥٣)
د . معين : مزديسنا وتأثير آن در ادبيات پارسى (تهران ١٣٢٦)

فى التركية :

Agah Sirri : Nabinin Surnamesi (Istanbul)

كيب : تاريخ اشعار عثمانيه (ليدن ١٩٠٩)
نابى : ديوان نابى (استانبول ١٢٩٢)
نسيمى : ديوان نسيمى (استانبول ١٢١٨)

فى الانجليزية :

Iqbal : The Reconstitution of Religious Thought in Islam (Lahore 1977).
Iqbal Ali Shah : Islamic Sufism (London 1933).

فى الفرنسية :

Emile Dermenghem. L'E loge du Vin
(Paris 1931).
Lammens : L'Islam, Croyances et Institutions (Beyrouth 1926)
Massignon : Essai sur les Origines du Lexique Technique de la Mystique Musulmane (Paris 1954).
Renan : Histoire Generale des Langues Semitiques (Paris 1901)

فى الألمانية :

Goldzieher : Die Richtungen der islamischen Koranuauslegung (Leiden 1952).
Schimmel : Der Koran (Stuttgart 1960).

فى الايطالية :

Bausani : Il Peoma Celeste (Bari 1965).

حسين مجيب المصرى

أصحيحٌ اطِّرادُ فُعُولٍ مصدرًا لِفَعَلَ اللازم ؟

دراسة لغوية بالإحصاء الرياضي

للدكتور جميل الملائكة

هذه دراسة لموضوع لغوى على هَدْى نظرية الاحتمال الإحصائى . وقد تناقل النحاة منذ ظهور علم النحو أن (فُعُول) يطَّرد مصدرًا لِـ (فَعَلَ) اللازم ، مع استثناءات معينة . وكانت ملاحظة كثرة مايشذُّ عن هذه القاعدة هى التى دعت الباحث إلى تناول الموضوع بطريقة علمية للتوصل إلى قول قاطع فيه . وهو يبدأ بعرض لأقوال النحاة المتواترة فى هذا الاطراد ، واستعراض لما قيل فى معنى المطَّرد والغالب والقليل والنادر ، ثم يتخذ عيِّنة عشوائية من هذه الأفعال بحجم كاف لجعلها ذات دلالة إحصائية مقبولة ، فيُحصى فيها نسبة ما جاء له مصدر على (فُعُول) وما جاء له مصدر على (فَعْل) . وبعد إجراء تخمين للمجموع التقديرى لمثل هذه الأفعال فى المعجم يُجرى تخمينًا للمصادر من كلا النوعين فيه ، وكذلك حسابًا للخطإ المحتمل فى هذا التخمين بحدّ من الثقة مقداره ٩٩ ٪ بحسب نظرية الاحتمالات . ولقد ظهر أن ٩٣ ٪ من هذه الأفعال جاء له مصدر إما على (فَعْل) أو (فُعُول) أو كليهما ، بخطإ محتمل لايتجاوز ± ٥٪ ، أى أن ماليس له مصدر على أى منهما نادر (باستثناء ما اقتُصِرت مصادره على أوزان بعينها لامتناع أو تقلب أو داء أو صوت أو سير وهو قليل) . وكذلك أثبتت الدراسة أن (فَعْل) هو الغالب فى مصادر (فَعَلَ) اللازم فى المعجم ، وأن نسبة تردده هى ٧٦ ٪ ، بخطإ محتمل لايتجاوز ± ٨٪ ، بالمقارنة إلى نسبة تردد (فُعُول) البالغة ٣٥٪ فقط ، بخطإ محتمل لايتجاوز ± ٩٪ .

١ – فى الكلام على أبنية المصادر يقول ابن مالك[1] فى مصدر الفعل الثلاثى اللازم المفتوح العين :

(وفَعَلَ اللازم مثل قَعَدا

له فُعُولٌ باطِّرادٍ كغدا)

ويستثنى من ذلك ما جاء على فِعال لامتناع ، كالإباء ، وفَعَلان لتقلُّب كالغليان وفُعال لداءٍ أو لصوت ، كالزُّكام ، والصُّراخ وفَعيل لسير أو لصوت ، كالرَّحيل ، والصَّهيل .

فالفُعُول عند ابن مالك مطَّرد فى مصدر فَعَلَ اللازم . وابن مالك لايخالف فى هذا ما عليه جمهور النحاة :

فهذا سيبويه يبدأ كلامه على بناء الأفعال الثلاثية ومصادرها بالمتعدى[2] ، وبعد أن يستوفيه ينتقل إلى اللازم – فيقول[3] : « وأما كل عمل لم يتعدّ إلى منصوب فإنه يكون فعله على ما ذكرنا . . . والمصدر يكون فُعُولًا . . . نحو قعد قعودًا وجلس جلوسًا وسكت سكوتًا » ثم يقول مستدركًا[4] : « وقد قالوا فى بعض مصادر هذا فجاءُوا به على فَعْل كما جاءوا ببعض مصادر الأول على فُعُول . . . نحو سَكَتَ سَكْتًا وعَجَزَ عجْزًا » ، ويقول فى الآخر[5] : « ... وهذه الأشياءُ لاتضبط بقياس ولا بأمر أحكم من هذا » .

فالفُعُول إذن عند سيبويه هو القياس الأحكم ، على الرغم من وجود بعض الشواذ.

وفى الكلام على أبنية مصادر الثلاثى يقول ابن هشام فى مصدر اللازم[6] : « وأما فَعَلَ القاصر فقياس مصدره الفُعُول كالقعود والجلوس . . . إلا إن دلّ على امتناع . . . إلخ » . ثم يقول : « وماجاء

(١) ألفية ابن مالك فى النحو والصرف ، دار الكتب المصرية ، ط ٣ ، ١٩٣٢م ، ص ٤٠
(٢) الكتاب ، لسيبويه ، طبعة بولاق ، ١٣١٧هـ ، جـ ٢ ، ص ٢١٤
(٣) الكتاب ، جـ ٢ ، ص ٢١٦
(٤) الكتاب ، جـ ٢ ، ص ٢١٦
(٥) الكتاب ، جـ ٢ ، ص ٢١٨
(٦) أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ، لابن هشام طبعة دار الفكر ، بلا تاريخ ، ص ٤٣٦ – ٤٣٧ .
(٧) أوضح المسالك ، ص ٤٣٧

مخالفًا لما ذكرناه فبابه النقل ، كقولهم... فى فَعَل القاصر : مات موتًا . . . » .

فالفُعُول عند ابن هشام أيضًا هو قياس لمصدر فَعَلَ اللازم .

ويقول ابن عقيل[1] : « يأتى مصدر فَعَلَ اللازم على فُعول قياسًا فتقول قعد قُعُودًا وغدا غُدُوًّا » . ثم يقول فى شرح (وما أتى مخالفًا . . .[2]) : « يعنى أن ما سبق ذكره فى هذا الباب هو القياس الثابت فى مصدر الفعل الثلاثى ، وما ورد على خلاف ذلك فليس بمقيس بل يقتصر فيه على السماع » .

فالفُعول عند ابن عقيل هو القياس الثابت فى مصدر فَعَلَ اللازم .

ويشرح الأشمونى ضوابط ابن مالك ، إلى أن يأتى إلى ما يخالفها فيقول شارحًا[3] : « (وما أتى) من أبنية مصادر الثلاثى (مخالفًا لما مضى – فبابه النقل) لا القياس (كسخط ورضى) . . . « وكموت وفوز ... مما قياسه فُعول »

فالفُعُول عنده أيضًا القياس فى مصدر فَعَل اللازم .

ويقول السيوطى[4] : « (و) يطَّرد . . . لفَعَل بالفتح (لازمًا فُعول) بضم الفاء سواء كان صحيحًا كركع ركوعا . . . أو معتلا . . . كدنا دنوًا . . . أم مضاعفًا كمرّ مرورًا » .

فالفُعُول عند السيوطى مطَّرد أيضًا فى مصدر فَعَلَ اللازم .

ومن المتأخرين : يقول الأساتذة حفنى ناصف وجماعته[5] فى الكلام على المصدر : « أما الثلاثى فلمصدره أوزان كثيرة ، المدار فى معرفتها على السماع ، غير أن – الغالب . . . إلخ » وبعد ذلك[6] : « فإن لم يدل على شيء من ذلك فالغالب . . . فى فَعَل اللازم أن يكون مصدره على فُعُول كقعود وخروج ونهوض » .

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٦٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٢) شرح ابن عقيل ، جـ ٢ ، ص ٢٠٨

(٣) شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٩٥٥م ، جـ ٢ ، ص ٣٤٨ .

(٤) همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطى ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٧هـ ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ .

(٥) كتاب قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية ، تأليف حفنى ناصف ومحمد دياب والشيخ مصطفى طموم ومحمود عمر وسلطان محمد ، القاهرة ١٩٠٥م ، ص ٢٨

(٦) كتاب قواعد اللغة العربية ، ص ٢٩

فالفُعُول عندهم هو الغالب في مصدر فَعَلَ اللازم .

وهو أيضًا قياسي عند الشيخ مصطفى الغلاييني [1] .

وهو غالب عند السيد أحمد الهاشمي [2] .

فما هو هذا الاطراد الذي يقاس عليه ؟ وهل يغلب بل هل يطَّرد حقًّا فُعُول مصدرًا لفَعَل اللازم المفتوح عين الماضي ؟

٢ ـ الاطراد لغة : التتابع ، والجري ، والسرعة ، والاستقامة . وفي لسان العرب لابن منظور : (اطَّرد الشيءُ : تبع بعضه بعضا وجرى ، واطرد الأمر : استقام ، واطردت الأشياءُ إذا تبع بعضها بعضا ، واطرد الكلام إذا تتابع ، واطرد الماءُ إذا تتابع سيلانه . . . وجدول مطَّرِد : سريع الجرية ، والأنهار تطَّرد أي تجري . . . وأمر مطرد : مستقيم على جهته) .

والاطراد اصطلاحا : تماثل الأحكام واستمرارها واتساق مجراها وعدم تخلفها ومنه قولهم : القاعدة المطَّرِدة ، والقياس المطَّرد .

والمطَّرد عند سيبويه هو الذي (لاينكسر) [3] ، وهو ما (اجتمعوا عليه) [4] وهو الذي يجري (أبدا) [5] .

والاطراد عند السيوطي [6] هو (التتابع والاستمرار) وعنده أن (المستمر الذي لا يتخلف مطرد) .

وينقل السيوطي [7] عن ابن هشام تقسيمه لدرجات تكرر المسموعات إلى : النادر ، فالقليل ، فالكثير ، فالغالب ، فالمطرد . وأن المطردَ لايتخلف ، وأن الغالب أكثر من الكثير ولكنه يتخلف ، والكثير دونه ، والنادرَ أقل من القليل . ويمثل لذلك بمثال من أعداد متدرجة :

---

(١) جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني ، المطبعة العصرية صيدا ، ط ١١ ، ١٩٧١م ، جـ ١ ، ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٢) القواعد الأساسية للغة العربية للسيد أحمد الهاشمي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٣٥٤هـ ، ص ٣٠٣

(٣) الكتاب ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥

(٤) الكتاب ، جـ٢ ، ص ٣٣٠

(٥) الكتاب ، جـ ١ ، ص ٣٠٣

(٦) الاقتراح ، للسيوطي ، طبعة الهند ، ص ٢٠ - ٢١

(٧) الاقتراح ، ص ٢١

فإذا كان المطرد ثلاثة وعشرين (يريد ١٠٠ ٪) فالعشرون بالنسبة إليها غالب (٨٧ ٪)، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير (٦٥ ٪)، والثلاثة قليل (١٣ ٪)، والواحد نادر (٤ ٪)[١].

يظهر من كل هذا أن المطَّرد في المسموعات الذي هو أكثر حدوثًا من الغالب، وهو الذي لا يتخلف، ولا ينكسر وهو ما اجتمعوا عليه، وهو أكثر من الغالب ومن الكثير.

٣ ـ فلنعد إذن إلى كلام محمد بن مالك في اطراد فُعُول، ولنتناول القضية بطريقة إحصائية كأي مسألة في علم الاحصاء الرياضي.

لابدّ أولًا من اختيار عَيِّنَة Sample بحجم مناسب n، وليكن حجمها من الكبر بحيث تكون ذات دلالة إحصائية مقبولة. وقد اخترنا لهذا الغرض مجموع الأفعال الثلاثية اللازمة المفتوحة العين التي تبدأ بحرف الباء، واعتمدنا في ذلك معجمي: المنجد[٢] للأب لويس معلوف، والوسيط[٣] لمجمع اللغة العربية في القاهرة؛ لأن كليهما يذكر الفعل والمصدر، خلافًا للمعجمات القديمة التي قد تورد المصدر دون الفعل، أو الفعل دون المصدر، في كثير من الحالات. فإن وجد اختلاف عدنا إلى القاموس المحيط[٤] للفيروزبادي أو لسان العرب[٥] لابن منظور.

٤ ـ بلغ مجموع الأفعال n في هذه العينة مائة وستة وستين (١٦٦) فعلاً ثلاثيًا لازماً مفتوح عين الماضي. ولعدم اعتماد أيّ منها على غيره في العينة وفي المعجم فإن العيّنة تُعدّ عشوائيّة random في العرف الإحصائي. وقد تمّ تخمين النسبة بين حجم المجموعة universe التي تمثل مجموع عدد الأفعا N من هذا القبيل في المعجم، وبين حجم العينة n من النسبة بين مجموع عدد صفحا

---

(١) وانظر تعليق الأستاذ أمين الخولي على بحث الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور: «تحرير أفعل من قياس نحوي فاسد»، مؤتمر الدورة ٣٢ لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، البحوث والمحاضرات، بغداد ١٩٦٦م، ص ١٠١.

(٢) المنجد في اللغة، للأب لويس معلوف اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ط ١٥، ١٩٥٦م.

(٣) المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، أشرف على طبعه عبد السلام هارون، مطبعة مصر ١٩٦٠م، جـ١، ٢.

(٤) القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروزبادي، المطبعة الحسينية، القاهرة ١٩١٣م، جـ١ ـ ٤.

(٥) لسان العرب، لجمال الدين بن منظور الأنصاري، طبعة بولاق، القاهرة ١٨٩١م، جـ١ ـ ٢٠.

المعجم وبين عدد الصفحات التى تضم حرف الباء فقط فى المعجم ، ومن مقدار هذه النسبة ومجموع أفعال العينة n ، الذى هو ١٦٦ ، أمكن الحصول على تخمين تقريبى لمجموع الثلاثى اللازم المفتوح العين N فى المعجم ، وذلك بضرب هذه النسبة فى ١٦٦ .

وقد حُسِبَتْ هذه النسبة ، وأجرى هذا التخمين فى عدد من المعجمات المرتبة مداخلها على الحروف الأُولى – وهى المنجد للأب لويس معلوف ، والمعجم الوسيط لمجمع القاهرة ، وأساس البلاغة[1] للزمخشرى ، ومختار الصحاح[2] للرازى – فكانت كالآتى :

وهكذا يظهر أن تخمين N لمجموع الثلاثى اللازم المفتوح العين فى المعجم يتراوح بين ٣٦٠٠ و ٥٠٠٠ وأن معدله التقريبى هو ٤١٠٠ للمعجمات الأربعة ، وأن معدل نسبة العينة إلى المجموعة هو زهاء ١ / ٢٥ ، متراوحا تخمينه بين ٢١/١ و ٣٠/١ ، وهذا الانحراف عن المعدل ، كما يبدو ، قليل . فلو أخذنا معجمى المنجد والوسيط فقط لغرض هذا التخمين لوجدنا أن معدل النسبة هو زهاء ٢٧/١ ، وأن N هو نحو ٤٥٠٠ . ولعل هذا أقرب إلى الحقيقة لكون معجمى

المعجم	ب عدد صفحات المعجم	ج عدد صفحات حرف الباء	د (= ب/ج) النسبة بين صفحات المعجم وصفحات الباء	N (≃١٦٦ د) تخمين اللازم المفتوح العين فى المعجم
المنجد	١٠٣١	٣٤	١ / ٣٠,٤	٥٠٠٠
الوسيط	١٠٨١	٤٥	١ / ٢٤,٠	٤٠٠٠
الأساس	١٠٧٨	٤٦	١ / ٢٣,٤	٣٩٠٠
مختار الصحاح	٦٤١	٣٠	١ / ٢١,٤	٣٦٠٠
		المعدل التقريبى	١ / ٢٥	٤١٠٠

(١) أساس البلاغة ، لجار الله الزمخشرى ، دار مطابع الشعب ، القاهرة ١٩٦٠م .

(٢) مختار الصحاح ، لأبى بكر الرازى ، مطبعة الترقى ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٣٨م .

المنجد والوسيط أوسع وأشمل من المعجمين الآخرين .

ومهما يكن من أمر فإن من المعروف فى علم الإحصاء على أية حال أن الحجم المطلق للعينة n ، وهو هنا ١٦٦ وليس بالقليل ،هو أهم كثيراً فى الدلالة الإحصائية من نسبتها إلى حجم المجموعة (١) .

وكذلك تجدر الإشارة فى هذه الحالة من جودة حجم العينة ، إلى أنه لكون النسبة بين حجمى المجموعة والعينة كبيرة نسبياً ، وهى هنا زهاء ٢٧ ، فسواء أكان مجموع هذه الأفعال فى المعجم ٣٠٠٠ أم ٦٠٠٠ ، أم حتى لا نهائياً ؛ فلن يكون كبير فرق فى الدلالة الإحصائية التى يمكن الحصول عليها من العينة الجيّدة المستعملة (٢) ، يظهر مما يأتى :

٥ ـ تخمين الخطأ المحتمل فى تقدير عدد المصادر من نوع معين فى المعجم من عددها فى العيّنة :

المطلوب فى هذه الدراسة تقدير نسبة المصادر من نوع معين ، مثل فُعُول ، أو فَعْل ، لجميع الثلاثى اللازم المفتوح العين فى المعجم ، من إحصاء نسبتها فى العيّنة ، وكذلك تخمين أقصى خطأ محتمل فى هذا التقدير ، بحدّ من الثقة Confidence limit لا يقل عن نسبة مئوية معينة ، وتأخذ هذه ٩٥ ٪ عادة (٣) ويمكن تخمين هذا الخطأ المحتمل (٤) من الصيغة $\pm Z S$ ، أى من :

$$\pm \quad Z \quad \sqrt{\frac{p(1-p)}{n}\left(\frac{N-n}{N-1}\right)} \quad [1]$$

---

(١) انظر مثلا Statistical Quality Control. by E. L. Grant, Mc Graw — Hill, N. Y., P. 344

(٢) Statistical Quality Control, P. 345 .

(٣) انظر مثلا Statstics Made Simble, by H. T. Hayslett ; published by W. H. Allen, London, 1968, P. 105 and P. 158 .

(٤) انظر مثلا Tables for staticians, by H. Arkin and R. R. Colton, Barnes & Noble, Inc., N.Y., 1950, P. 20 .

حيث يرمز p إلى نسبة المصادر من نوع معين فى العينة ، ولعدم معرفتنا بها بادئ ذى بدء فيمكن افتراض نسبة ٥٠٪ أى ٥و٠ لأغراض تخمين الخطأ المحتمل فى هذا التقدير فقط. (فإن كانت النسبة الحقيقية أقل أو أكثر من ذلك فسيكون الخطأ المحتمل أقل من المخمن) .

ويشير N إلى حجم المجموعة ، وهو هنا مقدّر بـ ٤٥٠٠ كما سبق ذكره .

ويرمز n إلى عدد الأفعال فى العينة وهو ١٦٦

ويمثل s مقدار الانحراف القياسى المخمن فى المجموعة .

أما Z فهو معامل يحدّده حدّ الثقة المختار ، فلو كان هذا ٩٥٪ ، كما مرّ ذكره ، لكانت[1] قيمة المعامل ١و٩٦ ، ولو كان حدّ الثقة المطلوب ٩٠٪ مثلاً لكان المعامل ١و٦٥ ، ولو كان ٩٩ ٪ لكان ٢و٥٨ (وهذا المعامل ، مضروبا فى الانحراف القياسى ، يمثل عند الإحصائيين مسافة المسقط الأفقى للمساحة التى تمثل حدّ الثقة فى منحنى التوزيع الطبيعى nrmal curve distribution فى حساب الاحمالات)[2]

وبالتعويض فى الصيغة [١] يكون أقصى خطأ محتمل بحدّ من الثقة مقداره ٩٥٪ هو :

$$+ ١و٩٦ \sqrt{\frac{(٠و٥)(٠و٥)(٤٥٠٠-١٦٦)}{١٦٦\ (٤٥٠٠-١)}}$$

$$= ٠و٠٧٤٧$$

$\approx$ ٧و٥ ٪ (مقربًا لمرتبة عشرية)

أى يمكن القول بحدّ ثقة مقداره ٩٥و٠ بأن الخطأ فى تقدير نسبة مصادر اللازم من أى وزن فى المعجم ، باعتبار أن فيه ٤٥٠٠ ثلاثى لازم مفتوح العين ، من حساب نسبتها فى عينة مقدارها ١٦٦ ، لن يتجاوز ± ٧و٥٪ .

بل يمكن القول استنادًا إلى حساب مشابه ، بثقة مقدارها ٩٩٪ (وهو شبه تأكيد مطلق) بأن الخطأ لن يتجاوز ± ٩و٨٪ بحال (وذلك بتعويض ٢و٥٨ بدلا من ١و٩٦ فى الصيغة [١]) .

---

(١) انظر Tables fot statisticism, p. 114

(٢) انظر مثلا Tables for statisticism, p. 12

٦ – وثمة نقطتان تجدر ملاحظتهما تعقيباً على أمرين سلف الكلام عليهما :

(ا) يلاحظ من التعويض في الصيغة (١) انه لو كان مجموع اللازم المفتوح العين في المعجم ٣٠٠٠ بدلاً من ٤٥٠٠ فان أقصى خطأ محتمل سيكون ، بموجب الصيغة ذاتها ، ± ٤ر٧ ٪ بحدّ ثقة مقداره ٩٥ ٪ ، وهو لايختلف إلا بقدر تافه عن الـ ± ٥ر٧ ٪ المحسوبة للمجموع ٤٥٠٠ .

ومثله يقال في حال كون المجموع الحقيقي لهذه الأفعال ٦٠٠٠ إذ سيكون أقصى خطإٍ محتمل هو ± ٥ر٧ ٪ أيضا – مقربا إلى مرتبة عشرية واحدة – من دون اختلاف عما هو عليه في حال كون المجموع ٤٥٠٠ .

وحتى لو اعتبر مجموع الأفعال في المعجم لانهائيا فإن أقصى خطإٍ محتمل مخمن من العينة لن يتجاوز ∓ ٥ر٧ ٪ أيضا – لمرتبة عشرية واحدة – في حد الثقة ذاته .

(ب) ويلاحظ أيضا أن تخمين أقصى خطإٍ محتمل قد أُجرى بافتراض أن p ، وهي نسبة المصادر من أي نوع في العينة ، تساوي ٥ر٠ . ولما كان الاحتمال الأرجح أنها لاتساوي ذلك ، لأنها قد تساوي أي كسر بين الصفر والواحد ، فإن أقصى خطأ محتمل سيكون حتماً أقل من الذي سلف تخمينه . وسيمكن تخمينه على وجه الدقة بعد معرفة الحقيقة لكل نوع من المصادر ، كما سيأتي .

وعليه فيمكن اعتماد العينة .

فلننتقل إذن إلى حصر المصادر فيها وتصنيفها وإحصائها .

٧ – روعي في اختيار أفعال العينة وفرزها وتصنيفها بحسب مصادرها ماياتي :

(ا) من هذه الأفعال ماجاء لازما ومتعديا ، مثل (بدأ بالشيء وبدأه) ، وطبيعي أنه لم يُنْظَر بعين الاعتبار إلى غير اللازم في هذه الدراسة .

(ب) أن عدداً كبيراً من الأفعال ورد مصدره على أكثر من وزن في معنى واحد بعينه ، مثال ذلك أنه يقال (بَرَق بَرْقاً وبُرُوقاً وبريقاً ، أي لمع) ، ففي هذه الحالة يُعَدّ الفعل واحداً في حساب مجموع العيّنة .

أما إذا اختلف معنى الفعل باختلاف مصدره فإنه يصنَّف فى أكثر من موضع . مثال ذلك أنه يقال : (بَسَق الرجل بسْقاً ، أى بصق) فهذا يصنَّف مع ماجاء مصدره على فَعْل ، أما (بَسَقَ النخل بُسُوقاً ، أى ارتفعت أغصانه وطال) فيصنَّف مع ماجاء مصدره على فُعُول ، وكلٌّ يُعَدّ مادّة فى العيّنة .

(ﺟ) لقد انصبّ الاهتمام بالدرجة الأولى فى هذه الدراسة على مصدرين هما : فُعُول وفَعْل ، وذلك لكثرة ترددهما وغلبتهما على سواهما فى عيّنة الثلاثى اللازم المفتوح العين ، أمّا ما لم يجئ له مصدر على أى من هذين الوزنين فهو نادر فى العينة ولا يكاد يُعتَدُّ به ، كما سيأتى . ولهذا فقد صُنِّفت المجموعة إلى ماجاء له مصدر على فُعُول ولم يجئ له مصدر على فَعْل (أى فى نفس المعنى) ، وماجاء له مصدر على فَعْل ولم يجئ له مصدر على فُعُول ، وما جاء له مصدران على فُعُول وعلى فَعْل كليهما ، وما لم يجئ له مصدر على فُعُول ولا على فَعْل . وللسبب عينه لم تكن ثمة ضرورة لسرد جميع مصادر الفعل من غير فُعُول وفَعْل ، فإن ذُكِر بعضها فعلى التمثيل لا غير ، مثال ذلك أنه يقال : (بَنَى بأهله وعليها بَنْياً وبِناءً وبُنياناً وبنية وبناية أى دخل عليها) فالذى يهمنا فى هذا المثال وجود المصدر الأول الذى هو على فَعْل ، فأوردناه واكتفينا بذكر بعض المصادر الأخرى معه .

(د) حُذِف من أفعال العيّنة ما اقتُصر مصدره على فِعال لامتناع ، وفَعلان لتقلُّب ، وفُعال داء أو صوت ، وفَعِيل لسير أو صوت ، وكل ذلك قليل .

٨ – فيما يأتى التصنيف الذى أُجرى لهذه الأفعال بحسب أوزان مصادرها ومعانيها لمعرفة الترددالصنفى Class freuency لكل منها :

(ا) ماجاءَ له مصدرعلى فُعُول ولم يجئ على فَعْل :

– بَتَّ الشيءُ بُتوتاً انقطع .واليمينُ وجبت .

– بَتَع فى الأرض بُتوعاً تباعد .

– بَثَق الماءُ بُثوقاً اندفع فجأةً .

ـ بَجَد بالمكان بُجوداً أقام .

ـ بدَر إلى الشيء بُدُوراً أسرع .

ـ بدَا بُدُوّاً وبَداءً ظهر .

ـ برَأ من المرض بُرْءاً وبُرُوءاً شُفِيَ .

ـ بَرَج الشيءُ بُروجاً ظهر وارتفع .

ـ بَرَح الصَّيْدُ بُروحاً مرّ عن يمينك .

ـ بَرَّ في قوله بُروراً وبِرّاً وبَرارة صدق

ـ برَز بُرُوزاً خرج إلى البَرَاز أي الفضاء

ـ برَض النباتُ بُرُوضاً خرج بَارِضُه وهو أول مايطلُع منه .

ـ بَرَع بُرُوعاً وبَراعةً فاق علماً أو فضلاً أو جمالاً .

ـ برَك البعيرُ بُرُوكاً وتبراكاً استناخ .

ـ بسَق النخلُ بُسُوقاً ارتفعت أغصانه وطال .

ـ بَسَل الرجلُ بُسُولاً عَبَس من الغضب أو الشجاعة .

ـ بضَعَ الكلامُ بُضُوعاً تَبيين ، ومن فلانٍ سَئِم .

ـ بَطَل بُطلاً وبُطولاً وبُطلاناً فَسَد .

ـ بَغَرت السَّماءُ بُغُوراً أمطرت

ـ بَغَمت الظبيةُ بُغوماً وبُغاماً صوتت بصوت مرخيم .

ـ بَكَر إليه بُكوراً تقدّم .

ـ بَلَج الصبح بُلوجاً أسفر .

ـ بَلَح بُلوحاً أعيا وعجز .

ـ بَلَد بالمكان بُلوداً أقام به .

ـ بلغ الثمر بُلوغاً نَضِج ، والغلام أدرك .

ـ بَلَق بُلوقاً أسرع .

ـ بَلّت الريح بُلولاً هبّت بَلِيلاً .

وهذه عددها سبعة وعشرون (٢٧) كلها جاء مصدره على فُعُول ولم يجيء على فعْل .

(ب) ما جاء له مصدر على فَعل وفُعُول كليهما :

ـ بَتَأ بالمكان بَتْأً وبتوءاً أقام .

ـ بَثَر وجهه بثْراً وبثوراً خرج منه بثر .

ـ بَجَس الماء بَجْساً وبُجُوساً تفجّر وانفجر .

ـ بَجَل بَجلاً وبُجولاً فرح .

ـ بَجَم بَجماً وبُجوماً سكت عن فزع أو عجز .

ـ بح بَحّاً وبُحوحاً وبَحَحاً وبَحاحةً وبُحاحاً أخذته بحة .

ـ بَخَقَت عينه بَخْقاً وبُخوقاً انفقأت .

ـ بَدَن بَدْناً وبُدونا عظم بدنه .

- بَدا بَدواً وبُدوّاً وبداءًا وبَداءة، ظهر .
- بَذَخ بَذْخاً وبُذوخاً علا وارتفع .
- بَرَد بَرْداً وبُروداً هبطت حرارته .
- بَرَق بَرْقاً وبُروقاً وبريقا لمع .
- بَزَغ بَزْغاً وبُزُوغاً ظهر .
- بَزَل النابُ بَزْلاً وبُزُولاً طلع .
- بَسَأَ وبُسُوءاً أَنِس .
- بَسَر الرجل بَسْراً وبُسُوراً قطّب وجهه ، عَجِل .
- بضّ الماءُ بَضْاً وبُضوضاً وبضيضاً سال قليلاً قليلاً .
- بَطَن بَطنا وبُطوناً خفي .
- بقّ النّبتُ بَقّاً وبُقوقاً طلع .
- بَقَل بَقْلا وبُقولاً ظهر .
- بَكَأَت الناقة بَكْأً وبُكوءً وبُكاءًا قلّ لبنُها .
- بلّ من مرضه بَلاًّ وبُلولاً وبَلَلاً برئ .
- بَهَأَ به بَهْأً وبُهُوءًا وبَهاءً أَنِس .
- بَهَرَت الشمسُ بَهْراً وبُهوراً أضاءت .
- باح بَوْحاً وبُؤوحاً ظهر .
- باخ بَوْخاً وبُؤوخاً سكن وفتر ، أعيا .
- باق بَوْقاً وبُؤوقاً جاء بالشرْ والخصومة
- باك بَوكاً وبؤوكاً سَمِن ، والأَمرُ اختلط .
- باد بَيْداً وبُيُوداً هَلَك .
- باز بَيْزاً وبُيوزاً هَلَك .
- بان عنه بَيْناً وبُيُوناً وبينونةً انقطع .

فهذه مجموعها واحد وثلاثون (٣١) كلها جاء مصدر ه على فَعْل وعلى فُعُول كليهما

(ج) ما جاء له مصدر على فَعْل ولم يجيء على فُعُول :

- بَأَج بَأْجاً صرخ .
- بَأَر بَأْراً حفر بؤرة .
- بأه للأمر بَأْهاً فطَن .
- بَأَى عليهم بَأْواً تكبرّ ، والدابة جهدت في عَدْوها .
- بأى بأياً تعاظم وفخر .
- بَجَح به بَجحاً فرح .
- بَحَث في الأرض بَحْثاً حفر
- بَخّ في النوم بَخّاً غطّ .
- بَخَا غضبُه بَخْواً سكن وفتر .

ـ بَخَرَت لقدرُ بَخْراً وبُخاراً ظهر بُخارُها .

ـ بَدَأَ بالشيء بَدْأً افتتحه .

ـ بَدَح بالسِّرِّ بَدْحاً باح به .

ـ بَدّ بفلان عن الشيء بَدًّا أبعده عنه .

ـ بَدَرَ القمرُ بَدْراً اكتمل .

ـ بَدَا فلانٌ بَدْواً وبَدَاوةً خرج إلى البادية ، أقام بها .

ـ بَذَأَ بَذْأً وبذَاءً فحش فى قوله .

ـ بَذَح بالرأى بَذْحاً قطع به .

ـ بَذَرَت لأَرضُ بَذْراً أخرجت نباتها .

ـ بَذَع الاناءُ بَذْعاً قطر ماؤه .

ـ بَذَم بَذْماً وبَذامةً قوى ومتُن ، حزُم وجاد رأْيُه .

ـ بَذَا بَذْواً ساءَ منطقُهُ ، وعليه تكلمّ بالفحش .

ـ بَرَح الرجلُ بَرْحاً غَضِب .

ـ بَرَض الماءُ من العين بَرْضاً خرج قليلاً .

ـ برقت المرأة بَرْقاً تزينت .

ـ بَرَى لفلان بَرْياً عرض له .

ـ بَزَج الرجلُ بَزْجاً تفاخر .

ـ بَزَق بَزْقاً بصق ، والشمس بزغت .

ـ بَزَم القولُ بَزْماً غلُظ ، وعليه عضه ، وعلى الأَمر عزم .

ـ بَزا بَزْواً تطاول

ـ بَسّ بسًّا طلب وجَهَد .

ـ بَسَط من فلان بَسْطاً أزال احتشامه .

ـ بَسَق بَسْقاً بصق .

ـ بَسَم بَسْماً ضَحِك قليلاً .

ـ بَشَرَ به بَشْراً وبشراً وبشوراً فرح .

ـ بشّ بَشًّا وبَشاشة كان طلق الوجه .

ـ بَشَق بَشْقاً أحدّ النظ .

ـ بَشَك الرجلُ بَشْكاً أسرع .

ـ بَصّ لماءُ بَصًّا وبَصِيصاً شح ، والنجمُ تلأْلأَ .

ـ بصَع الماءُ بَصْعاً سال ، رشح .

ـ بَصَق بَصْقاً لفظ ما فى فمه .

ـ بَصَا بَصْواً استقصى ما عند غريمه .

ـ بَضّ الجلدُ بَضًّا وبَضَاضة وبُضوضة كان رقيقاً ناعماً فى سِمَن .

ـ بَضَعَ الدمع بَضْعاً جال فى العين ولم يفض ، ومن الماء روى .

ـ بَضَم الزرع بَضْماً اشتدّ .

- بَطَش به بَطْشاً فتك .
- بَعث بالكتاب بَعْثا أرسله .
- بَعَص الشيءُ بَعْصاً ضطرب .
- بعط في الجهل بَعْطاً بالغ وأفرط .
- بَعَّ المطرُ بَعًّا نزل ماوه غزيراً .
- بَعَق الوابل بَعْقاً انفتح فجأة .
- بعل بَعْلا وبُعولة تزوج .
- بعا بَعْواً أجرم وجنى .
- بَعَى بَعْياً أجرم وجى .
- بَغَزت الدَابةُ بَغْزاً ضربت الأرض برجلها .
- بَغَشت السماءُ بَغْشاً أمطرت .
- بَغَّ الدَّمُ بَغًّا هاج .
- بَغَا عليه بَغْواً تحدّى .
- بَغَى الرجل بَغْياً وبُغاءا عدل عن الحقّ ، وعليه ظالمه ، والسماءُ اشتد مطرها
- بَقَرَ في بني فلانٍ بَقْرًا فتّش أمرهم .
- بَقَع بَقْعاً ذهب .
- بقَّ بَقًّا وبَقَاقاً على القوم كثُر كلامُه .
- بَقَى بقْياً دام ، ثبت .
- بَكَّ الرجلُ بَكًّا افتقر .
- بَكَل الرجلُ بَكْلاً اتخذ البَكَالة وهى طعام من السَّويق والزيت .
- بَلَتَ الشيءُ بَلْتاً انقطع .
- بَلَح الثرىَ بَلْحاً يَبِس .
- بَلَخ الرجلُ بَلْخاً تكبرّ وحمُق .
- بلّ في الأَرض بَلاًّ ذهب .
- بنج بنْجاً رَجَع إلى بِنْجِه أى أصله .
- بنَق إليه بَنْقاً وصل .
- بَنَّ بنًّا تراكمَ شحمُه ،وبالمكان أقام .
- بَنَى بأَهله وعليها بنْياً وبناءًا وبُنياناً دخل عليها .
- بَهر الرجلُ بَهْراً فاق أقرانه .
- بَهَش إليه بَهْشاً أقبل عليه مسروراً .
- باءَ إليه بَوْءاً رَجَع .
- بابَ له بوْباً لازمه .
- باثَ عن الشيء بوْثاً بَحَث
- باج عليه الشَّرُّ بوْجاً حلّ به ، والبرقُ لمع .
- باذ بَوْذاً افتقر ، تواضع .
- بار بَوْراً وبَوَاراً هلك .
- باز بَوْزاً انتقل من مكان لآخر .
- باش القوم بَوْشاً اختلطوا وضَجُّوا .

- باص منه بَوْصاً هَرب واستتر .

- باص بَوْصاً حسُن وجهُه بعد كَلَف .

- باطَ بَوْطاً افتقر بعد غنى .

- باعَ بُوْعاً بسط يده بالعطاء .

- بال بَوْلا أخرج ماء مثانته .

- باه له بَوْهاً فطن

- بات بالمكان بَيْتاً وبيتوتَةً ، وبَيَاتاً أقام فيه الليل ، والرجلُ بيتاً تزوج.

- بوى بَيًّا حاكى غيره في فعله .

- باس بَيْساً ماس وتبختر .

- باض الطير بَيْضاً أتى بيضَه .

- باظَ بَيْظاً سمن بعد هُزال .

- باع على بيع أخيه بَيْعاً تدخَّل بين المتبايعين لإفساد العقد للحصول على الصفقة له .

- باغ الدَّمُ بَيْغاً هاج .

- باه له بَيْهاً تنبَّه .

وهذه مجموعها ستة وتسعون (٩٦) لازماً مفتوح العين كلها جاء مصدره على فَعْل ولم يجئ على فُعُول

(د) ما لم يجئ له مصدر على فُعُول ولا على فَعْل :

- بَدَخ بَدَخاً وبَداخةً كان عظيم الشأن

- بَدَّ الرجلُ بَدَداً عَظُم خلْقُه ، تباعد ما بين فخذيه من كثرة لحمهما .

- بذَّ الرجلُ بَذَذاً وبَذَاذاً رثَّت هيئته ، ساءت حالته .

- برز بَرَزاً ظهر بعد خمول أو خفاء.

- بَرَز برَازة فاق أصحابه فضلاً أو شجاعة .

- بَضَّ بَضاضةً وبُضوضةً كان رقيق الجلد ناعمَه في سِمَن .

- بَغَض بَغَاضةً صار بغيضاً .

- بَكَى بُكاءا وبُكى سال دمعُهُ حزناً .

- بلّ بكذا بللاً وبَلَالة ظَفرَ به وأدركه .

- بَهَا بهاءا وبَهَاءة حَسُن وظَرُف .

- بان بَيَاناً وتِبْياناً اتَّضح وظهر .

- بَاه بَوَاهاً ضجّ ، والحيوان هزل .

فهذه مجموعها اثنى عشر (١٢) كلها لم يجئ مصدره على فُعول ولا على فعل .

٩ - ويبين الجدول التالى خلاصة الترددات الصنفية للمصادر البَيِّنة .

كما جاءت فى الفقرة السابقة :

	العدد	النسبة المئوية
(ا) ماجاء له مصدر على فُعول ولم يجيء على فَعْل	٢٧	١٦ر٣ ٪
(ب) ماجاء له مصدر على فَعْل وفُعُول كليهما	٣١	١٨ر٧ ٪
(ج) ماجاء له مصدر على فَعْل ولم يجئ على فُعول	٩٦	٥٧ر٨ ٪
(د) ما لم يجئ له مصدر على فعُول ولا على فَعْل	١٢	٧ر٢ ٪
	١٦٦	١٠٠ ٪

الجدول ١ : خلاصة الترددات الصنفية لمصادر العينة :

١٠ – يتضح من الجدول ١ أن أكثر مصادر هذه الأفعال جاء على فَعْل أو فعول أو كليهما ، وأن قلة منهما فقط لم يجيء له مصدر على أى من هذين.

ويتضح أيضا بوجهٍ قاطع ان المصدر بزنة فَعْل أكثر تردداً منه بزنة فعُول فى العينة .

ولتداخل المصدرين فى بعض أفعال العينة فقد فصِّل التصنيف على الأوجه التالية لأغراض المقارنة الإحصائية :

(أ)ماجاءله مصدر على فُعول	٢٧+٣١=٥٨	٣٤ر٩ ٪
(ب)ما لم يجيء له مصدر على فُعول	٩٦+١٢=١٠٨	٦٥ر١ ٪
	١٦٦	١٠٠ ٪

الجدول ٢ ا : تصنيف لدراسة تردد فُعول (٣٤٩ر٠)

(ا) ماجاء له مصدر على فَعْل	٩٦+٣١=١٢٧	٧٦ر٥ ٪
(ب)ما لم يجيء له مصدر على فَعْل	٢٧+١٢=٣٩	٢٣ر٥ ٪
	١٦٦	١٠٠ ٪

الجدول ٢ ب : تصنيف لدراسة تردد فَعْل (٧٦٥ر٠)

(ا)ماجاء له مصدر على فَعْل أو فُعول أو كليهما	٩٦+٢٧+٣١=١٥٤	٨ر٩٢٪
(ب)ما لم يجيء له مصدر على فُعول ولا على فَعْل	١٢	٢ر٧٪
	١٦٦	١٠٠٪

لجدول ٢ جـ : تصنيف لدراسة تردُّد فعْل أو فُعول أو كليهما (٩٢٨ر٠)

وقد رسم الشكل ١ لتوضيح ماجاء فى لجدول ١ ، وتوضح الأشكال ٢ آ إلى ٢ جـ الجداول ٢ آ إلى ٢ جـ .

١١ - يبدو جليًا من الأشكال ٢ آ إلى ٢ جـ - وكذلك من الجداول ٢ آ إلى ٢ ما يأتى :

(ا) أن ماجاء له مصدر على فُعول من هذه الافعال الثلاثية اللازمة المفتوحة العين التى تؤلف العينة لم يتجاوز ٩ر٣٤٪ (الشكل ٢ آ) من مجموع فعال العينة ، أى انه زهاء ثلث لعينة فقط ، وهوقليل ،ولا يمكن له بحال أن يُعَدّ مطّرداً ولا غالباً ولا كثيراً .

(ب) ان ماجاء له مصدر على فَعْل من أفعال هذه لعينة هو ٥ر٧٦٪ (الشكل ٢ ب) ، أى أنه أكثر من ثلاثة أرباع العينة فهو إذن الغالب فى مصادرها ، فضلا عن أنه أكثر من ضعفي ماجاء له مصدر على فُعُول .

(جـ) أن ٨ر٩٢٪ من أفعال العينة (الشكل ٢ جـ) جاء له مصدر إمَّا على فَعْل أو على فُعول أو كليهما ، فهو الغالب ، أما ما لم يجيء له مصدر على أىٍّ من هذين الوزنين فهو ٢ر٧٪ فقط وهو قليل جداً أو نادر .

فلو صح انطباق هذه النسب أو شيءٍ قريب منها على مجموع ما فى المعجم من هذه الأفعال لأمكن القول بغلبة فَعْل على فُعول فى مصادر فَعَلَ اللازم المفتوح العين ، خلافاً لما أشار إليه ابن مالك . فلننتقل إذن إلى مدى الخطإ المحتمل فى انطباقها على المعجم .

١٢ - استناداً إلى ما جاء فى الفقرة ٦ والصيغة (١) ، يمكن التعبير عن نسبة

أيٍّ من هذه المصادر فى مجموع الثلاثى للازم المفتوح العين فى المعجم بالعلاقة:

$$P = P \pm Z\, S$$

أى :

$$P = P \pm Z \sqrt{\frac{P(1-P)}{n}\left(\frac{N-n}{N-1}\right)} \quad (٢)$$

حيث ترمز P إلى نسبة الأفعال الثلاثية اللازمة المفتوحة عين الماضى التى لها مصدر من وزن معين فى المعجم إلى مجموع هذه الأفعال فى المعجم .

وللحصول على تقدير معتمد لأيٍّ من هذه النسب سنختار حدا من الثقة مقداره ٩٩ ٪ بدلاً من حدّ الثقة ٩٥ ٪ الذى كثيراً ما يُؤخذ به فى مثل هذه الحالات ، وعليه فان قيمته ستساوى ٥٨ر٢ كما سلف ذكره .

وبتعويض قيم P كما وردت فى الجداول ٢ آ إلى ٢ جـ ، وقيمتى N و n المعلومتين ، فى الصيغة (٢) ، يمكن الحصول على النتائج التالية :

(ا) نسبة ما جاء له مصدر على فُعُول من هذه الأفعال فى المعجم .

= ٣٤٩ر٠ ± ٠٩٤ر٠

= ٩ر٣٤ ٪ ± ٩ر٤ ٪

= من ٥ر٢٥ ٪ إلى ٣ر٤٤ ٪

معنى هذا أن النسبة المقدرة لما جاء له مصدر على فعول من مجموع الثلاثى اللازم المفتوح العين فى المعجم هى على وجه التقريب ٩ر٣٤ ٪ وأنه فى ٩٩ احتمالًا من ١٠٠ لن يمكن لهذه النسبة أن تزيد على ٣ر٤٤ ٪ (أو أن تقلّ عن ٥ر٢٥) ، وهذا جزم أكيد بأن هذا المصدر ليس مطرداً ، ولا غالباً ، ولا كثيراً ، بل أنه أقل كثيرا من النصف فى أحسن الاحتمالات ، فهو إذن قليل فى مجموعة هذه الأفعال فى المعجم (الشكل ٣ آ) .

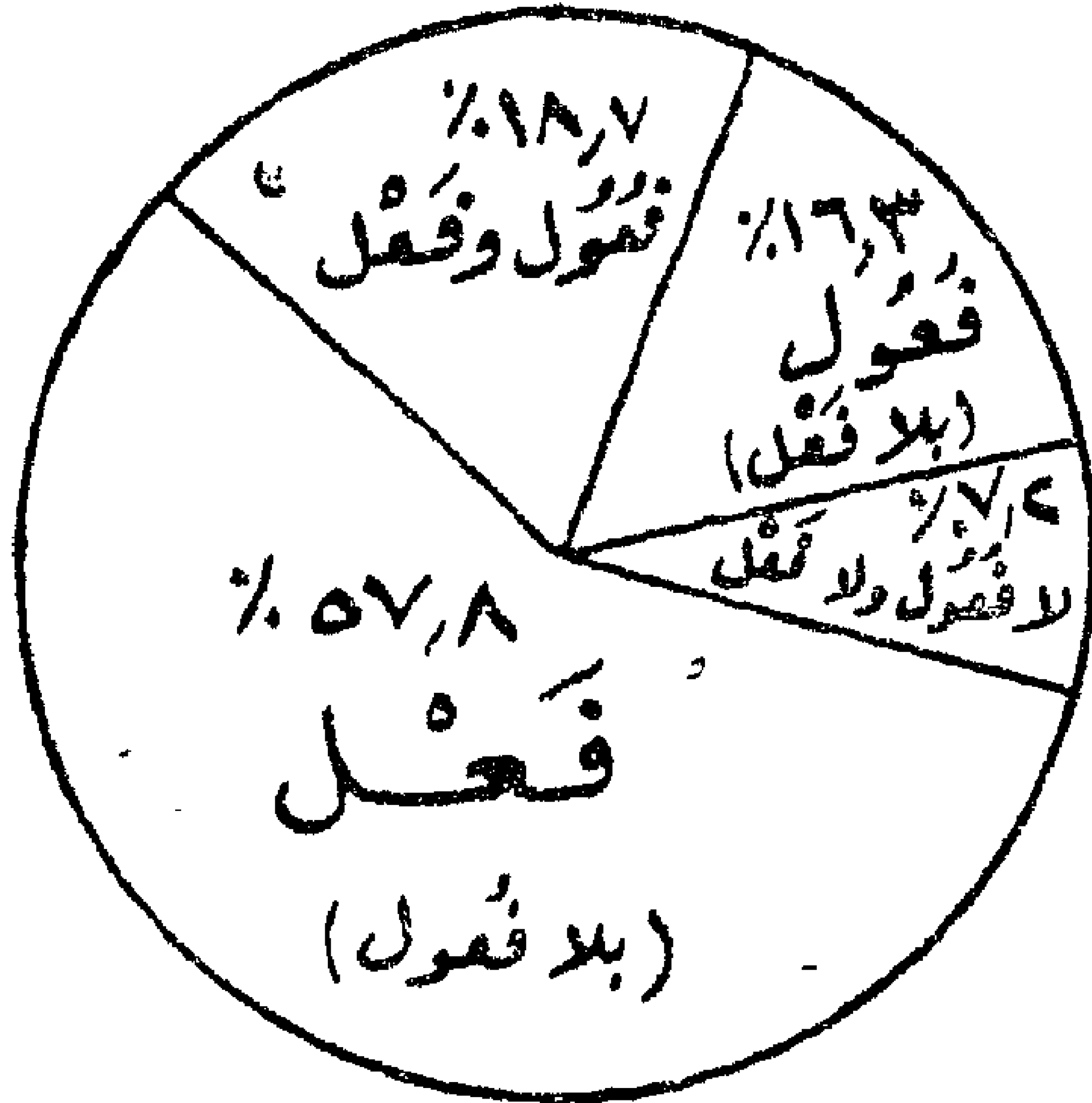
(ب) نسبة ما جاء له مصدر على فعْل من هذه الأفعال فى المعجم :

= ٧٦٥ر٠ ± ٠٨٣ر٠

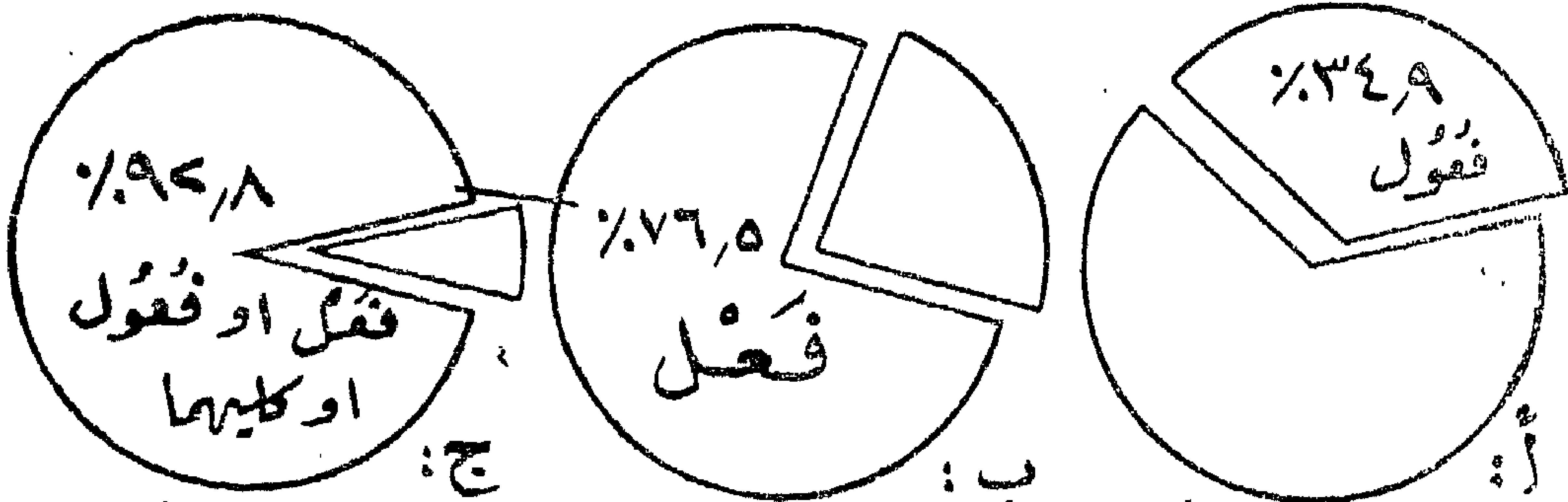
= ٥ر٧٦ ٪ ± ٣ر٨ ٪

= من ٢ر٦٨ ٪ إلى ٨ر٨٤ ٪

أى أن ما جاء مصدره على فَعْل من هذه الأفعال فى المعجم هو على وجه التقريب ٥ر٧٦ ، وهو فى ٩٩ احتمالًا من ١٠٠ لايمكن أن يقل عن ٢ر٦٨ (ولا أن يزيد على ٨ر٨٤ ٪) ، وهذا يؤكّد أن هذا المصدر هو الغالب لمجموعة هذه الأفعال فى المعجم (الشكل ٣ ب) .



الشكل ١ : النتيجة الإحصائية لمصادر فَعَلَ اللازم في العينة

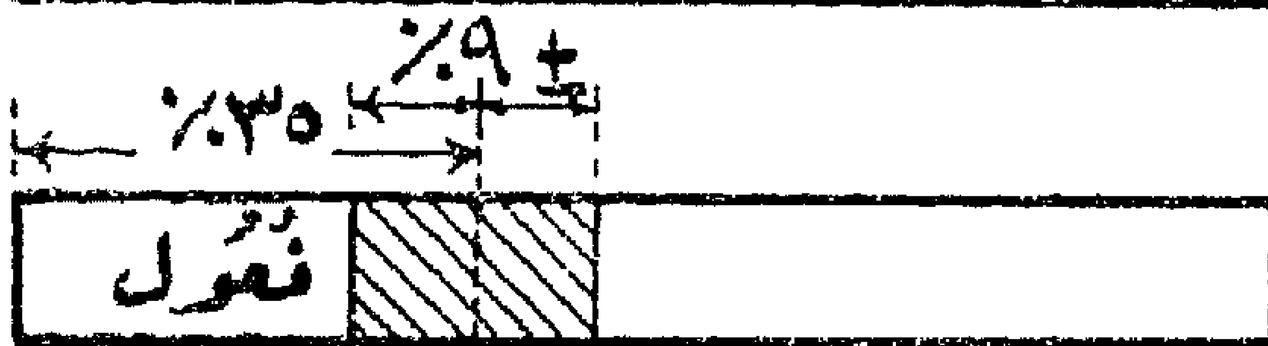


أ : نسبة ما له مصدر على فُعُول في العينة

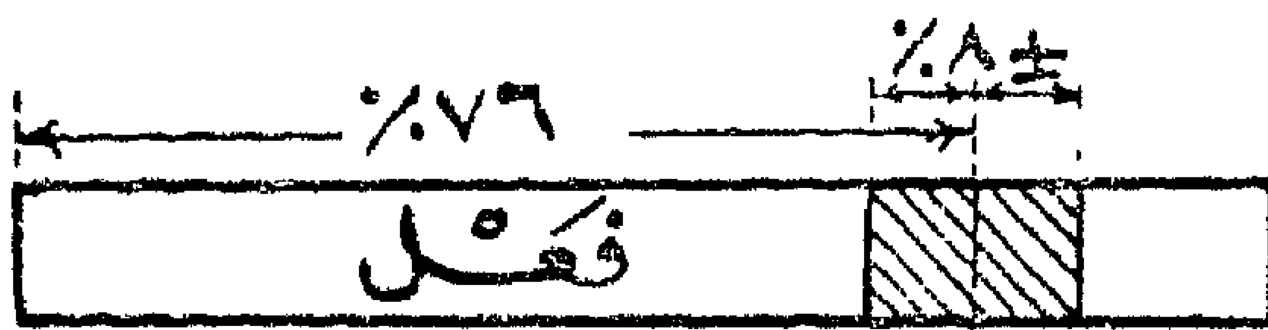
ب : نسبة ما له مصدر على فَعْل في العينة

ج : نسبة ما له مصدر على فُعُول او على فَعْل او على كليهما في العينة

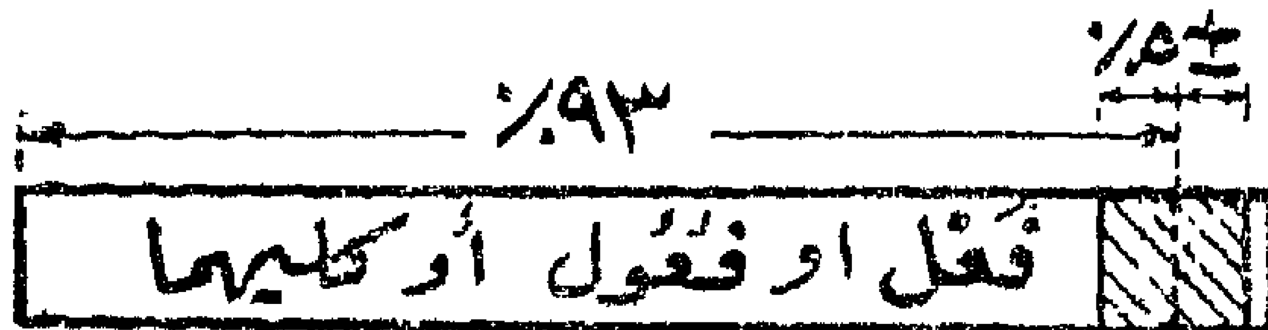
الشكل ٢ : تفصيل تردد مصادر فَعَلَ اللازم في العينة



أ : ما له مصدر على فُعُول في المعجم



ب : ما له مصدر على فَعْل في المعجم



ج : ما له مصدر على فَعْل أو فُعُول أو كليهما في المعجم

الشكل ٣ : تقدير مصادر فَعَلَ اللازم في المعجم بـ ٩٩ احتمالاً من ١٠٠

(جـ) نسبة ما جاء له مصدر أما على فَعْل أو على فعُول أو كليهما فى المعجم :

= ٠٫٩٢٨ ± ٠٫٠٥١

= ٩٢٫٨٪ ± ٥٫١٪

= من ٨٧٫٧٪ إلى ٩٧٫٩٪

أى أن ما جاء له مصدر على واحد من هذين الوزنين على الأقل من هذه الأفعال فى المعجم هو فى حدود ٩٢٫٨٪، وهو فى ٩٩ احتمالًا من ١٠٠ لن يقل عن ٨٧٫٧٪ (ولن يزيد على ٩٧٫٩)، فهو غالب جداً، وأغلبيته ساحقة، وما سواه يكاد يكون نادراً (الشكل ٣ آ).

١٣ — الخلاصة :

من هذه الدراسة لعيّنة عشوائية مولفة من ١٦٦ ثلاثيًّا لازمًا مفتوح عين الماضى فى مجموعة أفعال المعجم المشابهة لها والمقدرة بما بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠، ظهر أنه فى تسعة وتسعين احتمالًا من مائة ستكون نسب مصادر هذه الأفعال فى المعجم كالآتى:

(ا) تقع نسبة ماله مصدر على فَعْل أو على فُعول أو كليهما بين ٨٨٪ و ٩٨٪ مقربة لأقرب عدد صحيح (الشكل ٣ آ)، أى أن ما ليس له مصدر على أىٍّ منهما يمكن عَدُّه نادراً (فيما عدا ما اقتصرت مصادره على أوزان بعينها الامتناع، أو تقلُّب، أو داء، أو صوت، أو سير، وقد لوحظ أنه قليل جداً).

(ب) تقع نسبة ماجاء له مصدر على فُعول بين ٢٦٪ و ٤٤٪ (الشكل ٣ ب)، أى أنه لايمكن أن يُعدّ مطرداً ولا غالباً ولا كثيراً كما هو عليه سائر النُّحاة، بل هو أقل من النصف وأقرب إلى الثلث، وهو قليل.

(جـ) تقع نسبة ما جاء له مصدر على فَعل بين ٦٨٪ و ٨٥٪ (الشكل ٣ جـ)، أى أنه الغالب، وهو أدعى للقياس عليه.

وبعد فهذا جزم أكيد بأن ما زِنةُ مصدره فَعْلٌ من هذه الأفعال أغلب مم زنة مصدره فعُول، بل هو فى حدود ما يربو على ضِعْفَيه (فضلًا عما يكون بعض اللغويين المتأخرين قد زادوه من مصادر على فُعول من عندهم — على

القياس –) ، فإن لم يكن أيٌّ منهما مطرداً فإن فعْل بلا شك هو الغالب بين مصادر فَعَلَ اللازم فى المعجم ، وهو أجدر بقياس مصدر ما لم يُسمع له مصدر عليه ؛ والآن فماذا بشأن قول ابن مالك :

(وفَعَل اللازم مثل قَعَدا
له فُعُولٌ باطِّراد كغَدا) ؟

أما كان الأصوب أن يقال مثلًا :

(وفعَل اللازم مثل عَتَبا
فَعْلٌ له كالمتعدِّى غَلَبا
(ما لم يكن مستوجباً فِعالا
. . . . إلخ) ؟؟

أو :

(وفَعَلَ اللازمُ كالمعدَّى
قياسُه فَعْل ككَدَّ كَدّا) . . إلخ ؟؟

أو ما أشبه ذلك .

سؤال بين أيدى السادة الأعلام أهل اللغة والنحو .

الملحق (١)

الرموز

عدد مواد العينة (أى من الثلاثى اللازم المفتوح العين)

العدد المقدَّر لموادّ المجموعة (أى فى المعجم) المشابهة لمواد العينة.

نسبة تردُّد حدث معين (هنا تكرّر مصدر من وزن معيّن) فى مواد العينة .

النسبة المقدّرة لتردد حدث معيّن فى موادّ المجموعة (أى فى المعجم) .

الانحراف القياسى المخمّن لكل مواد المجموعة (فى المعجم)

معامل يُضرب فى تخمين الخطإ المحتمل فى تقدير نسبة حدث معيّن فى المجموعة من حسابه فى عينة . وتتحدَّد قيمة هذا المعامل بمعرفة حد الثقة المطلوب فى التخمين .

الملحق (٢)

المراجع

- ألفية ابن مالك فى النحو والصرف ، دار الكتب المصرية ، ط ٣ ، ١٩٣٢م .
- الكتاب ، لسيبويه ، طبعة بولاق ، ١٣١٧ هـ ، ج ١ – ٢
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، بلا تاريخ .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ؛ مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، ج٢
- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، دار الكتب العربى ، بيروت ١٩٥٥م ، ج٢
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطى ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٧ هـ ، ج ٢
- كتاب قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية ، تأليف حفنى ناصف ومحمد دياب والشيخ مصطفى طموم ومحمود عمر وسلطان محمد ، القاهرة ، ١٩٠٥م .
- جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني ، المطبعة العصرية ، صيدا ، ط ١١ ، ١٩٧١م ، ج ١
- القواعد الأساسية للغة العربية للسيد أحمد الهاشمى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٥٤ هـ .
- الاقتراح ، للسيوطى ، طبعة الهند .
- تحرير افعل من قياس نحوى فاسد تعليق للأستاذ أمين الخولى على بحث للأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور ، مؤتمر الدورة ٣٢ لدورة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، البحوث والمحاضرات بغداد ، ١٩٦٦م .
- المنجد فى اللغة ، للأب لويس معلوف اليسوعى ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ط ١٥ ، ١٩٥٦م .
- المعجم الوسيط ، إخراج الأساتذة إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ، ومحمد على النجار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، أشرف على طبعه عبد السلام هارون ، مطبعة مصر ، ١٩٦٠م ، ج ١ ، ٢

- القاموس المحيط ، لمجد الدين الفيروزبادى المطبعة الحسينية ، القاهرة ١٩١٣ م ، ج ١ – ٤

- لسان العرب ، لجمال الدين بن منظور الأنصارى ، طبعة بولاق ، القاهرة ، ١٨٩١م ، جـ ١ – ٢٠

- أساس البلاغة ، لجار الله الزمخشرى دار ومطابع الشعب ، القاهرة ١٩٦٠م

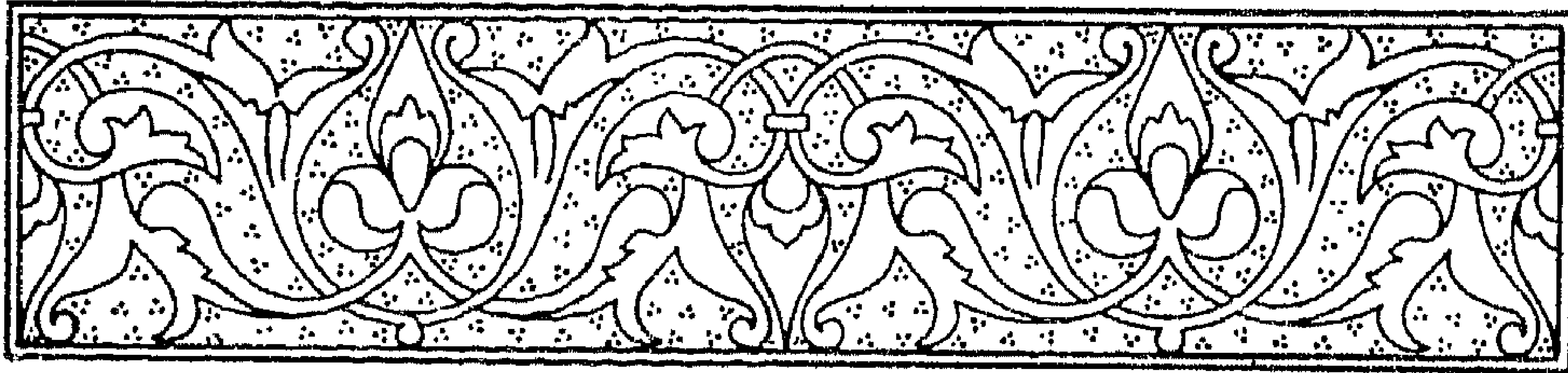
- مختار الصحاح ، لأبى بكر الرازى ، مطبعة الترقى ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٣٨ م

- Statistical Quality Control, by E. L. Grant, Mchraw-Hill Bock Company, New york, 1946

- Statistics Made Simple, by H. T. Hayslett, W. H. Allen (Publishers), London, 1968

- Tables for Statisticians, by H· Arkin and R. R. Colton Barnes and Noble, Inc., New york, 1950

جميل الملائكة



في القرآن والعربية : (٧)

الصراع بين القُرَّاء والنُّحاة

للدكتور احمد علم الدين الجندي

٦ ـ قصر الممدود :

قصر الممدود للضرورة مجمع على جوازه ؛ لانه رجوع إلى الأَصل ، إذ الأَصل القصر ، بدليل أن الممدود لاتكون ألفه إلا زائدة ، وألف المقصور قد تكون أصلية ، والزيادة خلاف الأَصل .

وشواهد هذا الباب ـ على أنه ضرورة ـ أكثر من أن تحصى [١] .

فإذا وردت قراءة قرآنية ـ ولو سبعية ـ مخالفة لقواعد النحاة ردّوها ؛ لأَنها تتصادم ـ فى زعمهم ـ مع قواعدهم .

ففى سورة النحل [٢] « أين شركائِىَ » . قرئت فى إحدى روايتى البَزِّى عن ابن كثير : بغير همز وبفتح الياء (شركاى) أى : على قاعدة قصر الممدود [٣] .

وقد تنكّر لقراءة ابن كثير هذه غير واحد ، وحجتهم إجماع النحاة على أن الممدود لايقصر إلّا فى ضرورة . يقول أبو شامة : « وقصر الممدود ضعيف لايجيزه النحويون إلّا فى ضرورة الشعر ، فهذه قراءة ضعيفة [٤] » ويحمل الشاطبي لواء ردّها وتلحينها فيرميها بضعف الرواية وضعف القراءة [٥] .

ولا نوافقه على ضعف الرواية ؛ لأن تلك الرواية وردت فى كتاب السبعة لابن مجاهد [٦] ، كما وردت فى كتاب التيسير لأَبى عمرو الدانى ، وسند الرواية متصل بسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كذلك لا نوافقه على ضعف القراءة ؛ لأَن القراءة هى الأَصل ، والعربية تصحَّح بالقراءات لا القراءات بالعربية .

---

* انظر الأجزاء السابقة من مجلة المجمع .

(١) الضرائر للألوسى ٥٧ ، ومايجوز للشاعر فى الضرورة ١٤٦ للقزاز تونس .

(٢) آية ٢٧ . (٣) السبعة لابن مجاهد ٣٧١ ، والبحر ٥ / ٤٨٥ .

(٤) إبراز المعانى لأبى شامة ٣٧٤ . (٥) المرجع السابق . (٦) ص ٣٧١ .

وكان مكي القيسي أخف حملة من الشاطبي فقال عن القراءة السابقة ، بأنها لغة ، ثم وصفها وحكم عليها بأنها « قراءة بعيدة ؛ لأن قصر الممدود أكثر ما يأتي في الشعر وفي نادر من الكلام ، قالوا في « السوء آية » « السواية » فقصروا[1] .

أما أبو حيان فكانت لهجته أخف ، ونقده أيسر حيث يقول بعد أن ذكر قراءة القصر « وقصر الممدود ذكروا أنه من ضرورة الشعر ، ولاينبغي ذلك لثبوته في هذه القراءة فيجوز قليلا في الكلام[2] » .

وقد وصف ابن خالويه هذه القراءة بأنها قراءة أهل مكة[3] . كما وثق الداني تلك القراءة في كتابة المفردات السبع[4] .

وفي ضوء قراءة ابن كثير السبعية — المتواترة في تلك المصادر الصحيحة الصادقة — يجب أن يعدل النحاة قواعدهم فيستعمل قصر الممدود في العربية من غير قيد أو شرط ، ويرفع عن كاهله ثوب (الضرورة) التي لحق به اعتمادا على قراءة ابن كثير ، وهذا أولى وأحق من اعتمادهم في تقعيدهم حين سألوا الصبيان والمجانين والمخاطين حتى قال ابن جني عن سيبويه : إنه «اغترق(*) جميع كلام الصرحاء والهجناء والعبيد والإماء في أطرار الأرض ، ذات الطول والعرض ، ما بين منثور إلى منظوم ، ومخطوب به إلى مسجوع ، حتى لغات الرعاة الاجلاف ؛ والرواعي ذوات صرار الأخلاف وعقلائهم والمدخولين ، وهذاتهم والموسوسين ، في جدهم وهزلهم وحربهم وسلمهم ، وتغاير الأحوال عليهم[5] » .

فإذا أضيف إلى ذلك : أن قصر الممدود تخفيف ؛ لانه حذف زائد فيه ، والعرب تخفف بالترخيم وغيره ، وأن قصر الممدود معزو إلى لغات تميم وقيس وربيعة وأسد[6] ، ثبتت قوة القراءة رواية ودراية .

* * *

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢ / ٣٦ لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي . تحقيق د . محيي الدين رمضان دمشق

(٢) البحر ٥ / ٤٨٥ فما بعدها .

(٣) مختصر شواذ القرآن ٧٢ .

(٤) ١٠٣ ط الفاروقية بمصر .

(٥) الخصائص ٣/١٨٦

(٦) انظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٦٨ د عبده الراجحي . دار المعارف ١٩٦٨ .

(*) أي : استوعب . أطرار الأرض : نواحيها .

تعليق ونقد :

فى ضوء ما سبق يتبين أن بعض النحاة كانوا يتجهمون لبعض القراءات القرآنية والتى حملت فى بطونها ظاهرة من ظواهر العربية الاصيلة وأخواتها السامية وهى « انتقاص الصوت وضعفه » فقد ثبت أن بعض هذه القراءات كانت تسمح بهذا الانتقاص الصوتى ولاتتهيّبه ؛ لأن وراءه غاية يؤديها من حكمة أو حاجة – بلاغية . كما أن تراثنا العربى شعرا ونثرا كان يواكب هذه الظاهرة فى القــراءات ويكتنفها .

وقد آثرت جمع أمشاج من القراءات المختلفة ، والأحاديث النبوية وآثارالعرب حتى تقف سدًّا منيعاً فى وجه هؤلاء الذين يحملونها على الضرورة .

فمن القراءات القرآنية :

١ – « يا حسره على العباد »[1] ساكنة الهاء ، وهى قراءة الأعرج ومسلم بن جندب وأبى الزناد .

وقد احتج لها ابن جنى بقوله « وذلك أن العرب إذا أخبرت عن الشئ غير معتَمِدَتِهِ ولا مُعْتَزِمَةٍ عليه –أسرعت فيه ، ولم تتأنَّ على اللفظ المعبرّ به عنه ، وذلك كقول الوليد بن عقبة :

(قلنــا لهــا قفى لنــا قالتْ قاف)

معناه : وقفتُ – فاقتصرتْ من جملة الكلمة على حرف منها ، تهاوناً بالحال ، وتثاقلا عن الإجابة ، واعتماد المقال[2] »

٢ – ومن ذلك قراءة الحسن « بثلاثةْ آلاف[3] » و « بخمسةْ آلاف[4] » .

ويعلل بعض الباحثين[5] قراءة الحسن بقوله « و أكاد أستشعر فى هذه القراءة ضربا من التأكيد على هذا العدد الضخم ، فالروية فى النطق يتبعها وقف على العدد ، فتتطلع النفس إلى تمييز هذا العدد ، فيأتى المضاف إليه بعد ذلك وقد تهيّأت له النفس فيتمكن منها تمكناً لايتأتى مع غير هــذه القراءة » .

(١) يس ٣٠ .
(٣) آل عمران ١٢٤ .
(٤) المرجع السابق ١٢٥ وانظر المحتسب ١ / ١٦٥
(٥) الدكتور حماسة عبد اللطيف . رسالته فى الدكتوراه ٣٧٦ .

(٢) المحتسب ٢ / ٢٠٨ ط المجلس الأعلى .

ويلاحظ على القراءتين الحيف على الإعراب وزواله وذلك مما لا يخشى ولا يتهيّب يقول ابن جنى « ولا يجفُ ذلك عليك على مابه من ظاهر انتقاض صنعته ؛ فإن العرب قد تحمل على ألفاظها لمعانيها حتى تفسد الإعراب لصحة المعنى[1] » وهذا ما يقصده (فندريس)[2] بقوله « إن ظاهرة الوقف مظهر من مظاهر البلى الصوتي الذى يعمل على اختزال طول الكلمات وهدم الإعراب » .

والعجيب أن النحاة يحكمون بالضرورة على أسلوب مشابه لهاتين القراءتين وذلك فى قول منظور بن حبة الأسدى :

لما رأى أن لادعهْ ولا شِبع

مال إلى أرطاة حِقْفٍ فاطجع[3]

فقد سكن هاء (دعه) فى الوصل لضرورة الشعر . إلا أن الفراء ذهب إلى أنها لغة لبعض العرب .

٣ـ « ذلك ما كنا نبغ[4] » فالفعل جزم فى غير مواضع الجزم ؛ وذلك نوع من إضعاف الصوت وتقصير الحركة ، وهذا التقصير لغرض وغاية ، فهو يوحى بلهفة موسى عليه السلام على معرفة مكان الخضر ؛ إذ كان فقْد الحوت هو العلامة على مكان الخضر ؛ ولهذا لم يكن لدى موسى من الوقت ما يضيعه فى إشباع الصوت وإعطائه حقه كاملا .

وهنا يتآزر التصوير اللغوى أصواتاً ووظائف فى الدلالة على ملابسات الحال .. ويعتبر هذا الحذف أو التقصير نوعاً من الترخُّص فى العلامة الإعرابية أتى به للدلالة على معنى معيَّن[5] .

٤ ـ ومن القراءات التى جاءت على إضعاف الصوت وتقصير الحركة الطويلة :

(ا) « فأنا أول العَبِدين[6] » بغير ألف قراءة أبى عبد الرحمن اليمانى .

---

(١) المحتسب ٢ / ٢١١ .
(٢) اللغة ٤٢٣ .
(٣) الدعة : الراحة . الحقف : التل المعوج من الرمل . وانظر المحتسب ١ / ١٠٧ .
(٤) الكهف ٦٤ .
(٥) قرينة العلامة الإعرابية . رسالة دكتوراه ٣٦٥ . د . محمد حماسة (مخطوطة بمكتبة المؤلف) .
(٦) الزخرف ٨١ وانظر المحتسب ٢ / ٢٥٧ المجلس الأعلى .

(ب) « فاقعدوا مع الخلفين[1] » بغير ألف . قراءة مالك بن دينار .

(جـ) « وأطعموا القَنِع[2] » بغير ألف . قراءة أبي رجاء .

فتلك القراءات السابقة ينظِّر لها ابن جنى بالشعر ، والشعر محط الضرورات . يقول فى المحتسب[3] « ونحوه ما رويناه عن قطرب » :

ألا لا بارك اللّهُ فى سُهيل
إذا ما الله بارك فى الرجال

أراد : لا بارك الله ، فحذف الألف تخفيفاً . وفى مكان آخر من المحتسب[4] رمى ابن جنى أبياتاً وردت على نسق القراءات السابقة التى حدث فيها إضعاف الصوت وتقصيره — بالضرورة ، ولهذا فرّ بعض النحاة من مصطلح (الضرورة) وسموه بأسماء أخرى أيسر وأخف .

فسيبويه يسميه « ما يحتمل الشعر » وسماه بعضهم « باب الرخص فى الشعر » العمدة لابن رشيق ٢ /٢٠٨

وأطلق عليه آخرون « التناسب » ؛ لأنهم ربما رأوا أن الضرورة تحمل معنى العجز ، والقرآن منزه عن ذلك .

٥ ـ كما وجدنا نمطاً آخر من التقصير والحذف فى قراءات قرآنية تختلف عما سبق نسجِّل جانباً منها :

(ا) « أتحاجُّونى فى الله » مخففة . وهى قراءة نافع وابن عامر[5] ، وهى قراءة سبعية : أتحاجوننى بنونين : الأولى علامة رفع والثانية : نون الوقاية ، وللعرب فى مثل ذلك ثلاث لغات : إبقاء النونين ، وإدغام الأولى فى الثانية على أصل قاعدة الإدغام . واللغة الثالثة : حذف إحدى النونين ، فبقى نون واحدة مخففة ، وقد قرئ بهذه اللغات الثلاث ، قوله تعالى : « أفغير الله تأمرونى أعبد » ، وقراءة الحذف لغة غطفان (*) (انظر إبراز المعانى لأبى شامة ٣٠٨) وإذا كانت القراءة قرئ بها وصورت لهجة عربية كقبيلة غطفان فكيف

---

(١) التوبة ٨٣ وانظر المحتسب ١ / ٢٩٨ . (٢) الحج ٣٦ وانظر المحتسب ٢ / ٨٢ .
(٣) ٢ / ٨٢ وانظر : الخصائص ٣ / ١٣٤ ، ٢ / ٢٤٦ ، والضرائر ٧٣ للألوسى .
(٤) ٢ / ٢٥٧ . (٥) الأنعام ٨ .
(*) غطفان : من قيس عيلان ، وتقسع منازلها شرقى خيبر وحدود الحجاز الى جبلى طيىء ، وبعض منازلها فى نجد ، ولهذا أرجح أن البدو منهم يؤثرون الحذف .

يضعها النحاة فى إطار الضرورة .

* « أفغير الله تأمرونى » مخففة .

وهى قراءة نافع وابن عامر[1] .

وهى قراءة سبعية .

* « فبم تبشرون »[2] مخففة . وهى قراءة نافع وابن عامر . وهى قراءة سبعية .

والحجة لمن خفف النون أنه لما اجتمعت نونان تنوب إحداهما عن لفظ الأخرى خفف الكلمة؛ بإسقاط إحداهما كراهية لاجتماعهما[3]

وفى حذف النون ما أنشده المفضل :

تذكرونا إذ نقاتلكم

إذ لا يضرُّ مُعدماً عدمُه

وزعم بعض البصريين فى حذف النون أنها لغة غطفان (الحجة لأبى على الفارسى : سورة الأنعام) .

* « قالوا ساحران تظّاهرا » وهى قراءة يحيى الدمارى بالتشديد . ورماها ابن خالويه باللحن[5] . لأنه فعل ماض ، وإنما تشدد فى المضارع .

* وقراءة الحسن « يوم يُدْعَوْا كلُّ أناس بإمامهم » الإسراء ٧١

ويلاحظ على الآيات الثلاث السابقة أنها قرئت بحذف نون الرفع من المضارع المرفوع .

والعجيب أن النحاة يوازون هذه القراءات بما ورد فى الشعر فمن ذلك قول الأعشى :

أبا المـوت الذى لابـدّ أنى

مـلاق لا أبـاك تخـوفينى

وقول عمرو بن معدى كرب :

تـراه كالثّغـام يُعَـلُّ مسكا

يسوءُ الفاليـات إذا فَلَيْنى[6]

أراد : فلينني . فحذف نون الوقاية مع نون الضمير (للضرورة) .

سورة الأنعام

وقول جميل :

كل لـه نيّـة فى بغض صاحبـه

بنعمـة الله نقليـكم وتقلـونا[7]

(١) الزمر ٦٤ .

(٢) الحجر ٥٤ .

(٣) انظر : كتاب السبعة ٢٦١ لابن مجاهد ، والحجة ١١٨ ، ١٨١ وانظر تفسير القرطبى .

(٤) القصص ٤٨ .

(٥) مختصر شواذ القرآن ١١٣ لابن خالويه ، وشواهد التوضيح ١٧٢ لابن مالك .

(٦) الحجة لابن خالوية ١١٨ (الثغام : نبت أبيض يكون فى الجبل . الفاليات : إخراج القمل من الشعر . يعلّ : يطيب) .

(٧) إملاء مامن به الرحمن : ١ / ٢٤٩ تحقيق عطوة : القاهرة ط ٢ .

وقول الآخر :

أيـاريح الشمال أمـا تَـرِيْنِي
.. .. أهـيم وأنـنى بـادى النحـول

أى : ترينني .

وقول أبي طالب :

فإن سرّقوماًبعضُ ماقد صنعتمو
ستحتابـوها لاقحا غير ناهـل

وقد اختار سيبويه حذف نون الوقاية تحرزًا من حذف نون الرفع ،لأنها لوحذفت لاشتبه المرفوع بالمجزوم والمنصوب . وأرى أن نون الرفع هى المحذوفة ، ومما يؤكد ذلك ما ورد :

(أ) فى النثر :

١ ـ جاء فى الحديث الشريف « والذى نفس محمد بيده ، لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا[1] » .

٢ ـ وقول عمر رضى الله عنه حين سمع قول الرسول عليه السلام فى قتلى بـدر يارسول الله ،كيف يسمعواوأنّى يجيبوا » .

٣ ـ وفى الحديث « كما تكونوا يولى عليكم[2] » .

٤ ـ وفى حديث الإسراء « لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء . . . إلى أن قال : صلى الله عليه وسلم : أنظر إليه مايسألونى عن شئ إلا أنبأتهم به[3] » .

٥ ـ وقوله عليه السلام وقد سأله بعض أصحابه : فعن معادن العرب تسألونى[4] » .

٦ ـ وقول عقبة بن عامر للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إنك[5] تبعثنا فننزل بقوم لا يَقْرونَا » .

٧ ـ وقول ابن عباس وغيره لرسولهم إلى عائشة يسألونها عن الركعتين بعد العصر : بلغنا أنك تصليهما .

والأصل : لا يقروننا ، وتصلِّينهما .

٨ ـ وقول وفد عبد القيس « وأصبحوا يعلمونا كتاب الله[6] » :

٩ ـ وفى عيون الأخبار لابن قتيبة « لم تزعجونى من جواركم[7] .

وتلك الكثرة من الشواهد النثرية تؤكد أن حذف نون الأفعال الخمسة فى حالة الرفع لغة فصيحة ، وعلل ابن مالك هـذا الحذف لكراهية تفضيل التائب على المذوب

(١) شواهد التوضيح ١٧٣ ، الهمع : ١ / ٥١ .
(٢) الحاوى للفتاوى ٢ / ٤٧ للسيوطى ط السعادة .
(٣) التاج الجامع للأصول ٣ / ٢٦٢ .
(٤) رياض الصالحين : باب التقوى للنووى .
(٥) شواهد التوضيح ١٧٠ ، صحيح البخارى ٣ / ١٧٢ ط الشعب .
(٦) شواهد التوضيح ١٧٣ .
(٧) ١ / ٢٩٣ .

عنه ، وذلك أن النون نائب عن الضمة ، والضمة قد حذفت لمجرد التخفيف ، كقراءة أبي عمرو بتسكين الراء من — (يشعركم) فى قوله تعالى « وما يشعركم أنها إذا جاءت لايؤمنون[1] » ويأمركم . فى قوله — سبحانه — « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة[2] » وينصركم . فى قوله — سبحانه — « فمن ذا الذى ينصركم من بعده[3] » فلو لم تعامل النون بما عوملت الضمة من الحذف لمجرد التخفيف ، لكان فى ذلك تفضيل النائب على المنوب عنه[4] .

والعجيب من النحاة أنهم يستشهدون بأجلاف العرب وسفهائهم ومجانينهم ، ويتركون أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنها تنقل بالمعنى ، ومعروف أن الخلاف فى جواز النقل بالمعنى إنما هو فيما لم يدون ولا كتب ، وأما مادون فى الكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه من غير خلاف بين العلماء .

(ب) فى الشعر :

١ — كقول الشاعر :

أبيتُ أسرى وتبيتى تدلكى
وجهك بالعنبر والمسك الذكى[5]

فالأصل : تبيتين وتدلكين .

٢ — وقول على رضى الله عنه :

أنا الذى يجدونى فى صدورهم
لا أرتعى صدرًا منها ولا أرد

٣ — وما أنشده الفارسى :

والأرض أورثت بنى إذا ما
ما يغرسوها شجرًا إياما[6]

فالمحذوف نون الرفع ، لأن نون الوقاية أتى بها لغرض خاص ، وهو وقاية الفعل من الكسرة التى لاتدخله ، والمعروف فى العربية أنها فى سبيل المحافظة على المعنى والحرص على أمن اللبس قد استعانت بعدة قرائن صوتية وصرفية ونحوية فإذا

---

(١) الأنعام ١٠٩ .
(٢) البقرة ٦٧ .
(٣) آل عمران ١٦٠ .
(٤) شواهد التوضيح ١٧٢ .
(٥) الضرائر للألوسى : ١٢٥ .
(٦) الضرائر للألوسى ١٢٦ .

أمن اللبس مع اطّراح بعض هذه القرائن كقرينة الإعراب ،مثلا كما هنا ،فإن ذلك مما تجيزه اللغة ولا تتأباه .

فظاهرة حذف النون فى حالة الرفع لغة فصيحة ؛ لأنها وردت فى القرآن وقراءاته وهدفها التخفيف والتيسير ،ولهذا لاتكون ضرورة . يقول السيرافى فى شرحه على سيبويه « وليس فى القرآن ضرورة(١) » ويقول أيضاً « وما قرأت به القراء لم يدخل مثله فى ضرورة الشعر(٢) » وفى مثل هذا يقول أبو العلاء المعرى على لسان الحيّة الفقيهة « فلما توفى أبو عمرو كرهت المقام ، فانتقلت إلى الكوفة ، فاقمت فى جوار حمزة بن حبيب فسمعته يقرأ باشياء ينكرها عليه أصحاب العربية . . . . . وهذا إغلاق لباب العربية لأن الفرقان ليس بموضع ضرورة ، وإنما حكى مثل هذا فى المنظوم(٣) » .

ومعروف أن قراءات القراء مردها إلى الرواية ، ولا يصح أن يتحكم فيها مايجوز فى العربية .

كما أن كل ماله نظير فى الاستعمال النثرى لن يكون ضرورة ، والقول بالضرورة رأى كثرة من النحاة ، دفعهم إليه المنهج المعيارى ، فحكموا على ظواهر موجودة فى غير الشعر كالقرآن والنثر بأنها ضرورة . والقراءات القرآنية جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها ، وليست لغات القبائل إلا نحو من الفصحى ، وطريق منه وإليه ، ولأسلِّم أن بعض تلك القراءات جاءت عن طريق الشواذ ، ولكن الشاذ شى ، والضرورة شىء آخر ، وكان ابن جنى على حق عندما فسّر مصطلح الشذوذ فى القراءات القرآنية بأنه « مع خروجه عن قراءة القراء السبعة – نازع بالثقة إلى قرائه ، محفوف بالروايات من أمامه ، وورائه ، ولعله أو كثير منه مساوٍ فى الفصاحة للمجتمع عليه ، نعم . وربما كان فيه ما تلطف صنعته ، وتعنُف بغيره فصاحته ، وتمطوه قوى أسبابه ، وترسو به قدم إعرابه . . . . كما يرى ابن جنى أن هذا الشاذ تنْميه الرواية إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والله تعالى يقول : « وما آتاكم الرسول فخذوه » . . . وأنه مما أمر الله تعالى بتقبله ، وأراد منا العمل

---

(١) ١ / ٢١٠ مخطوط ١٣٧ نحو . دار الكتب المصرية . (٢) شرح السيرافى ١ / ٢٢٥ .

(٣) رسالة الغفران ٢٨٩ فما بعدها . تحقيق بنت الشاطىء ط أولى ١٩٥٠ .

بموجبه ، وأنه حبيب إليه ، ومرضىٌّ من القول لديه[1] » .

ويقول السيوطى « أما القرآن فكل ما ورد أنه قرئ به – جاز الاحتجاج به فى العربية سواء كان متواترًا أم آحادا أم شاذا[2] » ، وأمام هذا كان يجب أن يكون القرآن وقراءاته المختلفة مبدأ إصلاح فى العربية ، ولكن النحاة حكّموا نحوهم الذى وضعوه فى القرآن محتمين بسلطانهم حيث يبيحون ويحرمون ، وشعارهم فى ذلك قول واحد منهم :

(فما أبيح افعل ودعْ مالم يبح)[3]

* * *

وإذا كان النحاة يستقبحون الضرورة ؛ لأن فيها خروجا قواعدهم وقوانينهم ؛ فإننا نرى أمثلة رائعة من القرآن المعجز فيها خروج فى غير موضع على قواعد النحاة الشكلية ، فظاهرة التقصير والإضعاف كما عرضناها لم تكن عبثاً ، أو موطن تكلف واعتساف كما يرى النحاة ، ولكن أتى بها قصدا لمطاب كريم من مطالب البلاغة ، وجمال التعبير ، وشرف الغاية[4] ، وكأن النحاة لاتعنيهم إلا القاعدة ، يشتغلون بها ومن أجلها من بعيد أو قريب دون بيان ما ترمى إليه هذه التنوعات والمخالفات من استجابة لحاجة أسلوبية أو نفسية ، يقول ابن جنى : « فهذا ونحوه مما يدلك ويبصّرك أنهم لايتنكبون شيئاً إلى آخر تطرُّباً ولا تبدلا ، لا بل إنعاماً[5] وتأملا » .

والمعروف أن الأصوات تابعة للمعانى ، فمتى قويت قويت ، ومتى ضعفت ضعفت فقول العرب : قطَع وقطّع ، وكسَر وكسّر ، زادوا فى الصوت لزيادة المعنى ، واقتصدوا فيه ، لاقتصادهم فيه .

فإشباع الحركة والحرف أو إضعافهما من أصول العربية ، وأن العربية لم تأخذهما عنوة أو جفوة ، ولكن لفضل معنى ، وقوة وبيان . وإليك تأكيد لما سبق :

(ا) فالمعروف فى العربية أن (لا) تدلّ على نفى البعيد ، و (لن)

---

(١) المحتسب ١ / ٣٢ ، ٣٣ بتصرف . ط المجلس الأعلى .

(٢) الاقتراح ١٤ فما بعدها .

(٣) ألفيه ابن مالك .

(٤) انظر فيما سبق من قوله – سبحانه – « ذلك ما كنا نبغ » .

(٥) المحتسب ٢ / ٢٧٦ ط المجلس الأعلى بتحقيق أستاذنا على النجدى ناصف ومن معه .

لنفى القريب ، وذلك لأن (لا) ممطولة مشبعة ، فكانت لنفى البعيد إذا لألف يمكن أن يمدّ الصوت معه بخلاف صوت النون ، فكأن الدلالة ترتبط بسلوك الصوت أيضاً.

(ب) فى سورة النحل آية ١٢٧ «ولا تك[١] فى ضيق مما يمكرون » وفى سورة النمل آية ٧٠ « ولا تكن » بإثبات النون . حذفت النون فى الأولى تخفيفاً من غير قياس ؛ لما كثر دورها فى الكلام ، وتشبيهاً لها بحروف العلة .

وخصت سورة النحل بالحذف دون سورة النمل موافقة لما قبلها وهو قوله جل شأنه « ولم يك من المشركين » الآية ١٢٠

والثانى : أن هذه الآية نزلت تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حين قتل عمه حمزة ومثّل به فقال صلى الله عليه وسلم : « لأفعلن بهم ولأصنعنّ » فأنزل الله تعالى : « ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ،واصبر وماصبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون[٢] » فبالغ فى الحذف ليكون ذلك مبالغة فى التسلّى ، وجاء فى النمل على القياس ،ولأن الحزن هنا دون الحزن هناك[٣] .

(جـ) وفى قوله تعالى : « مالم تستطع عليه صبراً[٤] » جاء فى الأصل ، وفى قوله تعالى : « تسطع عليه صبراً[٥] » على التخفيف لأنه الفرع .

وفى قوله تعالى : « فما اسْطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقْبا » اختار التخفيف فى الأول ؛ لأن مفعوله حرف وفعل وفاعل ومفعول ؛ فاختار فيه الحذف والثانى :مفعوله اسم واحد ،وهو قوله : « نقبا[٦] ».

فالقرآن – وهو يمثل العربية الفصحى حين نستشرفه فى أفقه الأعلى يصوّر بالإشباع والإضعاف ،أو المطل والانتقاص كيفيات ذوات جوانب مختلفة : أسلوبية كموسيقية اللغة .أو نفسية ترتبط بحركات النفس وانفعالاتها ، أو تشريعية اجتماعية .

(للبحث بقية)

أحمد علم الدين الجندى

---

(١) الأصل : تكون . ثم جزم فصار تكن – ثم حذفت نونه لكثرة الاستعمال فصار : تك ، وهذا الحذف جائز لا واجب ، وكذلك جاء الوجهان فى القرآن « ولم يك من المشركين » النحل ١٢٠ « ولم يكن جبارا عصيا » مريم ١٤ . فلو ولى الكاف ساكن عادت النون كقوله جل ثناؤه : « لم يكن الله ليغفر لهم » النساء ١٣٧

(٢) النحل ١٢٦ ، ١٢٧ .

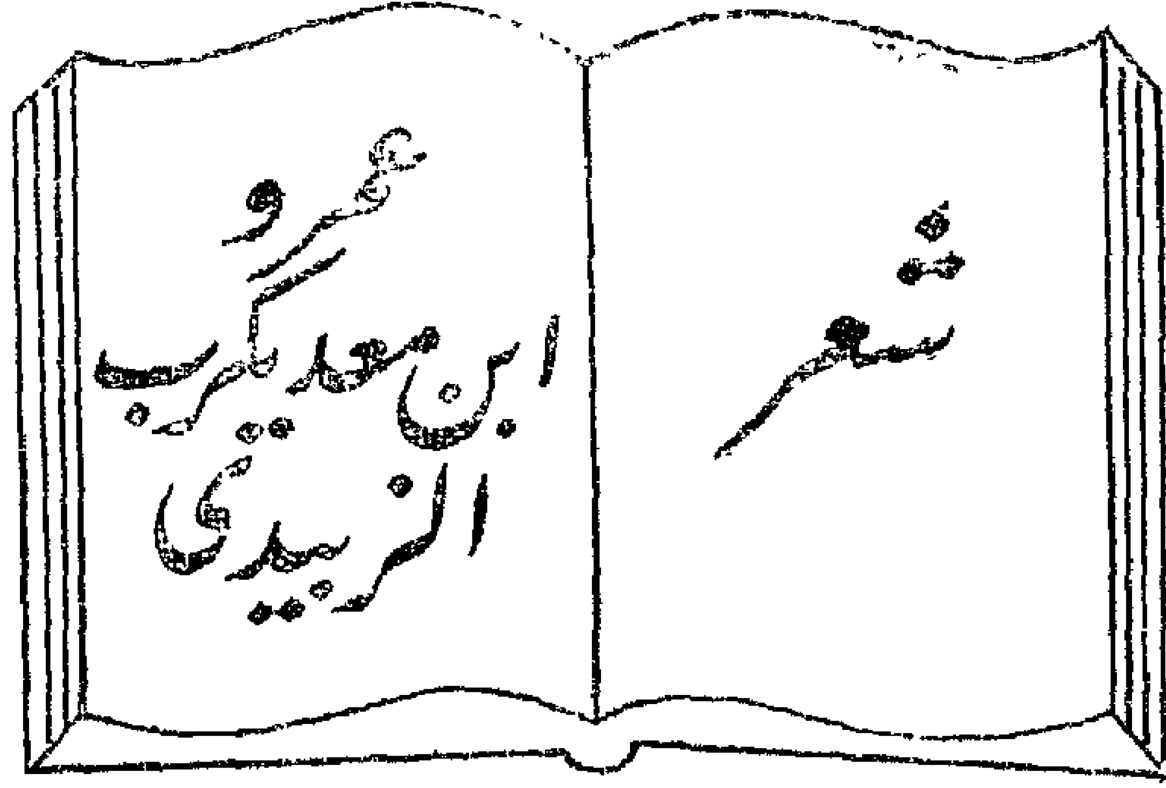
(٣) أسرار التكرار فى القرآن ١١٥ تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى . تحقيق الأستاذ عبدالقادر عطا . ط أولى دار الاعتصام .

(٤) الكهف ٧٨ .

(٥) الكهف ٨٢ .

(٦) البرهان ١٢٣ للكرمانى . تحقيق : الأستاذ عبد القادر عطا . ط أولى .

تعريف ونقد



جمعه وحققه : الأستاذ مطاع الطرابيشي

تعريف ونقد : الأستاذ محمد عبد الغني حسن

صاحب هذا الشعر الذى جمعه المحقق فى ديوان واحد هو الشاعر الفارس عمرو بن معد يكرب الزبيدى صاحب السيف المشهور المعروف بالصمصامة. وهو شاعر عاش فى الجاهلية زمنا ، ثم أسلم حين جاء الإسلام. وهنا اختلاف غير قليل: أهو صحابى شرف بصحبة النبى عليه السلام ، أم هو تابعى أسلم بأرض اليمن حين بلغته الدعوة؟ وتشير أصح الروايات إلى أنه أسلم سنة تسع أو عشر من الهجرة فى وفد من زبيد (بضم الزاى على صيغة التصغير):

وإذا كان إسلام شاعرنا عمرو بن معد يكرب لم يكتب له الحسن والإحسان فى أول أمره ، لما كان من عدم تمسكه بأصول الدين الجديد أولا ، ولما كان من اشتهاره بمعاقرة الخمر . ولما كان أخيرا من أمر ردته ؛ فإنه بعد ذلك رجع إلى الإسلام ، وشارك فى الجهاد وفى فتوح الشام والعراق وأبلى فى وقعة اليرموك بلاء حسنا ، حتى ذهبت عينه فى المعركة ، وذكره ابن حبيب صاحب (المحبر) فى فصل عنوانه:

(من فقئت عينه من الأشراف فى الحرب) وهو فصل يسجل أسماء من ذهبت عيونهم فى خلال المعارك من أمثال أبى سفيان صخر بن حرب الذى ذهبت عينه يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمغيرة بن شعبة الذى ذهبت عينه فى يوم القادسية ، وعدى بن حاتم الطائى الذى فقئت عينه يوم الجمل مع على رضى الله عنه .

وقد لمع اسم عمرو بن معد يكرب قائدا بطلا مظفرا فى الحروب . وكانت شهرته تزكيه عند اختيار الأبطال للقاء العدو : ففى حرب العراق كتب عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة بن الجراح وهو بالشام يحارب الروم أن يمد سعد بن أبى وقاص فى العراق بجيش ، فأمده بألف فارس كان على رأسهم شاعرنا عمرو. فساروا حتى وفدوا على سعد بن أبى وقاص بالقادسية .

ولقد بلغ من فروسية عمرو بن معد يكرب أن قصصا بطولية كثيرة حيكت حول شجاعته وإقدامه نفسه على المكاره ،

وقوة جسده، وعظم بنائه الذى يدخل الرعب فى قلوب من يلاقيه من العدو، حتى لقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا نظر إليه تعجب من ضخامة هيكله، وعظم خلقه قائلا: (الحمد لله الذى خلقنا، وخلق عمرا!).

ولم يكتف شاعرنا بشجاعته وإدارة السيف فى يده، فلقد جمع إلى ذلك الرأى وحسن التدبير، وبهذا جمع بين الحسنيين — وقد حرص الخليفة عمر على أن يفاد دائما من رأى الشاعر عمرو وحسن مشورته، فكتب كما جاء فى الأغانى والأصابة والعقد الفريد إلى سعد بن أبى وقاص — أو النعمان ابن مقرن — يأمره أن يصدر فى الحرب عن مشورة عمرو: (فإن كل صانع هو أعلم بصناعته).

وتأبى البطولة النادرة إلا أن تلازم شاعرنا منذ شبابه الباكر، فلم تفارقه لحظة فى جاهلية أو إسلام. وكثيرا ما شارك فى حروب قبيلته: زبيد مع غيرها فى الجاهلية، حتى أحال هزائمها إلى نصر مؤزر، وبهذ استحق أن يطلق عليه بحق لقب: فارس زبيد. وقد هيأله طول ممارسة الحروب أن يكون له أكثر من حصان، وأكثر من سيف، فمن خيله المشهورة: البعيث، والعطاف، والكاملة، واليعسوب. ومن أسيافه المعروفة: ذو النون، والقازم والصمصامة.

وما اشتهر سيف من سيوف العرب فى الجاهلية والإسلام مثلما اشتهرت الصمصامة سيف عمرو، ولقد أدير اسم الصمصامة فى مجالات ضرب الأمثال، والتمثل فى الشعر، والمقارنة بين وقع السيوف. وطبعى أن يكتب لسيف مثل هذا لقائد مثل عمرو أن تحاك حوله القصص، وتدار حوله الأحاديث، وأن يذهب بهما إلى أبعد مواطن الخيال. فقالوا فى المعدن الذى صيغ منه إنه كان من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة. ولعل ذلك كان لإضفاء الشرف والقداسة عليه. كما قيل من ناحية أخرى إن حديده من جبل (نُقُم) المطل على مدينة صنعاء كما جاء فى الأكليل للهمذانى، والروض الأنف للسهيلى.

ولو تتبعنا تاريخ الصمصامة وأيلولته إلى الشاعر الزبيدى لوجدنا أنه من بقايا السيوف البرعشية الحميرية، فهو من بقية السيوف فى عهد عاد.. وبهذا لم يكن حديث عهد بعمرو، بل يرتد فى نسبته إلى أبعد التواريخ. ومن المؤرخين المتأثرين بالروايات الأدبية الخيالية من يرجع بالصمصامة إلى عهد بلقيس ملكة سبأ، فقد جاء فى محاضرات الأدباء للراغب الأصفهانى، وسرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة المصرى أن الملكة بلقيس أهدت إلى سليمان عليه السلام خمسة أسياف منها ذو النون والصمصامة. على أن الصمصامة تغيرت

به الحال بعد موت صاحبه الشاعر البطل، فانتقل خلال حروب الردة إلى خالد بن سعيد بن العاص، ولم يزل فى آل سعيد يتناقلونه بالوراثة إلى أن اشتراه خالد القسرى بمال كثير وأنفذه إلى الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك، الذى كان حريصا على حيازته .. ولم يزل فى بنى مروان حتى زال الأمر عنهم .

وحرص العباسيون على اقتناء هذا السيف المتعالم المشهور بما صاحبه من ذكريات وبطولات عزيزة فى الجاهلية والإسلام إلى أن نراه يصير إلى الخليفة هارون الرشيد ثم يصير إلى الخليفة المتوكل حيث قتل به على يد غلامه التركى الذى تنقطع أخباره بعد ذلك عنده .

وما أكثر ما حكيت الأخبار حول الصمصامة، حتى صار وحده مسرحا للبطولات من دون صاحبه الشاعر . إلا ما كان من اقتران اسم عمرو ابن معد يكرب الزبيدى به، فهما متلازمان، ولا يذكر السيف دون صاحبه . ومن أطرف ما رواه محقق الكتاب عما دار فى مجلس الخليفة العباسى موسى الهادى حول الصمصامة ما نقله عن الهيثم بن عدى حيث يقول : لما صار الصمصامة إلى موسى الهادى دعا به فوضع بين يديه فجرد، ثم قال لحاجبه : إيذن للشعراء : فلما دخلوا عليه أمرهم أن يقولوا فيه، فبدرهم أبو الهول الحميرى — وقيل ابن يامين البصرى — بقوله :

حاز صمصامة الزبيدى من بـ ... ـين جميع الأنام موسى الأمين

سيف عمرو، وكان فيما سمعنا ... خير ما أطبقت عليه الجفون

قال : فأمر له ببدرة، وقيل أعطاه السيف ثم اشتراه بعد بخمسين ألف درهم . ولعلها واحدة من حكايات كثيرة نظمت حول هذا السيف المأثور ...

هذا هو عمرو بن معد يكرب الزبيدى صاحب الصمصامة. وصاحب هذا الديوان الذى جمعه الأستاذ مطاع الطرابيشى من مصادر كثيرة متفرقة، وبذل فى سبيل ذلك من الجهد ما لا يقوى عليه إلا ذوو القدرة من أهل التحقيق .

ولو أن ديوان عمرو بن معد يكرب الذى جمع فى أوائل القرن الثالث الهجرى كان باقيا على الزمن كما جمعه جامعه لما احتاج محققه اليوم إلى هذا العناء الذى بذله فيه، فقد كان أقصى ما يعمله أن يقيم نصه، ويضبط لفظه، ويقابل بين روايات النسخ المخطوطة . ولكن ديوان عمرو الذى جمعه (إسحاق بن مرار الشيبانى الكوفى المتوفى سنة ٢٠٦ هـ) مفقود اليوم ولا يوقف له على أثر، على الرغم من أنه كان متداولا بين أيدى الناس حتى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى . ولم يكن هذا الديوان إلا واحدا، ثنى بديوان آخر لاحق للأول صنعه أبو عبد الله بن الأعرابى المتوفى سنة ٢٣١ هـ أى بعد إسحاق ببضعة وعشرين عاما، ثم

جاء أبو سعيد السكرى المتوفى سنة ٢٧٥هـ بعد ذلك فصنع لعمرو بن معد يكرب الزبيدى ديوانا من صنعته هو واختياره . ومن المؤسف أن تضيع هذه الصنعات الثلاثة من ديوان عمرو مع ضرورتها للمؤرخين والنقاد ورجال الأدب . وكأن الأرض انشقت فابتلعت هذا الديوان بصنعاته الثلاثة، أو كأن الزمان اصطلح على أن يطمس آثار ذلك الديوان الذى كان شغل الناس زمانا طويلا .

وعجيب أن يبقى ديوان الزبيدى بأيدى الناس سبعة قرون أو تزيد يشار إليه ، وينقل منه ، ويروى عنه . فالأصبهانى صاحب الأغانى ينقل عنه ، وابن النديم فى الفهرست يشير إليه ، وابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ينقل فى كتابه (الأصابة) شيئا من شعر عمرو عن النسخة التى رواها إسحاق الشيبانى أول رواة ديوان عمرو بن معديكرب وصانعيه . وحاجى خليفة صاحب كشف الظنون المتوفى سنة ١٠٦٨هـ يذكر ديوان عمرو وإن كان لم يذكر لنا اسم صانعه . ولكن الديوان على كل حال كان موجودا حتى عصر صاحب كشف الظنون الذى وصل إليه علمه أو اطلع عليه . أما عبد القادر البغدادى — صاحب خزانة الأدب — المتوفى سنة ١٠٩٣ فقد اعتمد على نسخة من ديوان ابن معد يكرب ونقل منها إلى خزانته . وبعد هذا تنقطع أخبار هذا الديوان لحوالى ٣٠٠ عام فلا نجد من يذكره أو يشير إليه ، أو يصرح بأنه اطلع عليه ، ولانجد له ذكرا فى فهارس المخطوطات فى مكتبات العالم المعروفة ، ولانجد واحدا صوره أو بشرنا بأنه وقف لهذا الديوان على أثر .

وإذا كانت أخبار ديوان عمرو قد انقطعت ، فأن شعر عمرو لا يزال مرددا فى مصادر ومراجع ومظان كثيرة متفرقة . نجده مبعثرا فى كتب اللغة ، والتاريخ والفتوحات والبلدان ، والأدب ، والنحو والقصص ، وغيرها مخطوطة كانت أم مطبوعة . وقد نجد البيت أو البيتين أو أكثر منسوبين إلى عمرو . وقد نجد ذلك منسوبا إلى غيره فى مصدر آخر ، مما يوقع فى الحيرة ، وينتهى إلى البلبلة والاضطراب.

ولعل مثالا واحدا نضربه يصور لنا ذلك الموقف المضطرب لبيت واحد من الأبيات المفردة المنسوبة إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدى فى مصادر ، وإلى غيره من الشعراء فى مصادر آخر . فالبيت الآتى :

قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم
من بين ملجم مهره أو سافع

فقد جاء فى تفسير الكشاف للأمام الزمخشرى منسوبا إلى عمرو (حـ٤ ص٦٢٠) ، كما جاء كذلك فى تفسير أبى حيان (٤٩١/٨) ؛ ولكنه جاء منسوبا إلى الشاعر حميد بن ثور الهلالى فى كتاب المقاصد النحوية للعينى ، وفى شرح شواهد المغنى للأمام السيوطى . ولماجاء الأستاذ المحقق الهندى

المعاصر عبد العزيز الميمني في زماننا هذا ليخرج لنا شعر حميد بن ثور الهلالي بصنعته هو وجمعه . أثبت هذا البيت المفرد نقلا عن العيني والسيوطي . وهنا يبين فضل المحقق مطاع الطرابيشي وجهده العظيم في تخريج هذا البيت الذي وقف فيه العلامة الميمني عند مصدرين اثنين وزاد الأستاذ مطاع الطرابيشي الجهد وضاعفه ، فوصل في تخريج هذا البيت إلى أنه ورد غير منسوب إلى قائل في مراجع كثيرة منها : أساس البلاغة ، وشرح الحماسة للمرزوقي ، وشرح مقصورة ابن دريد للتبريزي ، وتنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات ، ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري ، والأشباه والنظائر للسيوطي ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ، والتهذيب للأزهري ، ولسان العرب ، وتاج العروس للزبيدي (وهي هنا بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة التحتية نسبة إلى مدينة زبيد باليمن) .

ومن الغريب في أمر نسبة هذا البيت أن الإمام السيوطي ذكره في شرح شواهد المغني منسوبا إلى عمرو بن معد يكرب كما سلف القول أولا ، ولكنه في كتابه الآخر : الأشباه والنظائر ، ذكره غير منسوب إلى قائل. أكان ذلك منه لغير معرفة بالقائل ، أم لأنه في نظره معروف غير مجهول كما كان شأنه معه في شرحه لشواهد المغني ؟

وما أكثر ما تحيرنا هذه الأبيات المجهولة النسب والأبيات المختلف في نسبتها إلى قائلها . ولعل ذلك الإهمال والتهاون القديم في الأصل عند الرواة السابقين هو الذي ساقنا إلى هذا المساق في جمهرة عظيمة جدا من الشعر العربي تختلف في نسبتها إلى أصحابها الحقيقيين ، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا يفوتها الحصر ويخطئها الإدراك من كثرة ما تزدحم به ، فالبيتان :

لا تهني بعد إكرامك لي
فشديد عادة منتزعه

لا يكن برقك برقا خلبا
إن خير البرق ما الغيث معه

قد جاءا في كتاب الشعر والشعراء على أنهما لأبي الأسود الدؤلي ج ٢ ص ٧٢٩ مع بيت ثالث يجعلهما ثلاثة . على أنهما جاءا في « تمام المتون » للأديب الشاعر الصلاح الصفدي منسوبين إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، ومن هنا أثبتهما المحقق الفاضل على أنهما لعمرو الزبيدي في القسم الذي جعله خاصا بالشعر الوارد في المصادر المختلفة . . . . ولا أدري من هو أحق بالتوثيق والاطمئنان إليه في نسبة هذا الشعر؟ أهو ابن قتيبة الأديب الثقة المحقق حين ينسبه إلى أبي الأسود الدؤلي؟ أم الصلاح الصفدي وهو متأخر عن ابن قتيبة زمانا ورتبة في الرواية ؟؟

قلت إن عمل الأستاذ الطرابيشي في صنعة ديوان عمرو بن معد يكرب وفي جمعه

وتحقيقه هو عمل لا يقوم به إلا أهل الكفاية والمقدرة فى الجمع والتتبع والتحقيق والمقابلة وإدامة النظر فى المراجع والمصادر على اختلافها . ويكفى مثلا أن نلقى نظرة على القصيدة الثانية المرقومة بالرقم ١٠ فى هذا الديوان والتى مطلعها :

ومرد على جرد شهدت طرادها

قبيل طلوع الشمس أو حين ذرت

وقد بلغت عدة أبياتهـــا أحد عشر بيتا آخرها البيت المشهور الذى جرى مجرى الأمثال — وليت محققنا أشار إلى ذلك ونبه عليه — وهو :

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم

نطقت ، ولكن الرماح أجرت

فقد بذل المحقق فى تخريجها من الجهد والمتابعة والتتبع ما يشهد له بطول الباع ، وطول الصبر والمعاناة ، حيث رجع فى تخريجها إلى الأصمعيات ، وخزانة الأدب ، وشرح شواهد المغنى للبغدادى ، وشرح الحماسة للمرزوقى ، وشرح التبريزى ، والمقاصد النحوية للعينى ، والتذكرة السعدية ، والأشباه والنظائر ، وسرح العيون ، وشرح شواهد المغنى للسيوطى ، ومعجم البكرى ، والتنبيه ، واللآلى فى شرح الأمالى ، والحماسة البصرية ، ونظام الغريب ، وشروح سقط الزند للمعرى ، والتبيان للعكبرى ، والحيوان للجاحظ ، وديوان المعانى لأبى هلال العسكرى ، وشرح القصائد السبع للأنبارى ، ومجمع الأمثال للميدانى ، وحماسة البحترى ، ومعجم الشعراء للمرزبانى ، والمغنى لابن هشام ، والصحاح للجوهرى ، ولسان العرب ، وتاج العروس ، وأصلاح المنطق ، والمخصص لابن سيده ، وشرح المفضليات ، والبيان والتبيين ، وديوان المعانى الكبير ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، وإعجاز القرآن للباقلانى ، والأضداد لابن الأنبارى ، والنقائض ، وعيار الشعر ، وأمالى الشريف المرتضى ، وتحرير التحبير ، ومعجم البلدان ، وشمس العلوم لنشوان بن سعيد الحميرى ، وهكذا يرجع المحقق الفاضل إلى أكثر من أربعين كتابا ليخرج قصيدة واحدة لا تزيد أبياتها على أحدعشر بيتا ، أو ليخرج بيتا واحدا فيها . وناهيك من جهد عظيم ..

وبمناسبة (التذكرة السعدية فى الأشعار العربية) للعبيدى من رجال القرن الثامن الهجرى أقول لماذا رجع محققنا إلى النسخة الخطية مع أنها طبعت فى العراق بتحقيق الأستاذ عبدالله الجبورى سنة ١٩٧٢ بمساعدة المجمع العلمى العراقى؟ لعل المحقق لم تقع له هذه الطبعة فندله عليها ليضيفها إلى مكتبته!

إن هذه المعاناة فى التحقيق والتخريج قد اقتضت الأستاذ مطاع الطرابيشى أن يرجع فى تحقيق ديوان عمرو بن معد يكرب إلى مصادر كثيرة قاربت عدتها مائتى كتاب مابين مخطوط ومطبوع ، أوهى على التحديد

ـ كما دونها صاحبنا ـ ثمان وتسعون ومائة مصدر، فهى تقل عن المائتين كتابين . . . وهو عدد لايستهان به ، وخاصة أن المحقق لم يذكرها فى ثبت بآخر الكتاب للتكاثر والمباهاة والتزيد. وإنما ذكرها لأنه رجع إلى كل واحد منها ووقف عنده وأطال الوقوف .

ويبدو أن المحقق قد حذف من ثبت المصادر ما رأى السكوت عن ذكره ، أو ما أنسته العجلة أن يذكره ؛ ولاأدرى إن كان يملك هذا أم لاحق له فيه مادام قد استعان بهذه المصادر التى حذفها؟ ولاأدرى لم فعل ذلك ؟ فقد سقط من ثبت مصادره للتحقيق أمثال هذه الكتب : الدرر اللوامع ، وقد أفاد منه فى ص ١٨٥ ، ومختار الشعر الجاهلى ، وهمع الهوامع للسيوطى وقد أفاد منه فى ص ٢٣٥ ، والمجانى الحديثة ، وقد أفاد منه فى ص ٢١١ ، والبصائر والذخائر لأبى حيان التوحيدى ، وقد رجع إليه فى ص٢١٥ ، والهفوات النادرة وقد أفاد منه فى ص٢١٦ ، وفحولة الشعراء وقد أفاد منه فى ص ٢٢٥ ، وريحانة الألبا للشهاب الخفاجى ، وقد أفاد منه فى ص ٢٢٥ أيضا ؟ الحق أننا لانحاسبه على كتاب أو مصدر أسقطه من ثبت مراجعه على حين أنه رجع إليه وأفاد منه ، ولكننا كنا نرجوه أن لايكون ضنينا بذكر مصادره كلها فى ثبتها الأخير .

لقد أعاد محققنا الفاضل الأستاذ مطاع الطرابيشى ديوان شاعر الصمصامة عمرو ابن معد يكرب إلى المكتبة العربية بعد ضياع امتد زمنه إلى ثلاثة قرون . وإذا لم يكن أعاده على صنعة واحد من الثلاثة الذين صنعوه فى القرن الثالث الهجرى وهم : الشيبانى وابن الأعرابى والسكرى ، لفقدان هذا الديوان بصنعتهم ، فإنه بلا شك قد أعاده إلى المكتبة العربية مشرق الوجه ، مكتمل المتابعة ، دقيق التحقيق ، مستقيم الرواية والنص ، واضح الشرح بفضل مجمع اللغة العربية بدمشق الذى تستحق جهوده فى نشر التراث العربى أن يشار إليها دائما فى كل معرض للقول ...

محمد عبد الغنى حسن

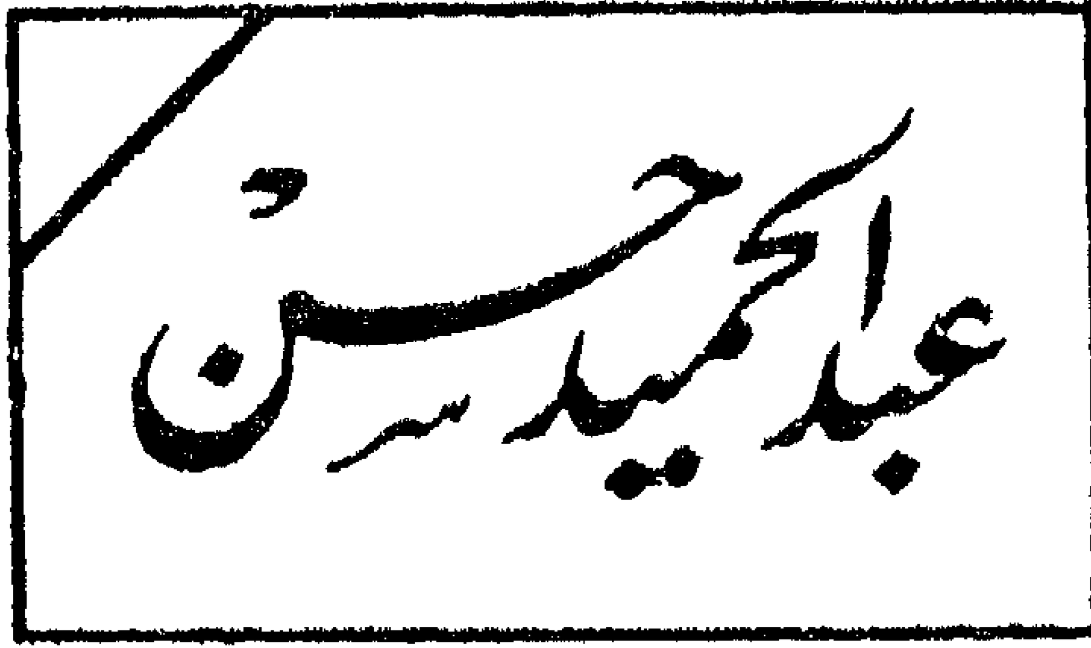
شخصيات مجمعية

في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٢٨ من صفر سنة ١٣٩٧ هـ الموافق ١٦ من فبراير ١٩٧٧ م أقام المجمع بداره حفل تأبين المرحوم الأستاذ عبد الحميد حسن أمين المجمع الراحل .

وفيما يلي ما ألقى في الحفل من كلمات :

كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

في تأبين المرحوم الأستاذ :



نلتقي اليوم لنقضي لحظات مع لغوي قدير وأستاذ جليل هو المرحوم عبد الحميد حسن. وترجع صلتي بالفقيد العزيز إلى نحو نصف قرن أو يزيد ، عرفته لأول مرة أستاذاً بدار العلوم ، ولقيته ثانية بهذه الدار زميلا كريماً وصديقاً عزيزاً ، وقدر لي أن أستقبله بين عشرة من كرام الخالدين ، ومما قلته فيه أنه كان يضرب خير مثال بتلاميذه في الترتيب الدقيق والعمل المحكم ، والنشاط المتواصل وعشت معه ست عشرة سنة أو يزيد في هذه الدار ، وها أنذا أودعه اليوم. وتلك المصاحبة الطويلة كشفت لي عن كثير من الخصال الفاضلة في فقيدنا الكريم ، وأخص هذه الخصال السماحة والعطاء ؛ لقد كان رحمه الله سمحاً في قوله وعمله ، سمحاً في لقائه وحديثه ، سمحاً في أخذه ورده ، سمحاً في نقده وملاحظته ، أما عطاؤه فقد كان غزيراً يلبي كل مطلب ، ويحقق كل رجاء ، وماقال يوماً قط وأشهد أنه لم يبخل على مجمعنا بشيء ، أعطى ما استطاع إلى العطاء سبيلا وقلّ من منح هذا المجمع ما منحه في تلك المدة التي قضاها بيننا . تغمده الله برحمته وجزاه عن أمته ووطنه خير الجزاء . وسيلقى كلمة المجمع فيه الزميل الكريم الدكتور أحمد محمد الحوفي :

كلمة الدكتور أحمد الحوفى :

دمعة وفاء

أيها السادة والسيدات :

من مفارقات الحياة والموت أن بعض الذين يموتون فى شبابهم يبكون بكاء حاراً ، لأنهم لم يرافقوا الحياة طويلا ، ولم ينعموا بخيراتها كثيراً ، وأن بعض الذين يختارون فى شيخوختهم يبكون أيضاً بكاء مراً ، لأن أواصرهم بالحياة تشعبت ، ولأن صلاتهم بالأحياء توطدت ، فصار فقدهم مشعراً بفراغ لا يملؤه غيرهم ، وقاطعاً لصلات لا يعوضها سواهم .

وهذا هو الشعور الذى ملأ نفوسنا جميعاً بعد موت أستاذنا الكبير المغفور له عبد الحميد حسن .

كنا حراصاً عليه أن نودعه
لا يسأم الناس أهل العلم ما عمروا
هم أنجم الله فى الدنيا إذا طلعوا
وحجة الله فى الأخرى إذا نشروا
هم زينة الناس هم نور الوجود هم
روح الحياة ، هم ريحانها العطر
وإنما هذه الأيام مزرعة
الناس غرس لها والعالم الثمر [1]

فقد قضى عمره المبارك فى تربية الآلاف من الطلاب وتعليمهم فى معاهد شتى : فكان ملء قلوب طلابه ، وملء أنظارهم ، وملء أسماعهم ، كان عليما بما يدرس ، محيطاً بما يتصل بالمادة التى يدرسها من قريب ومن بعيد ، وكان جيد التعبير عما بنفسه ، قريب الأفكار ، واضح الأسلوب .

وكان هادئ الصوت ، واسع الصدر ، حلو المجلس ، لا يعنف على سائل ، ولا يسخر من مناقش ، ولا يهزأ بمعارض ، ولا يتعالى على مستفيد .

وكان مثلا رفيعاً فى دماثة الأخلاق ، وعفة اللسان ، والحياء والوفاء والحلم .

عاش لم يغتب الرجال ولم يجعل
شؤون النفوس قالا وقيلا
لست أنساك قابعاً بين درجيـ
ـك مكباً عليهما مشغولا

(١) من رثاء محمد عبد المطلب للشيخ سليم شيخ الأزهر . الديوان .

قد تواريت فى الخشوع فخالـــو
لك ضئيلا وما خلقت ضئيلا[1]

لهذا لم يسئ فى حياته إلى أحد ،
ولم يقدم على فعل قال بعده : ليتنى مافعلته ،
ولم يترك عملا قال بعده : ليتنى ما تركته ،
فعاش عمره الطويل وليس له شانئ أو خصيم.
وقد كنت فى كل المناصب سيداً
تزينك فى الدنيا خلائق أربـع
فحزم كما ترضى النهى وتواضع
وعزم كما ترضى العلا ، وترفع
حريص على ود الصديق كانما
مودته العهد الذى لا يضيع[٥]

درّس علم النفس فأجاد ، وعلم التربية النظرية والعملية فأفاد ، وحاضر فى الأدب فأبدع ، ومرن على النقد الأدبى فجدد ، وألف فى كل من هذه المناحى كتاباً أو كتب بحثا فأرضى وأعجب .

ولم يكن يبتغى من وراء هذه المؤلفات والبحوث مجداً أو غنما ، لأنه نظر إليها على أنها جزء من واجبه لا مناص من أن ينهض به فى صمت وعلى استحياء .

أيها السادة
لقد شرفت بالتلمذة على الفقيد فى معهد الدراسات العالى ، الذى أنشأته وزارة المعارف بضع سنوات .

ثم شرفت بزمالته فى كلية دار العلوم ، وبزمالته هنا فى مجمع اللغة العربية ، فاسترعى نظرى حرصه الشديد على المواعيد ، فقد كان يدخل المدرج فى الوقت المحدد لبدء المحاضرة ، ولا يخرج إلا بعد انتهائه ، وكان هنا فى المجمع يحضر قبيل انعقاد اللجان ، ولست أتذكر أنه تخلف مرة عن موعد افتتاح لجنة أو خرج قبل نهاية زمنها المقرر .

أيها السادة : إن من حق الأستاذ الكبير عبد الحميد حسن على أن أناجيه ببضع كلمات
.
أستاذى الكبير :
لقد كنت وما زلت أعتز بإشرافك على رسالتى الماجستير بداية ونهاية ، وأعتز بإشرافك عـــلى رسالتى للدكتـوراه بداية ومرحلة بعد البداية ، إذ آثرت أنت أن تتخلى مراعاة لما تمليه ملابسات التقاعد . وكان من توفيق الله سبحانه وتعالى لى ، ومن يمن إشرافك ، أن تكون كل من

---

(١) من رثاء شوقى لأمين الرافعى ٣ / ١٤٦ .
(٢) من رثاء على الجارم لمحمد أمين لطفى ٣ / ١٤٣ .

الرسالتين باكورة فى حديقة الرسائل الجامعية بكلية دار العلوم، بعد أن ضمت إلى جامعة القاهرة ، ثم تلاحقت بعدهما الثمرات تباعاً . وأشهد أننى لقيت منك فى إشرافك ما يأمله الطالب المجتهد فى أستاذه العالم الحدب من رعاية أبوية ، ومن تشجيع رشيد ، وتوجيه سديد ، وحفاوة بالرأى الحر وبالفكر الجديد . ثم شاء حظى السعيد أن نتزامل هنا فى مجمع اللغة العربية ، وأن نشترك فى بعض لجانه ، فكنت تهش لمناقشتى أية كلمة ، أو تدليلى على أية فكرة ، حتى إن كان لك رأى آخر .

يا أستاذى الكبير ، لقد وردت الحوض الذى لا بد أن يرده كل حى قصر عمره أو طال ، ولكنك وردته مع الأطهار ؛

أستاذى الكبير ، لقد رقدت فى الثرى كما رقد الناس منذ آدم ، ولكنك رقدت فى زمرة الأخيار .

أستاذى الكبير ، لقد ودعت هذه الحياة الدنيا ، لتحيا روحك الطيبة فى ملكوت الطيبين والأبرار، فهنيئاً لك مانلت من رضوان الله ، وعظيم ثوابه ، وعزاء لأسرتك ولأبنائك الطلاب ولإخوانك وأصدقائك، ولمجمع اللغة العربية وللهيئات والمجامع العلمية والأدبية التى كانت تستهدى بنورك، وتغتذى بجهودك.

موجز حياته :

ولد – رحمه الله – بالقاهرة فى ٢٠ من أبريل سنة ١٨٨٩[1]، وتعلم بمدارسها وبالأزهر ، ثم التحق بدار العلوم سنة ١٩٠٦ م ، وتخرج فيها سنة ١٩١١ حيث كانت تجرى على نظام السنوات الخمس .

وبعد تخرجه أوفدته وزارة المعارف فى بعثة إلى كلية (إكسترا) بإنجلتره ، فقضى بها ثلاث سنوات ، درس فيها التربية وعلم النفس والأخلاق وتدبير الصحة والأدب الإنجليزى ، وحصل على دبلوم من وزارة المعارف البريطانية .

ثم عاد إلى مصر سنة ١٩١٤ ، فدرس بالمدرسة التوفيقية الثانوية ، إلى ان نقل إلى كلية دار العلوم سنة ١٩٢١ لتدريس التربية والأخلاق واللغة العربية ، ومكث بها إلى سنة ١٩٢٧ حيث نقل مفتشاً للغة العربية .

وفى سنة ١٩٢٩ عين أستاذاً بمدرسة المعلمين العليا لتدريس التربية، فقام بتدريسها فى المعلمين العليا، وفى معهد التربية الذى أنشئ تابعاً لها فى ذلك الوقت .

ثم عاد إلى دار العلوم سنة ١٩٣٩ م لتدريس الأدب العربى ، وبقى بها إلى أن بلغ سن التقاعد سنة ١٩٤٩م وهو وكيل للكلية .

---

(١) المجمعيون . الدكتور محمد مهدى علام وورقة بخط الأستاذ عبد الحميد نفسه .

وبعد هذا اختير عضواً فى مجمع اللغة العربية فى أبريل سنة ١٩٦١ م .

وندب فى خلال ذلك لتدريس التربية وتدبير الصحة بقسم التخصص بالأزهر .

وندب للتدريس بكلية الآداب بجامعة عين شمس منذ إنشائها ، فقام بتدريس اللغويات (النحو والصرف) والدراسات الإسلامية ، وما زال يعمل بها إلى قبيل وفاته ، إذ اضطرته حالته الصحية إلى أن يعتذر ابتداء من أكتوبر سنة ١٩٧٦ ، فأرسل إليه عميد الكلية هذه الرسالة .

السيد الأستاذ عبد الحميد حسن

تحية طيبة وبعد

فأرجو التفضل بالإحاطة بأنه قد عرض على مجلس الكلية بجلسته فى ٢٦ - ٨ - ١٩٧٦ كتاب سيادتكم الخاص بالاعتذار عن عدم مواصلة التدريس بقسم اللغة العربية وآدابها لحاجتكم إلى الراحة بعد عشرين عاماً من المساهمة المشكورة فى النهوض بالدراسات اللغوية بالقسم .

ومجلس الكلية يشارك مجلس قسم اللغة العربية وآدابها أسفه لحرمان طلبة الدراسات العربية من جهودكم العلمية ، ويتمنى لسيادتكم دوام الصحة والعافية .

وتفضلوا بقبول صادق تحياتى ؟

عميد الكلية

كذلك درس الأستاذ عبد الحميد حسن فى معهد الدراسات العربية العالى . وكان إلى هذا عضواً فى مجمع البحوث الإسلامية ، ومقرراً للجنة إحياء التراث الإسلامى بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، وعضواً بلجنة النثر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية منذ إنشائها إلى قبيل رحيله.

وقد رثاه الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام فى أول جلسة للجنة عقب وفاته فقال :

« يحزننى أن أنعى إلى اللجنة الموقرة زميلا عزيزاً كريماً علينا جميعاً ، هو المرحوم الأستاذ عبد الحميد حسن الذى عاشر هذه اللجنة عضواً فيها منذ تأليفها ، ولم يتخلف عن عمله فيها وحضوره بها جلسة واحدة فى أكثر من عشرين عاماً ، ولم ينقطع إلا فى مرضه الأخير ، فإلى رحمة الله عالم ، وأديب ضليع ، ومرب فاضل ، ومواطن مخلص من أصدق من خدم أمته ولغته » .

انتاجه :

للفقيد مؤلفات فى الأدب والتربية وطرق التدريس ، منها :

١ — الأصول الفنية للأدب .

٢ — القواعد النحوية : مادتها وطريقتها .

٣ — صفحات من الأدب المصرى من العصر الفاطمى إلى عصر النهضة الحديثة .

وله مؤلفات بالاشتراك ، منها :

١ — نثر حفنى ناصف بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام .

٢ ــ مختارات من كتب رفاعة رافع الطهطاوى ، بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام وآخرين .

وله بحوث قدمها إلى مجمع اللغة العربية وألقاها فى المؤتمرات ، هى :

١ ــ المرونة فى اللغة العربية منشؤهاوأثرها فى التيسير والتجديد د - ٢٩ حـ ٤ - للمؤتمر البحوث والمحاضرات ١٢٧ :

٢ ــ الترخيص والتوسع فى بعض القواعد النحوية .

د - ٣١ حـ ٤ للمؤتمر البحوث والمحاضرات ٥٩

٣ ــ المركب المزجى .

د - ٣١ جـ ٨ لمؤتمر البحوث والمحاضرات ٢٠٥

٤ ــ المذهب الكوفى فى النحو واللغة وأثره فى التطور والتيسير .

د ــ ٣٢ حـ ــ ٤ لمؤتمر بغداد .

٥ ــ كلمة فى استقبـال الشيخ عطية الصوالحى .

د ــ ٣٢ حـ ــ ٢٢ للمجلس .

٦ ــ الخصائص الصوتية للحروف الهجائية

د ــ ٣٢ حـ ــ لمؤتمر القاهرة .

٧ ــ جولة فى درة الغواص . مؤتمر ٣٥

٨ ــ كلمة فى استقبال الأستاذ شوقى أمين والدكتور عز الدين عبد الله والدكتور عثمان أمين دورة ٣٩

وله بحوث دينية قدمها إلى مجمع البحوث (الإسلامية) هى :

١ ــ التربية الخلقية والاجتماعية فى السنة النبوية .

٢ ــ مكانة بيت المقدس فى الإسلام .

٣ ــ روح الإسلام أقوى دعامة لإصلاح المجتمع :

تعريف بكتبه الخاصة

١ ــ الأصول الفنية للأدب

كتاب مطبوع فى ٢٠٣ صفحة الطبعة الأولى سنة ١٩٤٩ تناول التعريف بالأدب ومواطن جماله ، والجمال وأثره فى الحياة ، وهل الجمال ذاتى أو موضوعى ، والجمال الموسيقى ، والجمال اللغوى واللفظ والمعنى :

ثم درس العاطفة وحقيقتها ، والوجدان وأقسامه ، وصلة العاطفة بالأدب ، ودرس الخيال ، وطريقة عمله ، ومنابعه ، وسموه وانحطاطه وأقسامه ، ومكانته فى الأدب ، وبعد هذا عرض لعلم البيان ، ثم عرض للمذهب الواقعى والمذهب المثالى والمذهب الخيالى والمذهب الاتباعى والمذهب الابتدائى ؛ ثم عرض للعقل الباطن وللأحلام وللايحاء فى الفن والأدب ، ولشياطين الشعراء .

ثم تكلم عن الرمزية وصلتها بالعقل والتفكير وبالشعور الدينى ، وعن صلتها بالمجتمع ، وارتباطها باللغة والأدب ، وعرض للكتابة والتعريض والتلويح والرمز والايحاء . ثم تحدث عن الأسلوب الأدبى والعلمى ، وعن

الطبع والصنعة فى الأسلوب، وعن التقليد فى الألفاظ وفى المعانى .

وقد رجع الى عدة مراجع عربية والى تسعه وعشرين مرجعا إنجليزيا .

والحق أن بعض مباحث هـذا الكتاب كانت رائدة فى مجال الدراسات الأدبية والنقد الأدبى ، وبخاصة ما يتصل بالعاطفة والوجدان والخيال والرمز .

٢ ـ صفحات من الأدب المصرى من العصر الفاطمى الى النهضة الحديثة.

كتاب مطبوع فى ٢٢٣ صفحة الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠ تناول الحديث عن الدولة الفاطمية ، وعن التشيع ، وعن حضارة الفاطميين فى مصر والحياة الثقافية والعلمية فى عصرهم ، ثم تحدث عن الأدب فى عهدهم شعرا ونثرا ، وألم بمشهورى الشعراء والكتاب.

ثم تكلم عن الدولة الأيوبية وعن الحياة الثقافية فى عصرها ، وعن الأدب شعرا ونثرا وعن مشهورى الشعراء والكتاب :

وبعد هذا انتقل الى عصر المماليك ، وتكلم عن التأليف وعن الشعر والنثر .

ثم عرض للعصر العثمانى وللحركة العلمية والتأليفية فيه :

وختم الكتاب بعصر النهضة الحديثة ، فتحدث عن عوامل ازدهار الثقافة فيه ، وترجم فى شىء من التفصيل للبارودى ولعبد الله فكرى

٢ ـ القواعد النحوية مادتها وطريقتها

كتاب مطبوع فى ٢٨٦ صفحة الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ يشتمل على الموضوعات الآتية :

١ ـ اللغة ، والقواعد النحوية ومباحثها ، وهى موضوعات تطابقية وموضوعات لغوية أو صرفية ، وموضوعات إعرابية وأدوات عاملة الخ الخ .

٢ ـ طريقة التدريس ، وتكوين الجمل ، والاختلافات النحوية ، ومنهج مقترح للنحو ، وجمع اللغة وتدوينها الخ .

٣ ـ نشأة النحو ، وطبقات النحاة ، ووجوه الخلاف بين البصريين والكوفيين ، وبعض مناظرات النحاة ومجالسهم ، والنحو فى بغداد ونحاتها فى الاندلس ونحاتها ، والنحو فى مصر والشام .

٤ ـ اللهجات العربية ومظاهر اختلافها فى النحو واللغة .

٥ ـ القراءات وصلتها بلهجات العرب وبالقواعد النحوية .

٦ ـ المرونة المعنوية فى اللغة العربية متجلية فى التضمين والتغليب والتقارض ، والمرونة اللفظية متجلية فى التجانس .

٧ ـ أدلة النحو ، وبعض المؤلفات النحوية الكبيرة ، وهى كتاب سيبويه والمفصل للزمخشرى، وكتب ابن الحاجب، وكتب ابن مالك، وكتب ابن هشام، وكتب السيوطى .

٤ ـ تعريف بكتبه المشتركة

اشترك الأستاذ عبد الحميد حسن فى تأليف بعض الكتب ، منها :

١ ـ نثر حفنى ناصف ، كتاب مطبوع فى ١٩٤ صفحة سنة ١٩٥٩ بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام . يشتمل هذا الكتاب على تصدير بقلم الأستاذين ، وعلى تعريف بحياة حفنى ناصف بقلم ولده الأستاذ مجد الدين ، ثم على خمس وثلاثين رسالة ، وعلى تقريرين ، وعلى اثنتى عشرة مقالة ، وعلى سبع عشرة خطبة ، وعلى ثمانية تقاريظ ، وعلى عشرين فكاهة .

٢ ـ مختارات من كتب رفاعة رافع الطهطاوى . كتاب مطبوع فى ٢٢٨ صفحة سنة ١٩٥٨ بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام وآخرين . يحتوى هـذا الكتاب على مقدمة بقلم الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام ، ثم على المختارات وبيان بكتب الطهطاوى التى اختيرت منها هـذه الفقرات ، وهى كتاب مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية ، وكتاب المرشد الأمين للبنات والبنين ، وكتاب نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز ، وكتـاب قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر ، وكتاب مواقع الأفلاك فى وقائع تليماك . . ثم يحتوى على مختارات أخرى من مقالات الطهطاوى وخطبه وشعره .

٥ ـ تعريف ببعض بحوثه

انه ليسترعى الانتباه أن بحوث الأستاذ عبد الحميد حسن كلها توحى بحرصه الشديد على اللغة العربيـة الفصحى ، وتؤكد شغفه بتطويرها متنا ونحوا فى نطاق لا يعدوها ولا يعتدى عليها ، ولا يسمح للعامية بان تتسرب إلى حماها . وإليكم فكرة عاجلة عن كل بحث :

١ ـ المرونة فى اللغة العربية

بحث فى تسع صفحات قدمه الى مؤتمر الدورة التاسعة والعشرين للمجمع اللغوى سنة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ عرض فيه مرونة اللغة العربية من الوجهة اللفظية منذ العصر الجاهلى ، مستدلا بمـا فيها من ادغام واعلال وابدال وامالة وامتزاج الحروف المتماثلة أو المتقاربة ، وبمـا فيها من نحت وتقريب بين الحركات .

كما عرض لمرونتها المعنوية متجلية فى التضمين والقلب ونيابة حروف الجر بعضها عن بعض ومتجلية فى المجاز والاستعارة وغيرهما .

ثم بين أن هـذه المرونة اتسعت حينما تفاعلت لهجات القبائل العربية وتمازجت .

وتحدث عـن مـرونة اللغة العربية بعد الإسلام ، وبين أن القرآن الكريم زاد اللغة العربية طواعية وسعة وثراء ، ثم بين حالة المرونة فى مرحلة التعليل والقياس والاستنباط والتسجيل ، وتحدث عن انقسام الباحثين الى بصريين يتشددون فى القيـاس وكوفيين

يكتفون بالشاهد الواحد ، ويستنبطون منه القاعدة ، ويقيسون عليهما . وتكلم عن ظهور المذهب البغدادى وترجيحه مذهب البصريين تارة ومذهب الكوفيين تارة ، وبهذا صارت المذاهب ثلاثة ، ثم ظهر المذهب الرابع بالأندلس . وانتقل من هذا العرض إلى إمكان انتفاعنا بهذه المذاهب فى تيسير اللغة وتجديدها ، وقال إن باب القياس مازال مفتوحاً ، وإن طريق الاجتهاد لما يوصد .

ثم مثّل لبعض الآراء التى تيسر علينا التجديد ، مثل :

١ – قول أبى حيان : كل ما كان لغة لقبيلة صح القياس عليه :

٢ – قول ابن جنى : الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب ، وبعد هذا وضح أن الشهاب الخفاجى فى شرحه درة الغواص للحريرى صحح كثيراً مما خطأه الحريرى ، وأن الأستاذ الشيخ محمد على النجار عضو مجمع اللغة العربية رد على كثير مما خطأه الكسائى فى كتابه (ما تلحن فيه العامة)،وعلى كثير مما خطأه ابن السكيت فى كتابه (إصلاح المنطق)،ثم اقترح على المجمع أن ينظر فى عدة مسائل ، مثل :

(١) جمع فعل بفتح الفاء وسكون العين على أفعال ، فقد وردت منه أمثلة كثيرة تجيز أن يكون قياسياً .

(٢) صيغ الزوائد مثل : انفعل وافتعل وتفعل وفاعل وتفاعل ، لأن كتب الصرف تذكر أن لكل منها معانى متعددة ، وتذكر ما يجىء منها للمطاوعة والمشاركة . . . . . . ومعنى هذا أنهم وضعوا ضوابط جزئية تتحكم فى الكلمات المتنوعة ، ثم قالوا إن زيادات الأفعال طريقها السماع ، ولعلنا اذا قسنا هذه الصيغ بالمعيار العام للغة نجد سنداً يجيز لنا التوسع فى معانى هذه الصيغ .

(٣) التوسع فى استعمال كلمة (بينما) فنجيز مثل هذا التعبير : لا نقف جامدين بينما العالم يسير الـخ

وأنهى البحث بان لغتنا العربية فى حاجة إلى توسع يضيف إليها ما ليس فى معاجمنا القديمة وفى حاجة الى نظرة جديدة فى قواعد الاشتقاق وفى أصول القياس .

(٤) الترخص والتوسع فى بعض القواعد النحوية بحث فى عشر صفحات قدمه الى المجمع فى مؤتمر الدورة الحادية والثلاثين ١٩٦٤ – ١٩٦٥

تتبع فى هذا البحث ثلاث مسائل نحوية ، بين اختلاف النحاة القدماء فيها ، واستنبط من خلافهم ترخصا وتوسعاً ، وقدم للبحث بجملة لا يقولها إلا عالم متواضع مقدر للعلم هى : « إنى أعرضها للبحث والنقد ، فإن حازت قبولا فقد تفتحت بذلك سبل الهداية ، وإن وجه إليها النقد فقد أفدت من ذلك إرشاداً وتوجيهاً » .

١ ــ أما المسألة الأولى فهى أفعل التفضيل المقرون بأل ، فقد قال النحاة إنه يمتنع أن يجىء معه من الجارة للمفضل عليه .

ورأى الأستاذ عبد الحميد حسن أن اجتماع ال مع من الجارة للمفضل عليه ليس لغوا كما قال النحاة ، بل إن اجتماعها تقوية وتوكيد ، وضرب مثالا على هذا أننا إذا وصفنا طالبا بالبراعة ثم وصفنا بأنه أبرع من الأول ، ثم قلنا إن الثالث أبرع من الاثنين ، ثم أردنا أن نفضل طالباً رابعاً على الثلاثة ، ونجمع بين أسلوب التفضيل وأسلوب القصر فاننا نقول : إن هذا الطالب الرابع هو الأفضل من الجميع ، أى من هؤلاء الطلبة الثلاثة ، لا أنه هو أفضل الجميع وكفى ، واستدل ببيت الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حصى
وإنما العزة للكاثر

وقال إن النحاة لما لم يجدوه مطابقاً لقواعدهم لجأوا إلى التأويل ، فخرجوا عما أراده الشاعر .

٢ ــ وأما المسألة الثانية فهى ما لا تلحقه التاء فى المؤنث

٣ ــ وأما المسألة الثالثة فهى الثلاثى الساكن العين المفتوح الفاء ، حين يجمع جمع مؤنث سالماً ، مثل سجدة وسجدات .

٢ ــ المركب المزجى

بحث مقدم إلى المجمع اللغوى فى صفحتين ، فى الدورة الحادية والثلاثين سنة ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥

عرض لتعريف النحاة والصرفيين ، ورأيهم فى إعرابه وبنائه .

وقال إنهم لم يعرضوا له من جهة صوغه ، ولم يحاولوا إخضاعه لقاعدة شاملة . ثم بنى على هذا أننا نستطيع أن نحذو حذواً ــ للغويين فى المركب المزجى ، فنجعل المزج بين كلمتين أو أكثر قاعدة تحذو حذوها فى أسماء البلاد والعقاقير الطبية ، ومصطلحات الطبيعة والكيمياء ، فنقول مثلا : ما ورد ، ما زهر ، سنامكى .

٣ ــ الخصائص الصوتية للحروف الهجائية وأثرها فى رنين الكلمات

بحث فى عشر صفحات مقدم للمجمع فى دورته الثانية والثلاثين ١٩٦٥ ــ ١٩٦٦ .

عرض للخصائص الصوتية التى للحروف الهجائية من ثلاث نواح :

الأولى رنين الكلمات وجرسها ، والثانية أبنيتها ، والثالثة معانيها :

١ ــ أما رنين الكلمات فقد رجعه إلى عاملين : هما مخارج الحروف وصفاتها ، وقال إن علماء التجويد قد عنوا قديما بمخارج الحروف ، وكذلك فعل علماء الأصوات حديثا ، وذهب إلى أن صفات الحروف متنوعة تنوعاً موسيقياً ، ومن هذه الصفات خمس قوية تقابل كلا منها صفة ضعيفة : وانتهى إلى أن صفات الحروف المكونة ــ للكلمة هى المصدر لرنينها العام ولسهولة النطق بها ووعورته ، ولهذا أهمل العرب قديما كلمات استثقلوها . على أن بعض القبائل شذت فكانت العنعنة والكشكشة ونحوهما .

ثم قال إن القرآن الكريم هذب اللغة وصفاها من الكلمات الخشنة :

٢ ـ وأما أبنية الكلمات فان أثر الخصائص العربية يتجلى فيها إذا ما عرفنا أن لبناء الكلمة أربعة عناصر ، هى عدد حروفها ، وشكل كل حرف ، وإحلاله فى محله ، وأصل زيادته.

٣ ـ وأما أثر هـــذه الخصائص فى معانى الكلمات فقد استأنس فيه برأى إبن جنى وابن فارس :

٤ ـ النسب إلى فعيلة وإلى فعيلة

بحث فى ثلاث صفحات قدم إلى المجمع اللغوى فى دورته الخامسة والثلاثين ١٩٦٨ — ١٩٦٩ ذكر القاعدة النحوية التى توجب حذف الباء فى النسب الى فعيلة وفعيلة تخففنا من الثقل ، ولاحظ أن هذا الثقل يوجد فى النسب إلى فعيلة لا إلى فعيلة ، وقال إنهم لم يلاحظوا هذا الثقل فى النسب إلى فعيل ، مع أنه لا فرق بين فعيل وفعيلة .

ثم اقترح النسب إلى كلمتى فعيل وفعيلة من غير تعبير إلا بحذف التاء الأخيرة .

٥ ـ جولة فى كتب (درة الغواص فى أوهام الخواص) الحريرى

بحث فى تسع صفحات ، قدمه إلى المجمع اللغوى فى دورته الخامسة والثلاثين ١٩٦٨— ١٩٦٩ بين فى هذا البحث أن الحريرى عرض فى كتابه مئتين واثنتين وعشرين مسألة ، ذكر ما بها من خطأ ، وبين الصواب ، وبين الأستاذ عبد الحميد حسن أن الشهاب الخفاجى شرح هذا الكتاب ، وصوب كثيراً مما خطأه الحريرى ، وأن السيد محمود شهاب الدين الألوسى شرح كتاب الدرة ، وعلق على كثير من مسائله .

ثم ذكر الأستاذ عبد الحميد حسن أن الحريرى لم ينفرد بهذا العمل ، فقد سبق إليه وجاء من بعده من صنعوا مثل صنيعه منذ القرن الثانى الهجرى إلى العصر الحديث وذكر منهم الكسائى مؤلف (ما تلحن فيه العلوم) وابن السكيت مؤلف (إصلاح المنطق) وأبا حاتم السجستانى مؤلف (ما تلحق فيه العامة) وأبا بكر الزبيدى الأندلسى مؤلف (ما تلحن فيه العامة) وإبراهيم اليازجى مؤلف (لغة الجرائد) والشيخ محمد على النجار مؤلف (الأخطاء اللغوية الشائعة) و (لغويات) .

ثم ذكر أن منـــابع هـــذه التخطئة أو التصويب ترجع إلى الناحية اللغوية ،وإلى ما دونه علماء اللغة فى معاجمهم ،وترجع إلى الناحية النحوية ،وإلى ماسجله النحاه فى كتبهم.

وعقب على هذا بأنه لا يصح الأخذ بما ورد فى المعاجم وحدها ، لأن هناك مراجع ذات قيمة فى التحقيق اللغوى هى كتب الآداب والتاريخ الأدبى والسياسى وما فيها من شعر ونثر ، على أنه لا مانع من أن نصوب ما يساعدنا القياس والمرونة الاشتقاقية على تصويبه ، وبعد هذا تحدث عن الناحية النحوية ، وعن التضارب والتشعب فى كتب النحو ، واقترح رسم خطة موحـــدة لآراء النحاة واللغويين ، ثم انتقل إلى عرض أربع مسائل من كتاب أوهام الخواص .

أما المسألة الأولى فهى تخطئة الحريرى لقولهم : اجتمع فلان مع فلان ، وتصويبه بأن يقال : اجتمع فلان وفلان ، ثم ناقش الأستاذ عبد الحميد حسن الحريرى مخالفاته ، ومؤيداً مخالفاته بما نقله عن الشهاب الخفاجى.

وأما المسألة الثانية فهى تخطئة الحريرى لقولهم : قدم الحجاج واحد واحداً واثنين اثنين وثلاثة ثلاثة إلخ وتصويبه أن يقال قدموا آحاد آحاد وثناء وثلاث ورباع الخ وخالف الحريرى ، وأيد مخالفته إياه بما نقله عن الشيخ محمد على النجار .

وأما المسألة الثالثة فهى قول الحريرى : يقولون فى جمع بيضاء وسوداء وخضراء بيضاوات وسوداوات وخضراوات ، وهو لحن فاحش ، والصواب جمعه على وزن فعل ، وعقب الأستاذ عبد الحميد حسن على هذا بذكر رأى النحاة ، وانتهى إلى صحة ما خطأه الحريرى . وأما المسألة الرابعة فهى تخطئة الحريرى لقولهم : هب أنى فعلت كذا ، وتصويبه أن يقال : هبنى فعلت ، وقد ناقشه الأستاذ عبد الحميد حسن،وانتهى إلى صواب ما خطأه الحريرى :

٧ ــ الإسلام أقوى دعامة لإصلاح المجتمع الحديث . بحث مطبوع فى إحدى عشرة صفحة بدورية مجمع البحوث الإسلامية[١]، ألقاه فى دورة المؤتمر الثالث . قدم له بمقدمة بين فيها أمل المسلمين فى استعادة مجدهم ، ووجههم إلى الاسترشاد بتعاليم الإسلام لتحقيق غرضهم ، لأنه دين الفطرة المتجهة إلى الخير ، المعتمدة على الفكر السليم وعلى المبادئ السمحة ثم بين أن فى كل إنسان عنصرين : أحدهما روحى والآخر مادى . وتحدث عن العنصر الروحى ومظاهره الثلاثة وهى الفكر وغايته معرفة الحق ، والإرادة وغايتها الوصول إلى الخير ، والوجدان وغايته العواطف النبيلة وجمال النفس .

ولكل من هذه الأهداف الثلاثة شأن كبير فى الإسلام .

أما الفكر فقد حث القرآن الكريم على تنمية بالنظر فى آيات الله تعالى فى الكون وفى النفس،وأما الإرادة فقد وجهها الإسلام إلى الخير فى جميع صوره وأوضاعه ، كالإحسان والبر والتعاون والصدقة ، وأما الوجدان وما يتفرع منه من عواطف فقد عواطف فقد قوى الإسلام رباطها،وأحكم صلاتها بين الإنسان ووالديه وذوى قرباه وجاره البعيد والصاحب بالجنب ، وجعل المودة أساساً للترابط فى الأسرة وبين جميع الناس .

ثم تحدث عن العنصر الجسمى ، وهو العنصر المادى الذى خلقه الله من الأرض ، وقال إن الإسلام وضع للجسم نظاماً يكفل صحته .

وبعد هذا عرض لرسالة الإنسان فى الحياة ، وأنها محصورة فى أن الله تعالى جعله خليفة له على هذه الأرض .

(١) جمادى الآخر ١٣٨٦ ﻫ أكتوبر ١٩٦٦ م

ولكى يقوم الإنسان بمطالب هذه الخلافة زوده الله تعالى بالمواهب والطاقة والعقل ، وجعل له التصرف فى الأرض، وما عليها وما فى جوفها ، لكى يعمر وينتج وينتفع . وبين الباحث أن المسلمين الأولين ، كما أخذوا بهذا النظام نجحوا نجاحاً باهراً ونهضوا نهوضاً عظيما، وقال إن الشعوب التى تسمى اليوم شعوبا تقدمية تعانى آلام القلق والطمع ، والشعوب التى تسمى دولا متخلفة عانت آلام الاحتلال الذى احتكر خيراتها ، فعليها أن تتحد وتتعاون لمناضلة الاحتلال .

وأما الشعوب العربية والإسلامية فقد خضعت للاحتلال زمناً ، أفسد شؤونها ، وفرق كلمتها وأضعف قواها ، ولكنها استيقظت اليوم من سباتها ، وخير ما يعينها على التقدم والقوة أن تعتصم بالإسلام وتستمسك بتعاليمه .

٨ — التربية الخلقية والاجتماعية .

فى السنة النبوية :

بحث فى ست عشرة صفحة ألقاه بالمؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية[1] .

بين فيه أن الشريعة الإسلامية تهدف إلى ترقية الفرد والجماعة ، وإلى تزكية النفس وتطهيرها ، وكل هذا محقق فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف .

ثم بدأ يتحدث عن آثار السنة النبوية فى تربية الأخلاق عند الفرد وفى الأسرة وبين الجيران، وفى الأمة، وفى الإنسانية عامة .

وبعد هذا عرض لتوجيه السنة الشريفة إلى تنظيم المجتمع وسد حاجاته وترقيته بالعلم والمال والعمل والإنتاج ، والتضامن ، وساق من الأحاديث شواهد على هذا كله .

٩ — مكانة بيت المقدس فى الاسلام

بحث فى اثنتى عشرة صفحة ألقاه فى المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية[2] .

عرف فيه ببيت المقدس وموقعه وعرض لتاريخه منذ أن كان اسم المدينة أورشليم ، إلى أن حلت محلها مدينة القدس المسيحية ثم مدينة بيت المقدس الإسلامية منذ الفتح الإسلامى سنة ٦٣٨ م ثم تكلم عن مكانة بيت المقدس ، مبتدئاً بما جاء فى سورة الإسراء ، وبما ذكره بعض المفسرين ، ثم بما ورد فى بعض الأحاديث النبوية الشريفة . وعقب على هذا بمكانة بيت المقدس فى قلوب المسلمين .

وبجهادهم الباسل فى العصور السابقة لحماية بيت المقدس ، منذ الحروب الصليبية سنة ١٤٩٠م إلى الغزو البريطانى سنة ١٩١٧ .

وختم البحث بالدعوة إلى الاتحاد لتطهير بيت المقدس من المعتدين عليه .

أحمد الحوفى
عضو المجمع

(٢،١) رجب ١٣٨٨ هـ سبتمبر ١٩٦٨ م

كلمة الأسرة لنجل الفقيد

يلقيها الدكتور محمد مهدى علام

« بسم الله الرحمن الرحيم »

سيدى الأستاذ الرئيس ،

سادتى أعضاء المجمع الموقر ،

باسم أسرة الفقيد أتقدم بالشكر العميق لمجمعكم الموقر على ما تفضلتم به من كريم مواساتكم يوم الوداع ، وفضل نعيكم غداة الوفاة ، وحفل تأبينكم اليوم فى هذا الحرم العلمى الذى عكف فقيدنا على خدمته خمسة عشر عاماً لم ينقطع عنه فى خلالها، ولم يقعده عن حضوره إلى جلسات المجمع ولجانه إلا مرضه الأخير :

وكان آخر ما نطق به قبل رحيله إلى مولاه ، أن نشكر من كان يزوره فى مرضه وأن ننوب عنه فى تحية من كان يسأل عنه فى غيابه :

لقد كان المجمع هو ملتقى نشاطه وحبه وإخلاصه : وبقدر ما وهب له من الإخلاص منحتموه من التقدير فى حياته، وفى مرضه، وفى وفاته . فلكم أخلص الشكر جميعاً ، ولنائبكم فى هذا الحفل ، الأستاذ الدكتور أحمد الحوفى أوفى الاعتراف بفضله ووفائه :

أما السيد الدكتور الرئيس ، فلا مقدرة لى على شكره لما قاله يوم استقبل والدى هنا منذ خمسة عشر ، ولما قاله وهو يودعه اليوم :

شكر الله لكم جميعاً ، ومد فى أعماركم، وخلد أعمالكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

كلمة الختام للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

سيداتى . سادتى :

إذا كنا اليوم قد اجتمعنا هنا لنتحدث عن الفقيد الكريم ونعدد مآثره ونكشف بعضاً من جوانب حياته الخصبة الممتدة فإن ماخلفه وراءه من أعمال سيظل نوراً يستضىء به طلاب العلم والمعرفة ، ولا يسعنى فى ختام حفلنا هذا إلا أن أتقدم بخالص الشكر لكل الذين سعوا إلى هذه الدار ، وشاركونا حفل تأبين راحلنا العزيز .

تغمده الله بواسع رحمته ، وأنزل فسيح جنته ،

ورفعت الجلسة ، وشكراً لكم :

فى الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين غرة شهر ربيع الآخر سنة ١٣٩٧ هـ الموافق ٢١ من مارس سنة ١٩٧٧ م أقام المجمع حفل استقبال عضوية الجديدين : الدكتور محمود حافظ ابراهيم والدكتور محمد محمود الصياد .

وفيما يلى ما القى فى الحفل من كلمات :

كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

سيداتى سادتى :

إنه لمن دواعى سرورنا جميعاً أن نجتمع اليوم لاستقبال زميلين جديدين هما : الدكتور محمود حافظ إبراهيم ، والدكتور محمد محمود الصياد ، والزميلان ليسا جديدين على المجمع فقد أعطياه بسخاء عندما كانا خبيرين به ، ولا أشك فى أنهما سيعطيانه بسخاء أكثر بعد أن أصبحا عضوين عاملين .

وباسم المجمع سيتولى الزميل الدكتور محمود مختار استقبال الدكتور محمود حافظ إبراهيم ، وسيتولى الزميل الدكتور محمد يوسف حسن استقبال الدكتور محمد محمود الصياد .

كلمة الدكتور محمود مختار فى استقبال



أخى الدكتور محمود حافظ

أيها الزميل الكريم

إنى لسعيد كل السعادة أن منحنى المجمع شرف الإنابة عنه فى استقبالك بعد أن توجك أعضاؤه بثقتهم الغالية ومنحوك شرف الانضمام إلى مسيرتهم المباركة ، حاملين أمانة الحفاظ على اللغة العربية وإعلاء كلمتها ؛ لتحتل مكان الصدارة بين لغات العالم الحية لغة عالمية وافية بمطالب العلوم والفنون فى عصر العلم والحضارة ، كما كانت فى ماضيها العريق منار المعرفة فى عصر الجهل والظلمات يحدوها ويصونها قرآنها المجيد فى كل عصر وكل أوان .

والمجمع أيها الصديق ، كما قال شيخه الراحل الدكتور طه حسين ، طيب الله ثراه ، « ليس نظاماً مقصوراً على عصر دون عصر ، وإنما هو نظام خالد ماخلدت مصر : وكل واحد من أعضائه إنما استعار من خلود هذا النظام لقبه الذى عرف به المجمعيون ، فأعضاؤه خالدون بخلود هذا النظام الذى أنشئ ليبقى مابقيت مصر ، وما بقيت اللغة العربية » .

وإنه لشرف عظيم لى أيها الصديق أن ينيبنى المجمع لأهدى إليك هذا الوسام الرفيع وسام الخالدين ، وأهنئك به ، وقد جاء مكملا ومتوجاً لوسامك العلمى الذى اكتسبته لنفسك فى ميدان العلوم والبحوث ، وصعدت به إلى أعلى درجات الأستاذية :

سيدى الرئيس — أيها السادة الزملاء :

أرجو أن تسمحوا لى أن أقدم لكم فى كلمات متواضعة شخصية وضاءة حملت مشعل العلم والتعليم زمناً طويلا بأمانة وكفاية ورصعته بلآلئ من الدين الحنيف واللغة العربية المباركة . فأصبحت شخصية جديرة بثقتكم الغالية جديرة بزمالتكم الكريمة : تلك هى شخصية الأستاذ الدكتور محمود حافظ :

وإذا ماحدثتكم اليوم عن أخى الدكتور محمود حافظ الذى نال منكم كل هذا التكريم فإنى أغتبط كل الاغتباط لأعود بذاكرتى لماض بعيد . أتأمل فيه صوراً عزيزة براقة مضيئة لاحت لى معه ونعمت بها زمنا كما نعمت وأنعم بصداقته حتى اليوم :

عرفت الطالب محمود حافظ منذ عام ١٩٣١ عندما التحق بكلية العلوم بجامعة القاهرة لدراسة الفيزيقا بالسنة الإعدادية للطب : ورأيت فيه أول ما رأيت شابا وديعاً أنيقاً جاداً وزادت معرفتى به فعلمت أن لدخوله كلية العلوم قصة طريفة . فقد ولد فى مستهل عام ١٩١٢ بالقاهرة ، ثم نزح مع والديه إلى بلدة فارسكور حيث أدخل الكتاب ليحفظ القرآن الكريم كبداية مشرفة لتعليمه ، ثم ألحق بعد ذلك بمعهد دمياط الدينى ليستكمل مسيرته الدينية إلى الجامع الأزهرى كما كان مرسوماً له . ولكن الرياح دفعت به إلى طريق التعليم العام ، فأدخل مدرسة فارسكور الابتدائية حيث كان التلميذ عبد الحليم منتصر على وشك إنهاء دراسته فى نفس المدرسة آنذاك . وفى هذه المرحلة الابتدائية من التعليم لم ينس حنينه إلى علوم الدين وإلى اللغة العربية التى استقاها على يد أستاذه الشيخ محمد توفيق والذى كان يرى فيه التلميذ محمود حافظ مثلا يحتذيه فى لغته السلسة وبيانه العذب .

وانتقل التلميذ محمود حافظ بعد ذلك إلى التعليم الثانوى بالمدرسة السعيدية بالقاهرة حاملا معه هذه الذخيرة القيمة من التربية والتعليم . فوكلت إليه المدرسة أن يكون خطيباً وإماما لمسجدها . وفى حفل تأبين أقيم للمغفور له سعد زغلول ، افتتح التلميذ محمود حافظ الحفل بتلاوة من أى الذكر الحكيم بصوت عذب رخيم . وفى المدرسة الثانوية تابع هوايته لعلوم اللغة على يد الأستاذ أمين راجى عبد الشافى الذى كان ينصحه أن يدخل القسم الأدبى لما استشفه فيه من حسن استعداد له : ولكن الرياح أبت مرة أخرى إلا أن توجهه إلى القسم العلمى ليلتحق بعد ذلك بكلية العلوم بجامعة القاهرة . وهناك غير وجهته مرة أخرى من دراسة الطب إلى دراسة العلوم بمشورة من المغفور له الدكتور على مصطفى مشرفة عميد الكلية . وتخرج محمود حافظ فى الكلية عام ١٩٣٥ متخصصاً فى علوم الحياة ، ليبدأ نشاطاً علمياً واسع الخطى ، صاعداً من معيد إلى مدرس فأستاذ مساعد فأستاذ ، وفى فترة قياسية وجيزة أصبح اسمه الأستاذ الدكتور محمود حافظ أحد رواد علم الحياة بصفة عامة وعلم الحشرات بصفة خاصة ، واحتل اسمه موقع الصدارة بين أساتذة هذا العلم لا فى العالم العربى وحده بل فى العالم الكبير وأصبحت له منزلة مرموقة فى الدوائر والهيئات العلمية والمحافل ، حتى إن إحدى الهيئات العلمية فى روسيا عدته من رواد الحركة العلمية فى علوم الحياة ، ونشرت إنجازاته العلمية ضمن مجلد ضخم عن رواد علوم الحياة عام ١٩٦٩ .

ومن بين إنجازاته العلمية البارزة : المساهمة فى إنشاء قسم لعلم الحشرات بكلية العلوم الذى وضع حجره الأساسى الأستاذ حسن شاكر أفلاطون ، وتدرج فيه الدكتور محمود حافظ من معيد إلى رئيس ، كما أنشأ متحفاً للحشرات هو الأول من نوعه فى العالم العربى .

ويعتبر مرجعاً ممتازاً لآلاف الأجناس والأنواع . وأشرف الدكتور حافظ على بحوث عدد كبير من الطلاب يشغل بعضهم اليوم وظائف أساتذة فى الجامعات العربية :

وامتد نشاطه خارج الجامعة فأنشأ قسما للحشرات ووقاية النبات بالمركز القومى للبحوث وقسما آخر فى مؤسسة الطاقة الذرية والمركز الإقليمى للنظائر المشعة ، وأسهم فى تطوير معهد بحوث الحشرات فى وزارة الصحة ، وتناولت بحوثه الحشرات الطبية وخاصة الذباب المنزلى والقمل القارض والحشرات الزراعية ومنها الجراد ودودة القطن :

وفى غمرة كل هذا النشاط العلمى المتخصص كانت النزعة الدينية التى تأصلت فيه صبيا ويافعا مازالت تتجاوب بين جوانبه وتنير له طريق الهداية فى الحياة ، من ذلك أنه عمل أمينا عاماً لجمعية الهداية الإسلامية مع المغفور له الشيخ الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر الأسبق طيلة سبعة عشر عاماً .

وفى الناحية الإدارية ساهم الدكتور محمود حافظ مساهمة فعالة فى إدارة كلية العلوم بجامعة القاهرة حيث عمل وكيلا لها فى عام ١٩٦٤ ولفترة عامين ، وفى هذه الفترة توطدت الصلة بيننا عن قرب ، وأشهد أنه كان لى خير الزميل والشريك فى إدارة الكلية مخلصاً فى عمله كل الإخلاص ، رزيناً جاداً متفانياً وموضع ثقة من الجميع ، وفى عام ١٩٦٦ عين وكيلا للمجلس الأعلى للبحث العلمى فوكيلا لوزارة البحث العلمى . ولكن حنينه إلى الدراسة والبحث عاد به إلى الجامعة ليرأس قسم الحشرات مرة أخرى فى عام ١٩٦٨ وليبقى به بعد السن القانونية أستاذاً متفرغاً حتى الآن . وقد عمل الدكتور حافظ عضواً عاملا ومستشاراً فى كثير من الهيئات العلمية فى وزارة الصحة والبحث العلمى والزراعة . وأكاديمية البحث العلمى ، وحيثما ذهب كانت إنجازاته العلمية تتوالى وتشهد له بالكفاية والنجاح .

أما فى ميدان التأليف والكتابة العلمية : فقد أثرت مؤلفاته ومترجماته المكتبة العلمية بعدد من الكتب الدراسية والثقافية باللغتين العربية والإنجليزية ، أذكر منها كتاب علم الحيوان العام ، وتشريح الحيوان ، وأسس علم الحيوان ، والحيوان العملى ، والحشرات وعهدت إليه مؤسسة فرانكلين للنشر وضع الجزء الخاص بعلم الحشرات فى موسوعتها العلمية العربية . وراجع الدكتور حافظ عدداً من الكتب المترجمة المرجعية والثقافية منها : تاريخ علم الأحياء ، وعالم النمل ، وقد نشر عدد منها فى مجموعة الألف كتاب .

سيدى الرئيس : . أيها السادة الزملاء

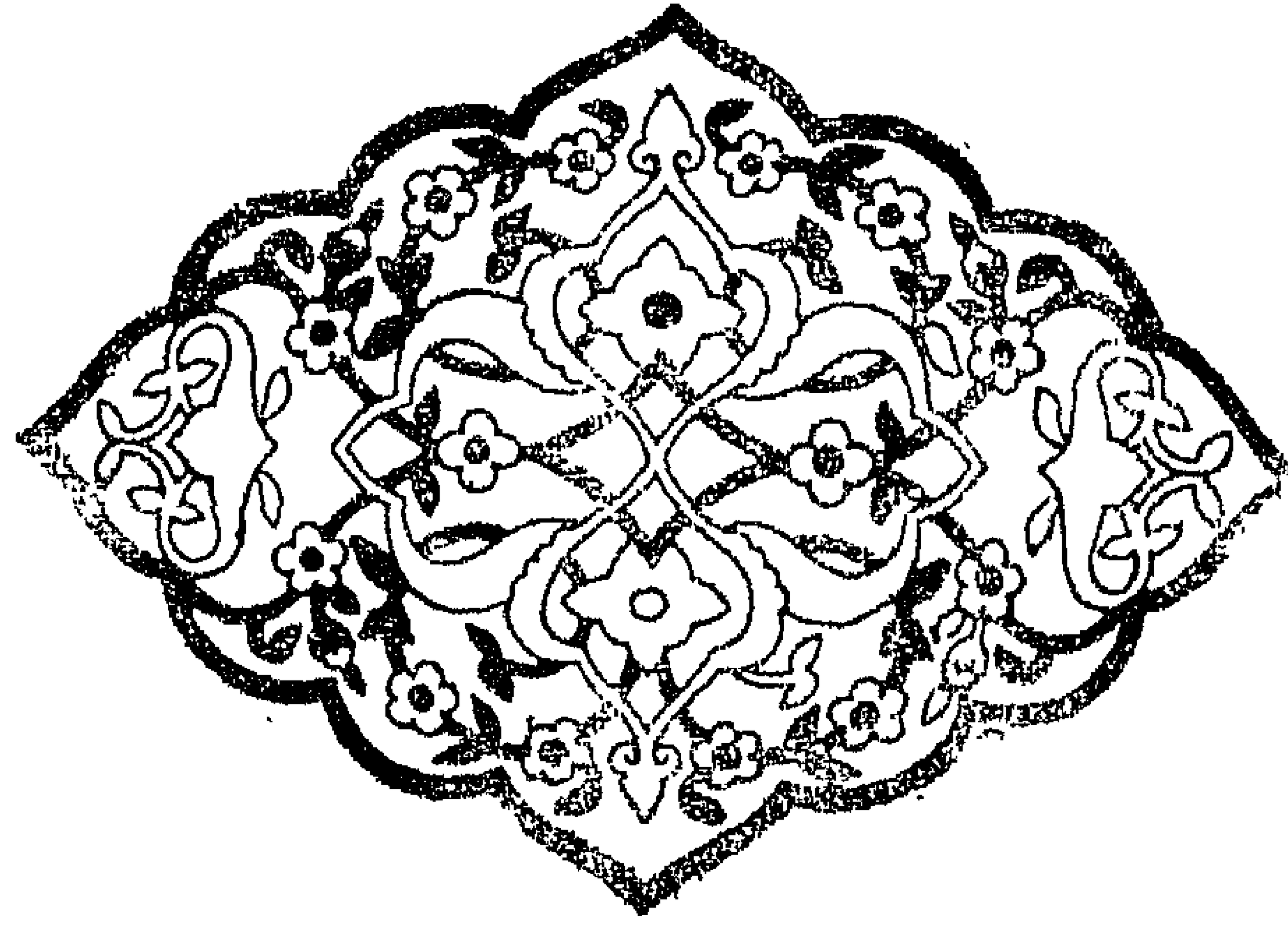
لاشك أن انضمام شخصية فذة إلى مجمعكم الموقر لها كل هذا الرصيد الحافل من المكانة العلمية واللغوية سوف تضيف دفعة قوية لمسيرة المجمع ، ويزيد من إنتاجه العلمي اللغوى الذى يعنى به كل العناية ، والذى أصبح يمثل جزءاً كبيراً من إنتاجه . ذلك الإنتاج الذى يتعطش له اليوم الوسط العلمى فى أرجاء الوطن العربى كافة :

وفقكم الله أمناء على اللغة أوفياء لها ، رافعين لواءها فى ركب الحضارة والعلوم والحياة ؛

والسلام عليكم ورحمة الله ؛

محمود مختار

عضو المجمع



كلمة الدكتور محمود حافظ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله :

صدق الله العظيم

سيدى العالم الجليل رئيس المجمع وشيخ المجمعيين :
سادتى العلماء الأجلاء أعضاء المجمع :

سيداتى وسادتى :

لم يدر بخلدى فى يوم من الأيام أن أنال هذا الشرف العظيم الذى أنعم به اليوم والذى طالما هفت إليه قلوب ، وتطلعت إليه آمال ، أو أحظى بهذه المكانة العزيزة التى تستمد عزتها وقدرها من شرف الانتساب إليكم ، وإلى مجمعكم العظيم مجمع الخالدين .

ولكن هذه مشيئة الله ومشيئتكم إذ حبوتمونى بهذا الشرف وتفضلتم بفيض من سماحتكم فأفسحتم لى مكاناً فى هذا المجمع الموقر كعبة العربية وحصنها الحصين ، وإنى لأكاد أجد الكلمات التى أعبر بها أصدق تعبير عما يجيش به صدرى من مشاعر الوفاء والامتنان والعرفان لاختياركم إياى عضواً بهذا المجمع فأشكركم أخلص الشكر وأعمقه على هذه الثقة الغالية التى طوقتم بها عنقى ، وأعاهد الله وأعاهدكم على أن أبذل قصارى جهدى لخدمة أغراض هذا المجمع وتحقيق رسالته مترسماً خطاكم سائراً على هديكم والله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير .

كما أوجه الشكر جزيلا وصادقا إلى أخى العالم الجليل الأستاذ الدكتور محمود مختار الذى نعمت بصحبته وزمالته فى رحاب الجامعة ومحراب العلم قرابة أربعين عاماً ، كان خلالها مثلا رفيعاً للأستاذ الجامعى خلقاً وعلماً وللعميد الذى يسوس أمور كليته بالحنكة والاقتدار .

شكراً له على كلمته الكريمة التى استقبلنى بها وقدمنى إليكم وعلى ما أسبغ على من فضله وما أضفاه على شخصى من ثناء مستطاب هو أجدر به منى .

سيدى الرئيس سادتى :

إن الإنسان ليشعر حقاً بالزهو والفخار حين يؤذن له بدخول هذا المجمع العتيد ، أو هذا الصرح الشامخ من صروح العربية التى تسطع فى سمائه هذه النجوم الوضاءة ، ويشمخ بهذه الصفوة من عمالقة اللغة والعلم والأدب .

هذا المجمع الذى حمل لواء العربية شامخاً ساطعاً فى الخافقين والذى بهرنا بإنتاجه العظيم عبر خمسة وأربعين عاماً من عمره الزاهر ،

بهرنا بجهوده البارزة فى إعلاء لغة القرآن وفى الكشف عن طاقاتها المبدعة الخلاقةوتطويعها لمقتضيات العصر فى مختلف العلوم والفنون والبحث عما فى بحرها الزاخر من الدرر واللآلئ — بهرنا بكل ذلك وهو لايزال يؤدى رسالته العظيمة كما لم يؤدها مجمع من قبل حتى أضحى بهذه الخلفية الرائعة نسيج وحده بين الهيئات اللغوية والعلمية لا فى مصر وحدها بل على الصعيد العربى كله .

ولا أعدو الحقيقة أيها السادة الأعلام إذا قلت إنى وقد عشت أكثر من أربعين عاماً معلماً ومحاضراً فى رحاب الجامعة ومحدثاً فى العديد من المؤتمرات والاجتماعات العلمية فى مصر والخارج ماتهيبت موقفاً كالذى أقفه اليوم بين أيديكم، وكيف لاأتهيب هذا الموقف وأمامى هذه القمم الشامخة من جهابذة اللغة وهذه الصفوة الرائدة من أساطين العلم والأدب والذين بلغ بهم المجمع هذه المكانة الرفيعة التى يتسنمها اليوم، وأسبغوا عليه من العلم والفضل ماجعله أكبر مركز إشعاع لغوى ينشر نوره الوضاء فى كل رجا من أرجاء العالم العربى .

فلاغرو أن تكون عضوية هذا المجمع أمنية عزيزة المنال تظل تراود أفئدة المتطلعين إليها، والراجين فى تحقيقها سنوات وسنوات حتى يحظوا بها، وينعموا بهذا الشرف العظيم شرف الانتساب إلى مجمع الخالدين :

ولا أعدو الحقيقة كذلك إذا قلت إنى لم أسعد بسنوات من عمرى كتلك التى قضيتها خبيراً بهذا المجمع أتفيأ ظلاله وأترع من نبعه اللغوى كؤوس العلم والمعرفة، وكانت تبهرنى كل يوم هذه اللغة الجزلة المعطاءة التى تزخر بكل ما نبتغيه من معان ومصطلحات، وهذه الثروة اللغوية الهائلة المليئة بآلاف الدرر من المرادفات والمقابلات، مما ينهض دليلا على قوة هذه اللغة وثرائها وشمولها واتساع آفاقها وقدراتها الفائقة على استيعاب التطور الذى نشهده فى هذا العصر فى شتى قطاعات العلم والمعرفة .

وإن كنت قد سعدت بهذه السنوات خبيراً فى لجنة علوم الأحياء والزراعة وأضفت إلى معارفى الكثير فإنى قبل ذلك سعدت أيضاً بسنوات ثلاث فى صحبة عالم جليل أشرب حب اللغة وجمالها هو الأستاذ الدكتور أحمد عمار قضيتها معه فى ترجمة أحد المعاجم العلمية ونقله إلى اللغة العربية . تعلمت منه الكثير وكنا مع زملاء لنا نتلهف إلى أيام اللقاء كل أسبوع ؛ نجلس إليه ونأخذ عنه ، وكان حقاً مجلساً يفيض لغة وأدباً وعلماً ماكنا لنميل عنه أصبعاً إلا لنميل إليه ميلا، وهكذا مرت السنوات الثلاث وقد أغدق علينا خلالها من علمه وفضله زادا كبيراً :

سيدى الرئيس : . . سادتى الأعضاء :

فى أواخر الثلاثينيات من هذا القرن نبتت حركة مباركة بكلية العلوم بجامعة القاهرة مستهدية بهذا المجمع العظيم الذى كان قد سلخ من عمره بضع سنوات — نبتت حركة لترجمة

المصطلحات وتعريبها فى مجال علوم الأحياء وخصوصاً فى علم الحيوان كان رائدها المغفور له الدكتور محمد ولى من أشد المتعصبين للتدريس فى الجامعة باللغة العربية وقد أعجبنا به إعجاباً كبيراً، ولازلنا فى كلية العلوم نذكر له محاضرته الرائعة . وعنوانها « العربية لغة العلم » والتى ألقاها عام ١٩٣٣ بالمجمع المصرى للثقافة العلمية ونشرت فى كتابه السنوى الرابع والتى فند فيها حجج الذين يدعون أن العربية لاتصلح أن تكون لغة للعلم ودعا فيها إلى التوسع فى حركة الترجمة والتعريب والنحت والاشتقاق كما دعا إلى التدريس باللغة العربية بالجامعات وقد ناشد رحمه الله فى هذه المحاضرة مجمع اللغة العربية ، وكان فى مراحل إنشائه الأولى أن يتوجه بجهوده نحو تدعيم الثقافة العلمية العربية وجعل اللغة العربية لغة العلم حتماً ، إلى أن قال من فرط حماسه : « ولايكون هذا إلا إذا تشيد المجمع على أساس هذا المبدأ ودق قلبه بما يبعثه فيه من الجد واليقين وسرت نفحات هذه النهضة العربية فى دمه ، فتخللت جميع أجزاء جسمه ، فأصبح علمياً عربياً فى الشكل وفى الجوهر وأملنا فى هذا المجمع كبير وثقتنا فيمن يقومون عليه عظيمة » ، وليت العمر قد أمتد به حتى اليوم ليشهد الإنجازات الرائعة التى قام بها المجمع فى هذا السبيل .

وقد قمنا معه حينذاك وخلال سنوات عدة بترجمة بعض المصطلحات فى علم الحيوان وتعريبها واستخدامها فى التدريس لطلبة الجامعة ، وتأليف بعض الكتب فى هذا المجال باللغة العربية وترجمة كتب أجنبية إلى العربية وكان يشد أزرنا فى هذا السبيل أستاذ جليل هو الدكتور كامل منصور أحد الرواد الأوائل فى علم الحيوان ومرسى قواعده فى مصر ومضينا فى هذا الطريق مستمدين العون من عمل هذا المجمع العظيم ، وماقام به السلف الصالح من معاجم ، وعلى رأسها معجم الدكتور محمد شرف ، ذلك العالم العملاق الذى أنجز بمفرده عملا عظيماً يعتبر حتى اليوم قمة فى الأداء والاستقصاء .

وحين أنشئ الاتحاد العلمى المصرى عام ١٩٥٥ كشعبة من شعب الاتحاد العلمى العربى برياسة العالم الكبير المغفور له الأستاذ مصطفى نظيف طيب الله ثراه نشطت حركة تعريب المصطلحات العلمية وترجمتها ، وإيجاد المقابلات المناسبة لها وقاد هذه الحركة العالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر ودفع بهذه المصطلحات إلى المؤتمرات العلمية العربية التى عقدت فى مصر وفى بعض البلاد العربية الشقيقة بمعاونة جامعة الدول العربية .

كل هذه الجهود المتواضعة والتى كان لى شرف الاشتراك فى جميع مراحلها استمدت جذورها من عمل هذا المجمع العظيم وانبثقت من رغبة جامحة تعتلج فى صدورنا للتدريس والتأليف باللغة العربية لطلبة الجامعات ؛ إيماناً منا بأن الطالب يستوعب المادة العلمية بلغة قومه بدرجة أعلى بكثير مما لو تلقاها بلغة أجنبية ، وقد قام على ذلك بجامعاتنا الدليل تلو الدليل .

ولا أرانى ياسيدى الرئيس وسادتى الأعضاء فى حاجة إلى القول إنه إذا كانت حركة التعريب العلمى والنقل إلى اللغة العربية وإحياء التراث العلمى العربى قد خطت خطوات فسيحة إلى الأمام فى ربع القرن الأخير وظهر العديد من المعاجم العربية فى الوطن العربى وخرجت آلاف المصطلحات فى مختلف العلوم والفنون إلى النور ؛ فإنكم أيها العلماء الأعلام من خلال هذا المجمع العظيم ومؤتمراته وقيادته الرشيدة قد قمتم ولا زلتم تقومون بالدور الرئيسى فى هذه الحركة المباركة التى تزداد إتساعاً وازدهاراً محققة أهدافها العظمى بالغة غاياتها النبيلة بإذن الله فى نشر التعليم باللغة العربية ، وإعلاء شأن هذه اللغة ودحض الفرية التى يرددها بعض المتربصين بها ، من أنها تقصر أحياناً عن الوفاء بمطالب العلم الحديث والإيقاع السريع الذى نشهده فى هذا العصر لحركة العلم والتقدم العلمى :

ويطيب لى فى هذه المناسبة أن أستعير ما سبق أن قاله عنها زميلى الأستاذ الدكتور محمود مختار من أن « مصر العربية الحديثة حين دخلت عصر العلم والتكنولوجيا كان من حسن الطالع أن وجدت لغة العلم والتكنولوجيا أداة طيعة فى ركابها ، تمهد لها الطريق وتوفر لها مقومات السير فيه ، وطرقت لغة العلم الحديث كل أبواب النشاط حتى أصبحت على حد تعبير الأستاذ الكبير رئيس المجمع « لغة نعيش معها فى الحقل والمنزل ونرى آثارها فى المصنع والمتجر ، يرددها الأطفال فى مدارسهم ويعنى بها الشباب فى جامعاتهم ، ويسجلها العلماء فى دراساتهم وبحوثهم » . ومن حق المجمع علينا نحن العلميين أن ندين له بالفضل ونعترف له بالسبق وبعد النظر ؛ فقد أحسن بالفعل منذ نشأته وكأنه كان يقرأ صحف الغيب بما سيكون للغة العلم والتكنولوجيا من شأن فى حياتنا العلمية والتكنولوجية ، فأورد لها نصاً صريحاً فى لائحته يقول بأن « من أهم أغراض هذا المجمع أن يجعل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها وملائمة على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر » .

وقد قطع المجمع شوطاً بعيداً نحو تحقيق هذه الغاية ولا أكون مبالغاً إذا قلت إنه يجتاز فى هذه الآونة عصره الذهبى :

سيدى الرئيس . السادة الأعضاء :

من التقاليد الكريمة التى أرساها هذا المجمع الموقر أن يتحدث العضو الجديد عن سلفه ، وقد شاءت الظروف أن أشغل المقعد الذى كان يشغله المغفور له الأستاذ الدكتور مراد كامل العالم الجليل الذى نذر حياته للعلم والبحث وأنفق عمره غواصا فى بحار المعرفة ، أتقن عدداً كبيراً من لغات الشرق والغرب قديمها وحديثها فأطل بها على ثقافات متعددة ونهل كثيراً من نبعها الفياض ، وملأ صدره بعطرها وشذاها فكان موسوعياً بكل معنى الكلمة وقل أن يكون له ضريب فى عدد اللغات واللهجات التى حذقها . وقد ظل فى محراب هذا المجمع عضواً بمجلسه سنين عدة

وخبيراً بلجانه طوال ربع قرن ، يعطيه ويجزل له العطاء ويسهم فى نشاطه بعلمه الغزير وبحوثه اللغوية العميقة .

عرفت الفقيد قرابة خمسة عشر عاماً حين تزاملنا فى عضوية المجمع العلمى المصرى وكنا نقوم على شئونه فى الأمانة العامة وكثيراً ما التقينا وعرف كل منا الآخر عن قرب .

ولد الفقيد فى عام ١٩٠٧ وتلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى مدارس الفرير والمارونية والمدرسة التوفيقية ، ثم التحق بكلية الآداب بقسم اللغة العربية واللغات الشرقية بجامعة القاهرة وتخرج فيها عام ١٩٣٠، ثم أوفدته الجامعة فى بعثة إلى جامعة توبنجن بألمانيا الغربية ، فحصل على دبلوم فى اللغة اللاتينية وآدابها عام ١٩٣٤ وعلى دبلوم آخر فى اللغة اليونانية وآدابها فى العام نفسه . وفى العام التالى (١٩٣٥) نال الفقيد درجة الدكتوراه ثم واصل دراسته بعد ذلك ونال درجة دكتوراه الأستاذية من الجامعة نفسها عام ١٩٣٨ ، وعاد بعد ذلك لينخرط فى سلك هيئة التدريس بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وظل يرقى مدارج السلم الجامعى حتى أصبح أستاذاً ورئيساً لقسم اللغات السامية بالكلية ، ولمع لمعاناً كبيراً وتألق فى المحيط العلمى واللغوى ، وتلقفته هيئات كثيرة تبتغى علمه وخبرته . وعندما أعيد إنشاء مدرسة الألسن عام ١٩٥٢ انتدب عميداً لها ، فأرسى قواعدها قوية متينة ، وساس أمورها بمهارة وحكمة ، ونهض بها نهضة مباركة طوال ست سنوات متصلة .

وقد أتقن الفقيد لغات عدة ؛ ومن بين اللغات التى كان يؤلف ويتحدث بها الألمانية والإنجليزية والإيطالية والأسبانية أما اللغات التى تدخل فى نطاق تخصصه فكانت كثيرة منها البابلية والأشورية والكنعانية والفينيقية والحميرية والحيثية واللغة المصرية القديمة واللغة القبطية بلهجاتها المختلفة واللغات الأثيوبية ، وكان يتحدث اللغة الأمهرية بطلاقة ، وبالإجمال فقد بلغ عدد اللغات واللهجات التى كان يعرفها الفقيد نحو خمس وأربعين لغة ولهجة ، أتقن عدداً كبيراً منها.

وكان رحمه الله ذا باع طويل فى البحث والاستقصاء والنشر والتأليف ؛ فقد بلغ عدد مؤلفاته نحو مائة وسبعين بحثاً تناولت مجالات عدة منها اللغويات ، والآداب العالمية ، ودراسة المخطوطات وتحقيقها ، والبرديات والنقوش والفنون القديمة والحديثة ؛ ودراسة الأديان وتاريخ الشرق وحضارته فى العصور القديمة والوسيطة والحديثة ، وسير العلماء ، والمعاجم .

كما ألف عدة بحوث قيمة بالمجمع نشرت بمجلته منها « علم الأصوات نشأته وتطوره » ، « الزمن فى الكيمياء عند العرب » ، « اللغة العربية لغة عالمية » ، كما أدلى بدلوه سنين طويلة فى أعمال لجنة المعجم الكبير ولجنة اللهجات ولجنة الفنون ؛ وقد عين الفقيد عضوا بالمجمع عام ١٩٦١ .

ولمكانة الفقيد العالمية اختير عضوا بالأكاديمية الألمانية للآثار ببرلين (عام

١٩٥٩) وعضــواً فخرياً بالمعهـــد التشيكوسلوفاكى لدراسة الآثار المصرية بجامعة كارل ببراج (عام ١٩٦٥) وأستاذا مدى الحياة بجامعة فرايبورج بألمانيا وأستاذا زائراً بجامعة انزبروك بالنمسا (عام ١٩٥١)

كما منح الفقيد أوسمة رفيعة عدة ، تقديراً لأعماله العلمية واللغوية من أثيوبيا وألمانيا الغربية وإيطاليا ، وكذلك أسهم الفقيد بجهود مرموقة فى كثير من الجمعيات والهيئات العلمية المصرية التى عرفت قدره وشرفت بعضويته ، ومنها المجمع العلمى المصرى (١٩٥٠) ومعهد الدراسات الشرقية (١٩٥٤) ومعهد الدراسات القبطية وجمعية الآثار القبطية .

كما مثل الفقيد مصر وجامعة القاهرة فى الكثير من المؤتمرات والاجتماعات العلمية الدولية .

وفوق كل هذا فقد كان رحمه الله على خلق كريم هادئ ، النفس وديع القلب حلو المعشر ، عرفه الكثيرون صديقاً وفياً مخلصاً محباً للخير ، كما حباه الله بديهة حاضرة وذكاء حادا وقريحة وقادة .

سيدى الرئيس ، سادتى الأعضاء :

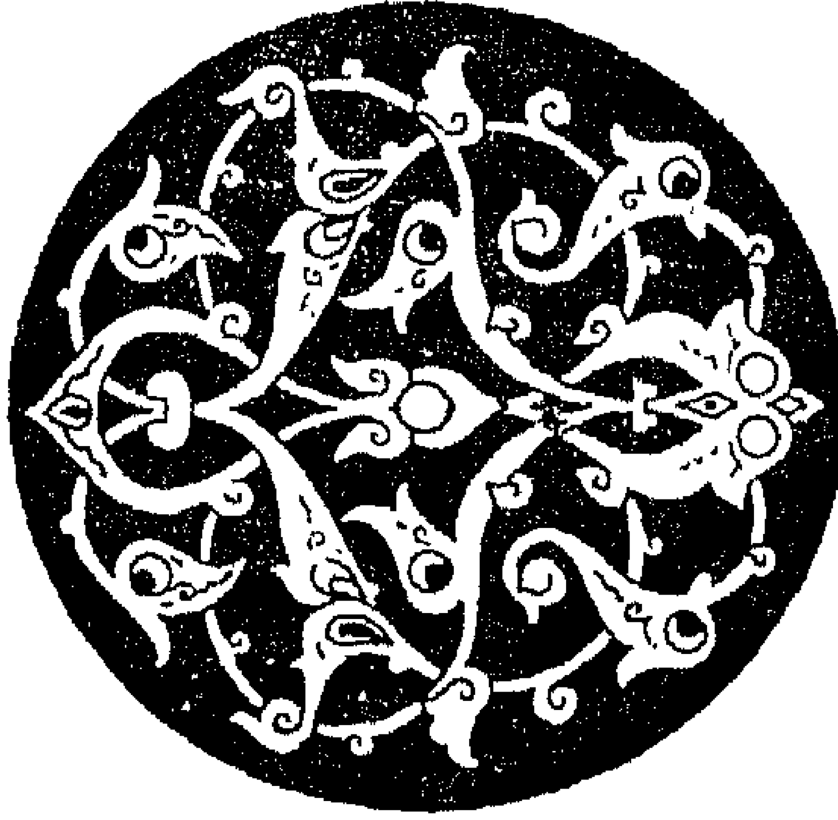
لا يمكننى فى هذه العجالة أن ألم بمناقب المغفور له الدكتور مراد كامل وأعماله الخالدة ، فقد جاء ذكرها تفصيلا فى كتب المجمع عند استقباله وعند تأبينه ، وكلها نماذج رائدة من العمل العلمى واللغوى الرائع الذى يعكس عبقرية هذا العالم الفذ المعطاء والذى ينهض دليلا ناصعاً على عظمة الخالق حين يهب العلم والحكمة من يشاء .

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته ، وأجزل له الثواب جزاء ما قدم لوطنه وللإنسانية من علم ينفع المؤمنين .

والسلام عليكم ورحمة الله ،

محمود حافظ ابراهيم

عضو المجمع



كلمة الدكتور محمد يوسف حسن

فى استقبال :



سيدى الرئيس الجليل ، سادتى الزملاء الأجلاء :

ينضم اليوم إلى موكب الخالدين عالم فاضل ، وأديب شاعر ، تخصص فى الجغرافيا فبلغ الذرى ونال الجوائز ، وهوى الأدب فملك ناصية القوافى وأسرت معانيه القلوب ذلك هو الدكتور محمد محمود الصياد : عميد معهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة . والصياد رجل من صميم ريف مصر ، مسقط رأسه « بلكيم » من أعمال مركز السنطة بوسط الدلتا . عاش عمره محباً لقريته الصغيرة ، مهتماً بأمرها وأهلها ، متحلياً بفضائل أهل الريف من سماحة خلق ، ووفاء نفس ، وحب للطبيعة والبساطة ، وكلف بالعلم ، وإقبال عليه حيثما كانت مظانه . وإن شعره فى قريته ليعبر عن حبه ووفائه لها أجمل تعبير ، إذ يقول :

ياقريتى أنت مثل النخل محسنة
لكن ثيابك مثل النخل خلقان

يرمى لنا النخل إذ نرمى الحصا بلحا
نسىء نحن ، وطبع النخل إحسان

متى أراك برغد العيش ناعمة
ويكتسى فيك بعد الفقر عريان

ولد الدكتور الصياد فى حوالى منتصف العقد الثانى من هذا القرن لأبوين شفهما الصبر عشر سنوات طوال فى انتظار الولد ، فجاء محمد عزيزا ، محلا لكل حب ورعاية ، معقدا لآمال أسرته . ومنذ اللحظة الأولى تنافس فى أمر تربيته وتنشئته المتنافسون من الأسرة المحبة وعلى رأسهم الجد والأب ، ولم يكد صاحبنا يتم الحول الرابع حتى حمى وطيس التنافس ، ولجّ الرجلان فى الجدل بشأن كيفية تعليم الطفل : الوالد الطموح الشاب يريده رجلا عصرياً يتخذ « البدلة » و «الطربوش» ، ويسلك طريقه بين الأفندية على حد تعبير ذلك الوقت . والجد المطمئن الكهل يريده شيخاً وقوراً فقيهاً يعيد سيرة السلف الصالح الحافظ للقرآن ، المتبحر فى علوم الشرع والبيان . وكانت الغلبة كالمعتاد فى قلب الريف لشيخ الأسرة لا يراجعه فى قراره الأخير أحد وكسب الجد الجولة الأولى ، ولم يتباطأ لحظة فى تنفيذ القرار ، فحمل حفيده حملا وذهب به إلى الكتاب . أما الكسب الحقيقى فقد كان للحفيد الذى مكث فى الكتاب مدة حفظ فيها معظم القرآن الكريم ، فتزود لسانه وجنانه من الفصحى بخير زاد ؛

ولما حان وقت الانتقال إلى معهد أعلى تجدد التنافس بين الشيخين، وكادالجديكسب الجولة الثانية أيضاً. وأن يدخل الطفل المعهد الدينى الأحمدى بطنطا يدرس القرآن وعلوم الدين واللغة . وصارت بين الرجلين جفوة بسبب هذا القرار . . . ولكن إلى حين . . . عندما تدخلت المصادفات لتزيل الجفوة بين الراعيين المتنافسين . ولتعدل مسير حياة الصياد ، فقد هبط على الأسرة فى عطلة الصيف زائر من طلاب مدرسة دار العلوم العليا . وفى جلسة هادئة مع الجد تجاذبا أطراف حديث علم منه أن تلك المدرسة العليا تبحث فى علوم اللغة وما يتصل بها ، وتقبل الطلاب فيما يسمى بتجهيزية دار العلوم إذا كانوا حاصلين على الشهادة الابتدائية مع حفظ تام للقرآن . وهنا تجلت حكمة الجد فى إنهاء الجفوة بينه وبين ابنه بدبلوماسية بارعة ترضيهما معاً ، ولا تصوره متنازلا عن مبادئه . فرفرف السلام بينهما ، وهدأ اللجاج على أثر قرار بتوجيه صاحبنا إلى المدرسة الابتدائية توطئة لالتحاقه بتجهيزية دار العلوم . ولكن ما انقضى الصيف حتى صدرت القرارات بإلغاء تجهيزية دار العلوم ، وقصر القبول فى المدرسة العليا على حملة البكالوريا . وإذن ، فلابد مما ليس منه بد ، وأدخل صاحبنا المدرسة الابتدائية ، ولكن بشروط الجد التى أذعن لها الوالد والابن . ولم يكن لصاحبنا المسكين خيار فى تقبل نتائج ذلك التنافس الشديد الشريف ، فارتدى البدلة شتاء واستوى أفندياً كرام والده ، خلعها صيفا ودخل فى الجلباب والكتاب لتجويد القرآن وإتمام حفظه . ونال الشهادة الابتدائية وتحرر من نير التحكم فى أمر تحديد مستقبله دون استطلاع رأيه . ودخل المدرسة الثانوية فبرز فى الرياضيات ، وسجل فيها الدرجة النهائية فى شهادة الكفاءة . وكان أمره هذا المرة له هو ولقدراته ، فالتحق مختارا بالقسم العلمى . ولم يكن هذا إلا ظاهراً من الأمر فقط ، إذ تدخلت المصادفة ، واكتشف الفتى فى نفسه نزعة قوية إلى الشعر الذى أسلم له قياد القوافى أول أمره هجاء مرًّا فيمن لا يعجبه من الأتراب ، فذاع أمره وحسب له المنافسون ألف حساب . واستثمر هذا الرصيد القوى ، فرشح نفسه لرئاسة القسم الداخلى بالمدرسة وهو لا يزال فى الصف الثانى ، فانتخبه الزملاء بإجماع الأصوات تقية من لسانه ، أكثر من رغبتهم فى إسلام قيادهم له .

وما كاد الفتى يستمرئ لذة الاستقلال فى تقرير مصيره التعليمى حتى تدخلت منحة الشعر لتدفع بحياته إلى سبيل آخر غير ما اختار ، إذ اكتشف ناظر المدرسة الأستاذ أمين كحيل شاعرية طالب السنة الرابعة (القسم العلمى) ، وتجليته فى حلبات الشعر والخطابة ، فأعجب به واستدعاه لينهى إليه أنه يتوسم فيه خطيباً مفوهاً ، ومنطقياً مقنعاً . وأديباً مبدعا ، وهى مؤهلات تصنع من صاحبها المحامى اللوذعى أو الوزير الألمعى ، لذلك فهو يضن بتلك المواهب أن تحتبس فى صوامع العلوم . ومحضه النصح أن يتحول إلى شعبة الآداب . وتردد محمد ذو العقلية

الرياضية فى قبول رأى غير رأيه ، وتعلل بأنه قد تسلم الكراسات والكتب العلمية وسجل اسمه بها . لكن الأستاذ أبطل حجته لتوه ، وأمر له بكراسات جديدة وبكتب الآداب . ورضخ محمد للأمر ، وهكذا تدخلت الأقدار مرة أخرى لتغير مسيرة حياته ، فاتجهت به ضد إرادته إلى شعبة الآداب . ولكن كما أثبتت الأيام كان المجلى دائماً فى كل مجال ، فقد كان ملء السمع والبصر بالمدرسة فى مرحلة مابعد الكفاءة : فهو رئيس اللجنة الثقافية ، وخطيب المحافل وشاعر الندوات والمناسبات ، والسادس فى الترتيب على طلاب مصر كلهم فى شهادة البكالوريا سنة ١٩٣٥ . وظن أنه حصل بها ما يكفى من علم ، وطفق يبحث عن وظيفة بهذا التفوق فلم يجد ، بل رأى من دونه فى الدرجات يحظى بها ، ولكن عن طريق الوساطات وفى هذا المعنى دبج يراعه فيما بعد شعراً يسخر فيه من تلك الأوضاع يقول :

شهادتك العليا الوساطات فأْتنا

بهن ، وإلا ، فانتظر ليلة القدر

بدأ منذ تلك اللحظة يرى حقيقة المجتمع الذى كان يعيش فيه ، فماذا يصنع ؟ خير له أن يستزيد من العلم . وجمعته الصدفة بزميل ، واتفقنا على التقدم إلى معهد التربية الابتدائية فهو يضمن وظيفة مدرس ؛ ومثلا أمام لجنة الاختبار الشخصى فباءا بالفشل إذ لم تكن لديهما توصية ، وخرجا ناقمين ، يندبان سوء الحظ « وقلة الواسطة » وساقتهما خطواتهما إلى شاطئ النيل ، فزين له صاحبه أن يلقيا بنفسيهما فيه ، إذ لاخير فى فى حياة أسسها الشفاعات والوساطات ، لا التفوق والدرجات . لكن هذا لم يكن مبدأ لمحمد ، فثنى صاحبه عن ذلك القرار اليائس ، وذهبا معا للتقدم إلى كلية الحقوق ، ولكنه صادف على بابها زميلاً لا يحبه كان يتقدم إليها . وهنا استيقظ الشاعر فى نفسه فصرفه عنها حتى لا يزامل زميلا لا يحبه ، واستشرفت نفسه إلى كلية لها أوثق صلة بما يهواه من أدب وشعر .

أحب كلية الآداب منذالسنة الأولى ؛ ولاغرو فقد تلقى فيها على عمالقة الفكر والأدب فى جيله : مصطفى عبد الرزاق ، منصور فهمى ، يوسف كرم ، محمد عوض محمد . أما طه حسين فقد كان محمد يتغيب عن بعض المحاضرات فى تخصصه ليحضرعليه دروسه فى الأدب الجاهلى . وانقضى عامه الأول فى الكلية قبل التخصص ، وخرج منه بقصة غرام عنيفة مع الفلسفة التى قرر أن يتخصص فيها متأثراً بدروس مصطفى عبد الرازق ومنصور فهمى . وذهب لقضاء الصيف كعادته فى القرية . وما كاد يفصح هناك عن غرامه وقراره حتى قوبل من أهل القرية بثورة منالإنكار والإشفاق على حافظ القرآن من التردى فى مزالق الكفر ، وماالفلسفة فى رأيهم إلا كذلك ، وخشى محمد أن تضيع مكانته ، ويفقد منزلته فى قلوب ذويه وأحبائه

من أهل قريته ، فرجع إلى الجامعة كسيف البال يطوف جسمه بأقسام كليته ، أما قلبه فمع الفلسفة ، حتى استقربه المطاف دون اختيار فى قسم الجغرافيا . لكن الله عوضه عن حبه الضائع للفلسفة بدرجة الليسانس فى الجغرافيا بعد ثلاث سنوات بتقدير ممتـــاز وبالمركز الأول بين الخريجين .

واستقامت له الطريق منذ ذلك الحين فى سلك الجامعة بعد انعطافة قصيرة على التدريس بالمدارس الثانوية فبرز فى الجغرافيا فارساً لايشق له غبار . وحصل على دكتوراه الفلسفة فى العلوم البحتة بدرجة ممتاز فى الجغرافيا من جامعة درام بإنجلترا عام ١٩٤٧ ، وكان موضوع رسالته « اقتصاديات السودان فى ضوء تطوره السياسى » . ولم يكن اختياره للسودان موضوع بحث للدكتوراه مجرد مصادفة ، ولكن ثمرة حب وغرام بالبلد الشقيق نما وترعرع فى أثناء رحلة إليه مع الجامعة فى عام ١٩٣٨ . وتصور هذا الحب قصيدته التى تفيض بهذه العواطف نحو السودان ، والتى كانت ثانى مانشر له من شعر ، يقول فيها :

خرطوم جئتـــك زائراً
يحدونىَ الشوق الذى بى
مامسنى أومس صحـــبى
فى طريقك من لغـــوب
جئنا إليـــك يقـــودنا
شـــوق المحب إلى الحبيب
بلـــغ الخليـــل خليله
وأتى النسيب إلى النسيب
يامركب الأمـــل الجميـــل
بلغت مرســـاه ، فطيبى
هذى هى الخرطوم قـــد
لقيتك بالصدر الرحيب
ودعت عاصمة الشمال
وجئت عاصمـــة الجنوب
قَرِّى فلست غريبة فيهـــا
ولا أنـــا بالغـــريب

وشغل الصياد منصب التدريس فى الجامعة بعد الدكتوراه ، وهنا تدخل الشعر صريحاً عنيفاً فى مستقبله وتحديد مسيرة حياته ، فاندفع الشاعر الناضج المدرس الجامعى الشاب مطلقاً العنان لأجنحة الشعر وأغراضه كما تمليها عليه القريحة والحيلة ، لايقول إلا ماتوحيان به ، دستوره فى ذلك ماحدده فى شعره من مبادىء :

إذا لم أكن حر العقيدة فى الذى
أقول — فإنى لست بالرجل الحـــر
أدافـــع عن رأى به أنا مؤمـــن
ولوقادنى هـــذا الدفاع إلى الضر
يعـــدون إيمانى عـــلى جريرة
ولن يحملوا عنى —إذا صدقوا — وزرى

وجنى عليه شعره السياسى والاجتماعى ، فكاد يفقده وظيفته بسبب قصيدة حماسية بعنوان « اندفاعات » نشرها عام ١٩٤٥ . ولكنه استمسك دائماً بمبادئه ، وكان كل الذى تلقاه نفسه فى سبيل ذلك محبباً . وأبعد عن

الجامعة فى عام ١٩٥٥ إلى إدارة الثقافة بوزارة المعارف ، والذى جنى عليه تلك المرة شعر غزلى ، ولم يكن شعراً ماجنا ، ولكنه كان صادقا جريئاً معبراً مندفعاً بغزارة وحرارة فاتُّهم بأنه يفتن بشعره الشباب من تلاميذه وتلميذاته ، واهتبلها بعض الحاقدين فرصة فراح يدسُّ له . ولم يجزع الصياد لذلك القرار الظالم ، ولم يعتذر عما قال لإيمانه بنقائه ، فجادل الظلم بالتى هى أحسن ، ولم يزد بعد نفاذ القرار على قوله فيمن آذاه :

قالوا به فتن الحسان ولم أكن
والله إلا الشاعر المفتونا

ورب نعمة جاءت فى صورة نقمة ، فبعد خروجه من الجامعة دعاه رجل آمن بقدراته وصدق عزيمته هو المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ، دعاه ليساعده فى إنشاء جامعة الرياض ، فنجح فى مهمته كل النجاح وعاد من الرياض بعد أربع سنوات ليشغل منصب أستاذ كرسى الجغرافيا ، ووكيل كلية البنات بجامعة عين شمس . وظل فى هذا المنصب حتى سنة ١٩٧٤ م ، حين اختير عميدا لمعهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة .

وكانت تلك المدة مرحلة جديدة مستقرة من حياته العلمية والفكرية ، خصب فيها إنتاجه ، وذاع شعره ، وخطا فيها أولى خطواته نحو الخلود بالعمل فى هذا المجمع الموقر منذ سنة ١٩٥٩ أول خبير فى لجنة الجغرافيا . وأسهم فى تلك السنوات بأعمال مجمعية جليلة مع أستاذه العظيم المغفور له الدكتور محمد عوض محمد ، وكانت ثمرة تلك الأعمال « المعجم الجغرافى » الفذ الذى أصدره المجمع فى عام ١٩٧٥ .

وما أظننى محتاجا فى هذا التقديم إلى تعديد كتبه وأعماله القيمة ، فقد قدمته أعماله وكتبه إلى مجمعنا هذا أحسن تقديم ، وهى تربو على الستين باللغة العربية وباللغة الإنجليزية . ولكنى أخص منها بالذكر رائعته : كتاب « سيد الأنهار » فى جغرافية النيل ، وديوان « ثم جاء الخريف » :

ذلك هو الدكتور محمد محمود الصياد الذى يستقبله اليوم مجمع الخالدين مرحباً فخوراً بالعالم الشاعر الذى أطلق عليه طه حسين منذ كان طالباً فى كلية الآداب لقب « شاعر الجغرافيين وجغرافى الشعراء » :

محمد يوسف حسن
عضو المجمع

كلمة الدكتور محمد محمود الصياد :

سيدى الرئيس :

أساتذتى الأجلاء :

جزاكم الله عنى أحسن الجزاء وأوفاه . فلقد كرمتمونى أكثر من تكريم :

كرمتمونى فرضعتم ثقتكم الغاليــة فى شخصى الضعيف ليكون عضواً فى مجمعكم الموقر ، مجمع الخالدين ، وأرجو أن أكون جديراً بهذه الثقة ، وأن يهيئ الله لى من أمرى رشداً .

وكرمتمونى فأذنتم لى بدخول هذا الصرح الشامخ دون أن يطول وقوفى بالباب وهذا شرف عظيم ، أعتز به وأفخر .

وكرمتمونى فشئتم أن أتبوأ مقعداً كان يشغله من قبل إمام من أئمة المسلمين ، رضى الله عنه ، وأجزل فى الآخرة ثوابه ، وإنه لأمرٌ لاطاقة لى به ، وسفاهة أن تطاول الأرض السماء أو أن تفاخر الشهبَ الحصى والجنادلُ .

وكرمتمونى فندبتم عنكم أخاً عزيزاً وصديقاً كريماً ليقدمنى إلى مجمعكم الموقر ، فأحسن بى الظن ، وأثنى على بما هو أهل له، لا بما أنا له أهل ، « وحسن فى كل عين من تود » .

وكرمتمونى فاخترتم اليوم الأول من أيام الربيع لأخطو فيه أولى خطواتى إلى رحابكم الكريم ، وكأنما أحسستم بضعفى فأردتم — مشكورين — أن تجعلوا لى من عنفوان الربيع عوناً وسنداً .

لهذا كله ، أشعر بأن بيانى قاصر عن أن يدنو من الوفاء بما يوجبه حقكم على ، وأرى قلمى عاجزاً عن أن يجرى بالشكر إلى الغاية التى تناسب فضلكم ومقامكم ، فلأجتزئ من العبارة بالإشارة :

إن القليــل من الكلام بأهله
حسن ، وإن كثيره ممقوت
مازل ذوصمت ، وما من مكثر
إلا يزل ، وما يعاب صموت

أيها السادة العلماء

كنت قد قرأت فيما قرأت من وثائق المجمع ، أن كثيراً ممن وقفوا موقفى هذا من قبل قد هابوه ، فمنهم من أعلن هذا تصريحا ، ومنهم من لمحّ إليــه تلميحاً . ولكننى وأصدقكم القول لم أتهيب الموقف ولم أستشعر الخوف ، لا لشجاعة أزعمها ، أو قدرة على الكلام أدعيها :

ولكنى شرفت بمعرفة الكثير منكم سنين طويلة ، فما وجدت بينكم إلا أخاً كريماً أو أستاذاً عطوفاً ، والأخ لا يرهب الحديث إلى أخيه الأكبر فهو دائم الطمع فى حلمه وحدبه ، والتلميذ لا يخشى الكلام مع أستاذه فهو واثق من أن صدره رحب فلن يضيق به وإن أخطأ .

وكنت قد اتصلت بمجمعكم الموقر منذ ثمانية عشر عاماً ، يوم أن شرفنى أستاذى العلامة المرحوم محمد شفيق غربال فدعانى للمشاركة فى لجنة الجغرافيا والتاريخ بالمجمع وكانت تضمهما لجنة للخبراء واحدة . ولم يكد ينصرم العام حتى انضم إلى زمرتكم عالمان جليلان هما الأستاذ إسماعيل مظهر والدكتور محمد عوض محمد فاستقلا بلجنة للجغرافيا وأنا معهما خبير ، ولا أستطيع أن أصف لكم السعادة الغامرة التى شعرت بها يوم أن دلفت إلى هذه القاعة لأول مرة ، أعرض عليكم ما استقر عليه رأى اللجنة من مصطلحات علمية .

كنت أستمتع بمناقشاتكم حول مصطلح مقترح ، وحواركم فى الدفاع عن الفصحى وأساليبها ، فأتعلم الشىء الكثير ، وكان فيكم من الكرم ورحابة الصدر مايشجعنى على أن يكون لى رأى ، ولكم خرجت من مجلسكم وأنا قرير العين ، منشرح الصدر ، لأنكم رضيتم عن كلام قلته ، وأقررتمونى على رأى أبديته .

أيها الأساتذة الأجلاء ، سدنة الفصحى وحماتها :

لقد هالتكم العجمة التى أخذت تتفشى فى لغة أصحاب العلوم الحديثة ، حين أخذوا يستعيرون من الغرب مصطلحات لعلومهم ، فى فوضى لاضابط لها ، فتبلبلت ألسنتهم حتى كاد الواحد منهم لا يفهم أخاه ، ومن ثم حرصتم على أن يضم مجمعكم الموقر شتى التخصصات بجانب التخصص فى اللغة وآدابها ، وكان من حسن حظ الجغرافيا أن جاء ممثلها فى مجمعكم جغرافى فذ ، هو فى الوقت نفسه أديب مقتدر . ذلكم هو أستاذى المغفور له محمد عوض محمد ، رحمه الله فقد جمع بين الحسنيين .

والجغرافيا أيها السادة علم شامل ، له صلات واسعة بشتى فروع المعرفة الإنسانية وما أقول ذلك من قبيل المغالاة أو التعصب للتخصص ، فقد سبقنى إليه « استرابون » منذ عشرين قرنا فقال إن الجغرافيين من أوفر الناس حكمة وأنهم كلهم فلاسفة .

وإن للجغرافيا عند العرب لشأناً ، فقد كانوا أول أمرهم أهل بادية ، يتنقلون فى الصحراء بإبلهم وأغنامهم ، انتجاعا للكلأ وبحثاً عن موارد الماء . وما كان فى استطاعتهم أن يتجولوا فى تلك الفيافى إلا إذا حددوا فيها معالم يتخذون منها علامات فى سير النهار ، وعرفوا شيئاً عن النجوم يهتدون بها فى سرى الليل البهيم . وهكذا فرضت عليهم ظروف

بيئتهم الأولى أن يكونوا على علم ببعض النواحى الجغرافية وإن لم يقصدوها لذاتها . وما ترددت الحقائق الجغرافية فى شعر كما ترددت فى شعر الجاهليين ، وحسبك أن تقرأ المعلقات السبع ، لترى كيف حفلت بالأعلام الجغرافية وبصور البيئة .

وكانت رواية الشعر من أهم ما عنى به العرب على مر العصور ، فهو ديوان مفاخرهم وسجل أمجادهم ، تتناقله ألسنة الرواة من جيل إلى جيل ، وقصائده حافلة بالحقائق الجغرافية فكان هذا من فضل الشعر العربى على الجغرافيا ، إذ خلد حقائقها بخلوده ، وحفظ الجذور الأولى للفكر الجغرافى العربى فأصبح الشعر مصدراً مهماً من مصادر الدراسة الجغرافية لما اشتمل عليه من مادة مضيئة لو أنها لقيت ماهى خليقة به من عناية الباحثين .

لاغرابة إذن أن كانت الجغرافيا من بين العلوم التى اشتغل بها العلماء الأوائل فنجد الأصمعى وهو شيخ من شيوخ اللغة ، من العارفين بجغرافية الجزيرة العربية معرفة العالم الخبير . وتستمر هذه الصلة بين الجغرافية واللغة حتى عصر متأخر فنجدها فى «معجم البلدان» لياقوت الحموى وهو من الموسوعات الجغرافية ونجدها فى «تاج العروس» للزبيدى ، وهو من معاجم اللغة . وهكذا أسهم الشعراء وأصحاب اللغة فى وضع اللبنات الأولى فى صرح الجغرافيا العربية ، ولاتكاد تفتش عن شكل من أشكال سطح الأرض ، أومظهر من مظاهر البيئة ، إلا وتجد لأولئك العلماء الأعلام الحظ الأوفر فى شرحه وتوضيحه .

وظهر الإسلام فى القرن السابع الميلادى ، ومن أركانه حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، والحج رحلة كانت فى غابر الأزمان تتطلب معرفة بالطرق وما بها من موارد الماء ومنازل القبائل وأماكن الراحة . ومن قبل كان كثير من العرب أهل تجارة ، وهى حرفة تتطلب منهم أن يمشوا فى مناكب الأرض ، وأن يعرفوا مدنها وأسواقها وماتغله أراضيها أو تنتجه صناعاتها وأحوال أهلها وعاداتهم وتقاليدهم ، وهل الجغرافيا سوى العلم بالأرض والناس ؟

كانت الجغرافيا العربية إذن فى نشأتها الأولى وليدة ظروف البيئة إلى حد كبير ، ثم زاد اتساع رقعة الدولة الإسلامية فى أهميتها إذ أصبح من الضرورى الوقوف على أحوال البلاد التى فتحها الله على المسلمين ، ومعرفة الطرق التى تربط بين أجزاء الدولة التى شرقت حتى بلغت حدود الصين ، وغربت حتى انتهت إلى بحر الظلمات . وكانت الحضارة العربية الإسلامية قد أخذت تتأصل جذورها ، وظهر لفيف من العلماء أولوا اهتمامهم بتقويم البلدان ، فكثرت فى هذا المجال مصنفاتهم ، ولاتزال هذه المصنفات — وإن قدم بها العهد — تمثل مرحلة بارزة فى تاريخ الفكر الجغرافى وتطوره ، وكان لهؤلاء العلماء من رجاحة العقل ورحابة

الفكر ما جعلهم يأخذون من الحضارات القديمة التى اتصلوا بها ، ما اتسعت له حضاراتهم الجديدة وما لم يتعارض مع دينهم الحنيف :

ولم يستخدم العرب لفظ « جغرافيا » للدلالة على العلم الذى يدرس الأرض إلا فى عصر متأخر ، وان استخدموه علما على الكتاب الذى ألفه بطلميوس القلوذى . ولعل «إخوان الصفاء» هم أول من استخدموا اللفظ للدلالة على علم خاص فى رسائلهم المعروفة ثم أخذ اللفظ يشيع من بعد ، وإن بقى بعض الكتاب يستخدم مصطلح « تقويم البلدان » وهو عندى أصدق دلالة فليس للوصف فى العلم مكانة التقويم .

واستقر فى اللغة العربية مصطلح «جغرافيا» فنجد حاجى خليفة يعرفها فى كتابه المعروف «كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون » فيقول : « علم جغرافيا » وهى كلمة يونانية بمعنى صورة الأرض ، ويقال جغراويا على الأصل ، وهو علم يتعرف منه أحوال الأقاليم السبعة الواقعة فى الربع المسكون من الأرض ، وعرض البلدان الواقعة فيها وأطوالها وعدد مدنها ، وجبالها ، وبراريها ، وبحارها ، وأنهارها ، إلى غير ذلك من أحوال الربع ، كذا فى مفتاح السعادة ، وهو هنا يشير إلى كتاب « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » لأبى الخير طاش كبرى زاده » :

ويبدو أن الجغرافيا العربية كانت قد بدأت فى القرن العاشر الهجرى تهتم بالناحية البشرية ، يدل على ذلك ما ينقله حاجى خليفة عن داود ابن عمر أنطاكى فى تذكرته من أن الجغرافيا « علم بأحوال الأرض من حيث تقسيمها إلى الأقاليم والجبال والأنهار وما يختلف حال السكان باختلافه » وتدل العبارة الأخيرة على أن الجغرافية العربية قد أدركت العلاقة بين الإنسان وبيئته الطبيعية وأثر البيئة فى اختلاف نواحى النشاط البشرى : وهكذا سبقت الجغرافيا الحديثة بأربعة قرون :

ولا أريد أيها السادة أن أطيل الحديث عن الجغرافيا العربية فذلك بحر بلا ساحل ولكن كل ما أرجوه أن يهتم مجمعنا الموقر بالتراث الجغرافى العربى القديم ، وبمعالجته فى إطار عصرى . وأن توجه العناية إلى استقراء الشعر العربى فى العصرين الجاهلى والإسلامى ، واستخراج مافيه من ألفاظ تتعلق بشكل الأرض وخصائص البيئة ، ففيه وفى معاجم اللغة كنوز مدفونة ، لوبعثناها لأغنتنا عن الترجمة والتعريب ، وقد حاولنا شيئاً من هذا ، ولكنه جهد المقل ، فى المعجم الجغرافى الذى صدر عن المجمع فى عام ١٩٧٤ فأحيينا بعض المصطلحات العربية القديمة وأعدنا بعض ألفاظ الأجنبية إلى أصلها العربى العريق : . . إن لغتنا الفصحى بحر فى أحشائه الدر كامن ، ولكنه يحتاج إلى الغواص الماهر الشجاع . وهى قادرة على أن تكون لغة علم

وإن رماها بالعقم الخراصون . وصدق حافظ حين قال فيها :

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
وماضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات ! ؟

أيها السادة الأجلاء .

جرت تقاليد مجمعكم أن يتحدث الخلف عن السلف ، وانى لأذكر بالخير سلفى العظيم المغفور له فضيلة الشيخ عبد الرحمن تاج أسكنه الله فسيح جناته ، وأذكر خدمته للدين الحنيف ، وللغة القرآن الكريم ، وكنت أتمنى أن تكون كلمتى بما يتفق مع ما كان له من مقام ، ولكنى عرفته بالسماع والقراءة ، وما عرفته بالصحبة والخلطة ، فإذا جاءت كلمتى دون قدره ، فأرجو ألا تكون مقصرة عن الوفاء للتقاليد .

ولد الشيخ عبدالرحمن تاج فى أسيوط عاصمة الصعيد والقرن الماضى يوشك أن ينصرم ، وفيها حفظ القرآن وجوده ، ومنها انتقل إلى الإسكندرية عروس البحر المتوسط ، فالتحق بمعهدها الدينى ، وبقى بها حتى نال الشهادة العالمية فى سنة ١٩٢٢ وكان أول الناجحين فيها ، وهكذا كان شأنه فى أغلب سنى دراسته ثم غادر الإسكندرية إلى القاهرة والتحق بقسم التخصص فى القضاء الشرعى وعلوم الشريعة فأحرز شهادته متفوقاً فيها بعد أربع سنوات . وعاد إلى مسقط رأسه مدرساً بالمعهد الدينى هناك ، فبقى به خمس سنوات نقل بعدها مدرساً بمعهد القاهرة . ولم يطل مكثه فيه ، إذ اختير بعد عامين للتدريس بكلية الشريعة . واعترافاً بعلمه وفضله اختير وهو مدرس بالكلية عضواً يمثل المذهب الحنفى فى لجنة الفتوى التى أنشأها الأزهر فى عام ١٩٣٥ وفى السنة التالية أوفد فى بعثة علمية إلى باريس للحصول على درجة الدكتوراه .

وكان من أولى العزم فأجاد لغة القوم فى وقت وجيز ، وكتب فيها رسالة عن « البابية والإسلام » نال بها درجة دكتوراه الفلسفة فى تاريخ الأديان من جامعة السربون فى عام ١٩٤٦ . وكان كما حدثنى بعض معاصريه خلال إقامته فى فرنسا مثالا للنبل والخلق الكريم ، لم تبهره حضارة الغرب ؛ فبقى محافظاً على دينه ، متمسكاً بقواعد السلوك التى رسمها الدين الحنيف .

وعاد الشيخ تاج من البعثة ليستأنف التدريس فى كلية الشريعة ، وليعمل فى نفس الوقت أميناً فنياً للجنة الفتوى ، وعضواً حنفياً بها ، ثم تقلب فى مناصب الأزهر ، فكان مفتشاً فى معاهده ، وعميداً لمعهد الزقازيق ، ثم شيخاً لمعهد البحوث الإسلامية . وهو أثناء ذلك كله لم يقنع بما بلغه من علم وما وصل إليه من منصب فبقى دءوباً على البحث ، متطلعاً إلى الاستزادة من المعرفة ، فألف رسالة عن « السياسية الشرعية والفقه الإسلامى » نال بها عضوية جماعة كبار العلماء فى سنة ١٩٥١

وهى أكبر ما يصبو إليه شيخ من شيوخ الأزهر ، وكانت جامعة عين شمس قد افتتحت فى العام السابق وبها كلية للحقوق فوقع اختيارها على الدكتور عبدالرحمن تاج ليكون أستاذاً للشريعة الإسلامية فيها ، مع بقاء صلته بالأزهر عضواً فى لجنة الفتوى وعضواً فى جماعة كبار العلماء وأكبر فيه زملاؤه من أساتذة الجامعة غزارة العلم وسماحة النفس وتواضع العلماء . وعرفت الدولة له فضله فعينته فى سنة ١٩٥٤ شيخاً للأزهر ، فبقى فى هذا المنصب الخطير حتى عين وزيراً فى اتحاد الدول العربية منذ قيامه فى سنة ١٩٥٨ حتى إلغائه فى سنة ١٩٦١

واختير الشيخ تاج عضواً بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٦٣ ، وندب المجمع لاستقباله علما من أعلامه هو المغفور له الأستاذ على عبدالرازق؛ فأشار إلى مواهب الشيخ التى مكنته من أن يجمع بين الثقافتين الشرقية والغربية ، وأن يزاوج بين الأدبين العربى والأعجمى وأن ينطق باللغتين العربية والفرنسية ، وكيف قضى شطراً من حياته مهاجراً يجوب البلاد فى طلب العلم . « ولا شىء أبلغ فى تزكية النفس ، وتصفية الذهن ، وتقوية العقل من الهجرة خالصة لله فى سبيل العلم » .

ثم أشار إلى أن الشيخ « قد حصل من الرتب العلمية والدرجات مارفعه إلى مستوى لا مطمع لكثير من الناس أن يصلوا إليه ، ولكنه هو نفسه قد استطاع أن يبلغه وأن ينال من الفضل مقاماً فوق ذلك مظهراً ، وأرفع قدراً . وذلكم هو مقام العلم الناصع النافع والقلب الطاهر السليم ، والنفس الطيبة التى صاغت من صاحبها شخصية قوية لا تمايل مع الرياح ، ولا تلعب بها الشهوات .

وتجلت غيرة الشيخ تاج على الدين الحنيف ، وعلى لغة القرآن الكريم ، فى الخطاب البليغ الذى ألقاه فى حفل استقباله ، فدحض مزاعم المستشرقين الذين تصدوا لترجمة القرآن الحكيم ، وفند أقوال أبناء العربية العاقين الذين يكيدون للعروبة والإسلام بدعوتهم إلى التخلص من الإعراب ، أو استبدال العامية بالفصحى .

ويخاطب رجال المجمع الموقر بقوله : « إن مهمتكم بإزاء اللغة العربية عظيمة وأنتم خير أهل للاضطلاع بها ، والوفاء بموجبها ، فلا تضنوا فى هذا السبيل بشىء من جهودكم ابذلوا هذه الجهود القوية الأمينة ، لحفظ هذه اللغة ، وحراسة مقدساتها وصيانتها من عبث العابثين ، ولعب الماجنين ، وانحرافات المتهورين ولكم التوفيق من الله الحكيم العليم» .

والتزم الشيخ فى المجمع بما دعا إليه : فشارك فى عمله مشاركة فعالة ، وذخرت مجلة المجمع ببحوثه القيمة عن القرآن ، ودراساته العميقة فى اللغة ؛ فكان من الأولى بحوثه :

* درء مظاهر من الجرأة فى تفسير الكتاب العزيز (ج ٢٤) .

* اللؤلؤ والمرجان ، ومن أى البحار يستخرجان (ج ٢٧) ؛

* الطير الأبابيل، فى واقعة الفيل (ج٢٩)؛

* حروف الزيادة ، وجواز وقوعها فى القرآن الكريم . (ج ٣٠) ؛

* من الدراسات اللغوية ، فى بعض الآيات القرآنية (ج ٣٣) .

* الآيات التسع البينات (ج ٣٤) .

وكان من الأخرى بحوثه :

* تفصيل القول فى تتابع الأعلام بتسكين أواخرها وحذف كلمة (ابن) من بينها فى مثل « سافر محمد على حسن »(ج ٢٠)

* القول فى (غير) وحكم إضافتها إلى المعرفة وجواز دخول (ال) عليها . (ج ٢٥)

* أكثر من واحد (ج ٢٨)

* القول فى الباء التى تزاد فى فصيح الكلام ، وقد وقعت زائدة فى القرآن الكريم .

والشيخ فى بحوثه هذه وتلك ، عالم ثبت ، وفقيه متمكن ، يمحص القول، ويقلب الأمر على وجوهه؛ حتى يخرج منه بالرأى الفصل :

رحم الله سلفى العظيم ، وأكرم مثواه ، وأنزله منازل الشهداء والصديقين ، وحسن أولئك رفيقا ؛

أساتذتى الأجلاء

لست أريد أن أطيل الحديث عن الفضل الذى طوقتم به عنقى، فسبقت ما كنت أطمع فيه ، فأنتم معشر العلماء أزهد الناس فى مدح . ولكنى أسأل الله العلى القدير أن يجعلنى أهلا للثقة التى أوليتمونى ، وأن يهبنى القدرة على القيام بحظ معكم فى خدمة العلم واللغة .

أما الصديق الكريم الأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن الذى نظر إلى بعين الرضا وهى عن كل عيب كليلة ، فأسبغ على من جميل أدبه ما أملته سجيته الطيبة، وأخوته الكريمة ، فله شكرى الصادق ، و دعواتى الخالصة بأن يجعله الله دائماً سباقاً إلى الخير والعمل الصالح .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمد محمود الصياد
عضــو المجمع

●● كلمة الختام للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع :

سيداتى ، سادتى

مرة أخرى أكرر التهنئة الخالصة للزميلين الكريمين، متمنياً لهما عهداً مجمعياً خصباً مثمراً بإذن الله، فالحق أننا نعول عليهما كل التعويل فيما يقومان به من عمل ، وفيما يقدمان من عون خدمة للفصحى، وأملا فى الوصول بها إلى حيث ينبغى أن تكون .

ولا يفوتنى فى الختام أن أتقدم بخالص الشكر لكل الذين حضروا إلى هذا المكان ، وشاركوا فى هذا الحفل ، وشكرا لكم ، ورفعت الجلسة .

من أنباء المجمع

وفاة امين المجمع :

استأثرت رحمة الله تعالى بروح الفقيد المرحوم الأستاذ عبد الحميد حسن امين المجمع ، الذى توفى فى ٨ من شهر المحرم سنة ١٣٩٧ هـ الموافق ٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٧٦ م .

وقد أقام المجمع حفل تأبينه فى ١٩٧٧/٢/١٦ .

وفى هذا الجزء من المجلة الكلمات التى ألقيت فى هذا الحفل .

عضو راحل :

كما استأثرت رحمته تعالى بروح الفقيد المرحوم الدكتور محمد كامل حسين عضو المجمع ، الذى توفى فى ١٦ من ربيع الأول سنة ١٣٩٧ هـ الموافق ٦ من مارس سنة ١٩٧٧ م .

وسيرد فى الجزء القادم من المجلة الكلمات التى تلقى فى حفل تأبينه.

نائب جديد لرئيس المجمع :

فاز الدكتور أحمد عمار بمنصب نائب رئيس المجمع ، خلفا للمرحوم الأستاذ زكى المهندس ، وذلك فى الجلسة التى عقدها مجلس المجمع يوم الاثنين ١٩٧٦/١١/٢٩ لانتخاب نائب رئيس المجمع .

وقد صدر القرار الوزارى من السيد وزير الاعلام والثقافة رقم ٥٧٢ لسنة ١٩٧٦ باعتماد انتخاب الدكتور أحمد عمار نائبا لرئيس المجمع لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد ، اعتبارا من ١٩٧٦/١٢/١١

فوز عضوين من المجمع بجائزة الدولة التقديرية :

- فاز الأستاذ الشيخ على الخفيف عضو المجمع بجائزة الدولة التقديرية للعلوم الاجتماعية لعام ١٩٧٦ م .
- وفاز الدكتور مهدى علام عضو المجمع بجائزة الدولة التقديرية للآداب لعام ١٩٧٦ م .

تهنئة شعرية :

وقد ألقى الدكتور المهندس ابراهيم أدهم الدمرداش تهنئة شعرية للعضوية الفائزين فى جلسة المجلس يوم ١٩٧٦/١٢/٦ ، وتهنئة شعرية أخرى للدكتور أحمد عمار بفوزه بمنصب نائب رئيس المجمع . وهما :

(الأستاذ العالم علي الخفيف ، الدكتور محمد مهدى علام)

لله در رجال العلم والأدب — والبحث فى لغة القرآن والعرب
فيهم فقيه له في الشرع منزلة — فالقول ما قال لا ما جاء بالكتب

يدلى برأى اذا ما جئت تسأله الـ فتوى يميط لثام الشك والريب
كذاك فيهم فطحل نابه لبق يهدى بعلم الى الأحكام والسبب
أسلوبه منطق سهل وممتنع كابن المقفع فى فقه وفى أدب
كلاهما نال للتقدير جائزة فليهنئا ببلوغ السمت والأدب

ذو الحجة عام ١٣٩٦ هـ
ديسمبر عام ١٩٧٦ م
ابراهيم أدهم الدمرداش

تحية الدكتور أحمد عمار بمناسبة انتخابه نائبا لرئيس المجمع

حل الربيع بزهره وعبيره فى غير موعده من الأيام
والطير غرد والزهور تفتحت تهدى اليك تحية الاسلام
والكل أقبل نحو « أحمد » هاتفا « عمار » بالاجماع والأعلام
عيدان قد جمعا بقدرة قادر هل بعد فضل الله من انعام
عيد النيابة عن رئاسة مجمع الـ فصحى وعيد الحج والاحرام

ذو الحجة عام ١٣٩٦ هـ
ديسمبر عام ١٩٧٦ م
ابراهيم أدهم الدمرداش

أمين جديد للمجمع :

فاز الدكتور مهدى علام بمنصب امين المجمع ، خلفا للمرحوم الأستاذ عبد الحميد حسن ، وذلك فى الجلسة التى عقدها مجلس المجمع يوم الاثنين ١٩٧٧/٤/٤ لانتخاب أمين المجمع .

عضوان جديدان :

فى الجلسة التى عقدها مجلس المجمع يوم الاثنين ١٩٧٦/١٢/٢٧ اجرى الانتخاب لاختيار أعضاء جدد . وقد فاز بعضوية المجمع :

- الدكتور محمود حافظ ابراهيم ، فى المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الدكتور مراد كامل .
- الدكتور محمد محمود الصياد ، فى المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج .

وفى هذا الجزء من المجلة الكلمات التى القيت فى حفل استقبالهما .

خبراء جدد :

اختار مجلس المجمع بعض الخبراء الجدد وهم السادة :
الأستاذ على أحمد حمدى بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (للجنة الرياضة) .

- الدكتور أحمد حسن الموازينى بمركز الحساب الآلى (للجنة الرياضة).

- الدكتور عبد الله درويش وكيل كلية دار العلوم بجامعة القاهرة (للجنة المعجم الكبير) .

- الدكتور عبد الفتاح قنديل الأستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية (للجنة الاقتصاد) .

- الدكتور عبد الحافظ حلمى أستاذ علم الحيوان وعميد كلية العلوم بجامعة عين شمس (لنجنة الأحياء والزراعة) .

صلات المجمع الثقافية :

- قام الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع بتمثيل المجمع فى الاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد المرحوم الأستاذ محمد كرد على ، الذى أقامه مجمع اللغة العربية بدمشق فى المدة من ١٣ الى ١٩٧٦/١١/٢٠

- بعث الأستاذ محمد الكسار (من سورية) الى المجمع ببحث عنوانه « المفتاح لتعريب النحو » فقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٦/١١/٢٢ احالته على لجنةالأصول لدراسته وابداء رأيها فيه، وعرضه على المجلس .

- ورد الى المجمع بحثان فى استحداث اشكال جديدة لحروف الطباعة الغربية،أحدهما من الأستاذ محمد عثمان زادة (من العراق) والآخر من الأستاذ لطفى حيدر (من تونس) . وقد قرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٦/١٢/٦ احالتهما على لجنة تيسير الكتابة العربية لدراستهما وابداء رأيها فيهما ، وعرضه على المجلس .

- مثل المجمع الدكتور محمود مختار عضو المجمع فى المؤتمر الثالث للتعريب الذى عقد فى طرابلس بليبيا فى المدة من ٧ الى ١٩٧٧/٢/١٦

نتيجة المسابقة الأدبية للمجمع

لعام ١٩٧٦/٧٥

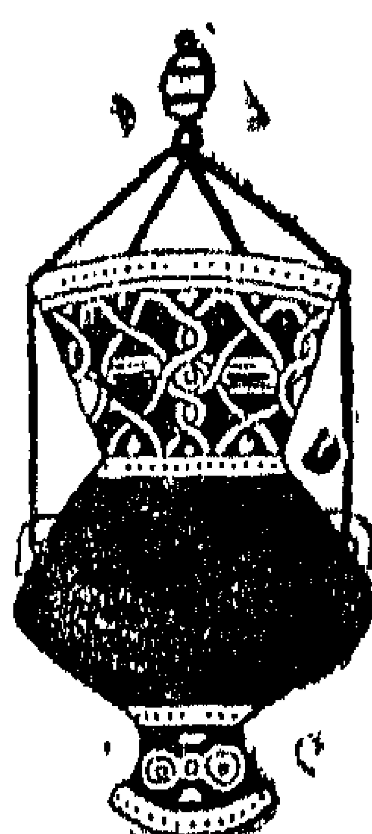
فاز الأستاذ محمد بلحسين (من تونس) بالجائزة الثالثة لمسابقة المجمع الأدبية عن بحثه « حول المنفلوطى » ، وذلك فى المسابقة التى عقدها المجمع لعام ١٩٦٦/٧٥ وكان موضوعها :

« المنفلوطى وأثره فى الأدب العربى الحديث فكرا وأسلوبا » .

مؤتمر المجمع

عقد مؤتمر المجمع فى يوم الاثنين ١٩٧٧/٢/٢١ واستمر خمسة عشر يوما عرض خلالها أعمال المجمع ، والقيت بحوث لبعض أعضائه .

وهى كلها فى المجموعة الخاصة بهذا المؤتمر



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

رئيس مجلس الادارة
محمد حمدى السعيد

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٢ / ١٩٧٨

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٤٠٩٣س١٩٧٨–٢٠٠٠

